أريد رجلاً

نور عبد المجيد



رواية

دار الساقي

«عاد سليم بأصابعه السمراء الطويلة إلى دولاب ملابسه من جديد وهو يبتسم.. تذكر أنه وعد أمينة ألا يرتدي بذلة هذا المساء.. هو أيضاً بدأ يصيبه الملل من كثرة ارتدائه للبذلات الكاملة. عمله في سلك النيابة والقضاء يحتّم عليه أن يرتدي بذلة كاملة كلما توجه إلى العمل ولكن حتى لو ارتدى المايوه سليم عبدالمجيد ملامحه تقول أنه في كامل ملابسه الرسمية.. وأخرج قميصاً من القطن الأسود.. لكنه أعاده إلى دولاب ملابسه مرة أخرى.. سيفاجئ أمينة هذا المساء.. سيرتدي القميص الذي أهدته إياه منذ شهور والذي صاح حين رؤيته في ذهول وهو يقسم ضاحكاً أنه لو ارتداه لضربته يامنة بالرصاص.. إن لونه روز أو كما قالت أمينة «سيمون».. إن لونه هادئ رقيق ولكن لا يعلم لمَ يظن سليم أن جميع الألوان الهادئة والرقيقة لا تناسب أجساد سوى أجساد النساء..»

نور عبد المجيد كاتبة وروائية سعودية. شغلت منصب مسؤولة تحرير مجلّة «مدى» السعودية. لها حالياً مقال أسبوعي «شهد الكلام» في مجلة «كل الناس». صدر لها في الرواية «الحرمان الكبير»، «نساء ولكن»، «رغم الفراق»، وفي الشعر «وعادت سندريلا حافية القدمين».


ISBN 978-1-85516-777-3
9 781855 167773



الطبعة الأولى ٢٠١١

ISBN 978-1-85516-777-3

دار الساقي
بناية النور، شارع العويني، فردان، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ ـ ٢٠٣٣
هاتف: ٨٦٦٤٤٢ ١ ٠٩٦١، فاكس: ٨٦٦٤٤٣ ١ ٠٩٦١
e-mail: info@daralsaqi.com

إهـداء

إلى من علّمتني أن الحب شيء آخر وأن الشوق شيء آخر.

إلى من تأخذني بين ذراعيها لأصبح طفلتها رغم أنني أمها.

إلى من أشعر بها تركض وتتجول وتلهو في عروقي وأنفاسي وتنقش على جدار قلبي كيف يحلو لها.

إلى من أدعو الله أن يبقيني لأبقى الى جوارها وأتدفأ بها.

إلى قطعة السكر التي استعين بها على مرار الأيام!

إلى ابنتي «شهد».

إهــداء

إلى الدكتورة سهام حمزة شحاتة.

إلى من تحمل في عروقها دم أمي ودم صديقي ودم أمه.

إلى من قضت على مسمَّعَيّ قصة عائلتنا التي لا رجل فيها. عائلة كلها نساء تنبض عروقها بالحب والوفاء.

نساء كل امرأة منهن أغلى من ألف رجل.

إلى سهام بكل الفخر لأننا قريبتان وصديقتان!!

مقدّمة

نحن قد نشعل حرائق هائلة زاعمين أنها دفاع عن مبادئ وقضايا كبيرة نؤمن بها.

لكن يبقى سبب إشعالها فقط أننا نحاول إخفاء قلوبنا وكبريائنا الذبيحة خلف دخان الحرائق الأسود!

حقيقة قد ننكرها وقد لا ندركها إلاّ بعد أن تأتي النار على كل ما كان.

٢٠١١-٩-٢٣

رائع حقاً أن تفتح عينيها كل صباح على وجهين.. وجه النيل ووجه الراحلة مديحة.. رائع شعورها العميق بأنها ولدت وستموت وهي تفتح عينيها على وجوه من تحب..

كانت تظن أنها عندما تتزوج سليم عبد المجيد ستفارق النيل ولن تراه كل صباح.. لكن سليم أخذها إلى شقق كثيرة مطلة على النيل.. شاء أن تختار أجمل وأحدث عمارة على ضفاف نيل المعادي أو الجيزة لكنهما بعد رحلات بحث طويلة وشهور استكشاف كثيرة أعلنت له أمينة أن لا نيل كنيل شارع المنتزه بالزمالك.

النيل هنا له رائحة أخرى.. النيل هنا وأمام نوافذ هذا البيت على وجهه دوماً ابتسامة لا يراها أحد سوى أمينة عزت عبد الرحيم.

النيل هنا يحمل رائحة طفولتها وصباها.. النيل هنا يحمل أسرار أمينة وذكرياتها مع مديحة رحمها الله.. يحمل ضحكات عزت وهي طفلة.. ويحمل صمته الذي اعتادته وهي شابة بعد قصته القديمة مع العشق والهوى.. النيل في شارع المنتزه

بالزمالك ليس نيلاً لكنه مرآة تنظر فيها أمينة كل صباح وكل مساء لتعلم أنها ما زالت على قيد الحياة . .

وجه مديحة وهبي أيضاً ليس كوجه أحد من البشر . . وجه مديحة وهبي ليس كوجه أم من أمهات كوكب الأرض . . إنه وجه لا يغيب حتى بعد موتها وسيبقى حياً في هذا البيت وعلى وجه النيل ما بقي العمر .

أمينة قبل وفاة والدتها مديحة كانت تعلم أنها ستسكن في مكان آخر وسترى وجه نيل آخر لكن بعد وفاتها أعلنت أن نهر النيل من رواندا إلى السودان لا لون له ولا رائحة . . وحدها البقعة التي تقع أمام بيتها بشارع المنتزه في حي الزمالك لها لون ورائحة لا يشعر بهما أحد سواها ولا تقوى على الحياة بعيداً عنهما .

كان أملها . . كل أملها أن يقبل سليم بالحياة معها هنا ومع والدها . . سليم يحب عزت كثيراً وعزت ككل سكان الأرض الذين التقوا سليم، لا يملكون شيئاً سوى الوقوع في حبه واحترامه .

وافق سليم . . وافق حبيب الروح على أن يحيا معها ومع والدها لكن عزت فاجأها بمفاجأة العمر الكبيرة . . عزت أخبرها أنه سيترك لهم البيت وينتقل إلى الحياة وحده في الإسكندرية . . أخبرها عزت أن بحر اسكندرية الأبيض له في عينيه بريق قد ينجح في إعادة الحياة إلى عروقه التي جفت منذ أعوام طويلة . .

سليم عبد المجيد دفع ما يقارب نصف مليون جنيه اقتسمها عزت عبد الرحيم مع مالك العقار رقم ٥١ شارع المنتزه بالزمالك

ليصبح عقد البيت باسم أمينة . . وأخذ هو نصف المبلغ واشترى به بيتاً على بحر اسكندرية .

كلاهما سيحيا مع من يحب . . عزت سيذهب إلى الإسكندرية بحثاً عن حبه الضائع القديم والذي تعلم قصته أمينة جيداً وهي ستبقى مع نيل الزمالك الذي يبتسم لها كل صباح ومساء !

في هدوء مدّت أمينة أصابعها البيضاء الرشيقة تلتقط بها المنبّه الموضوع على الكومود الملاصق لسريرها وهي تنظر إليه في كسل !!

ما زالت السابعة صباحاً . . ما زالت لديها ساعة كاملة تذهب بعدها إلى البنك الأهلي سوستيه جنرال القريب من سكنها لتبدأ يوم عمل جديداً هناك .

قفزت أمينة من فراشها وضغطت على مفتاح الشيش الكهربائي ليصعد إلى أعلى النافذة ويظهر من خلفه وجه حبيبها . . وجه النيل وابتسمت في حنان وهي تهمس :

صباح النور يا حبيبي . .

واستدارت إلى فراشها تلتقط الروب الوردي الملقى على حافته لتضعه على قميصها القطني الأبيض وخرجت إلى شرفة الغرفة الكبيرة وهي تبتسم . الشارع من أهدأ شوارع الزمالك المطلة على النيل والعمارة رغم عمرها العتيق فإن أدوارها الست هادئة ، ويتميّز كل من فيها بالرقي والطيبة . .

وعادت تنظر إلى ابتسامة النيل وابتسمت ابتسامة صغيرة

حزينة.. منذ عام واحد كان النيل يبتسم لها ولمديحة كل صباح.. أما الآن فهو يبتسم لها وحدها..

ودخلت أمينة غرفتها من جديد. وقبل أن تدخل حمام غرفتها وقفت على حافة مكتبها وأمسكت بدفتر كبير من الجلد البنّي الأدكن وفتحته وانحنت تكتب فيه:

ماما..

صباح الخير..

أغلقته في حنان وغابت في حمام غرفتها لحظات لتخرج بعدها وتنتقي ما سترتديه في البنك هذا الصباح.

بعد أن أغلقت ستائر الشرفة خلعت قميصها ووقفت أمام مرآتها تفكر ماذا ترتدي؟

في المرآة، رأت وجهها الأبيض الجميل وعينيها الواسعتين المشروطتين.. إنها جميلة.. جميلة كما كانت مديحة رحمها الله جميلة.. لها كل ملامحها.. عيناها البنّيتان الواسعتان ورموشها الطويلة التي تكاد تلامس حاجبيها كلما فتحت عينيها.. لها أيضاً أنف مديحة الدقيق المعتدل.. لها شفتاها الممتلئتان المستديرتان.. كانت أمينة تبكي وهي صغيرة وتتمنى لو تعرف كيف تجعل شفتيها أصغر.. لكنها الآن علمت أن النساء.. كل النساء يدفعن الآلاف ليحصلن على مثل شفتَي أمينة الممتلئتين وابتسمت وهي ترقب ذقنها الصغير المستدير والذي تقف غمازة عميقة على منتصفه أو كما يطلقون عليها «طابع الحسن».

إنها جميلة.. كل ما فيها جميل.. حتى شعرها البندقي اللون جميل وهو يقف على بدايات كتفيها.. ومشطته أمينة

بفرشاتها.. فقط لو تعلم كيف تجعله أكثر غزارة وكثافة.. لكنه جميل حتى وهو خفيف.. ربما لو لم يكن ناعماً إلى هذه الدرجة لبدا أكثر كثافة لكنه يبقى جميلاً هادئاً ناعماً في نعومة حبها وعشقها لنيل شارع المنتزه ولمديحة رغم رحيلها وعشقها الأكبر لحبيبها وخطيبها سليم عبد المجيد..

أسابيع ويغفو إلى جوارها.. أسابيع ويصبح وجه سليم عبد المجيد هو الوجه الذي يعانقها كلما فتحت عينيها كل صباح وكلما أغلقتهما كل مساء!

* * *

قاربت الساعة الثانية عشرة ظهراً. . إن يوم الأحد دوماً أصعب الأيام في عملها أو ربما هو كذلك في كل البنوك. . ولكن ليس هذا سبب صعوبة اليوم الوحيد. . كل روّاد بنك سوسيتيه جنرال بالزمالك يفضلون التوجه إليها. . نهى زميلتها في المكتب المجاور دوماً تقول لها إن جمالها هو السبب لكن أمينة وكل من في البنك يعلمون أن جمالها ليس وحده السبب. . كل رواد البنك يعلمون دقتها وإخلاصها في العمل. . إنها الوحيدة التي تغلق هاتفها الصغير متى دخلت البنك. . كل لحظة هنا هي للعمل البنكي ولخدمة العملاء. . لقد ورثت هذه الروح عن والدتها رحمها الله.

آهة صغيرة انطلقت من شفتيها رغماً عنها. . ماتت مديحة وهبي منذ عام. . ماتت مديرة الشؤون القانونية للبنك منذ عام وهي تجلس وراء مكتبها. . ماتت بعد التحاق أمينة بالعمل في البنك معها بعامين. . ماتت مديحة وأمينة تجلس وراء هذا المكتب.

وبلا وعي نظرت أمينة بطرف عينيها إلى الهاتف الموضوع على مكتبها. . حادثتها مديحة في ذلك اليوم لتسألها هل أنهت

عملها ليعودا إلى المنزل. . لم تكن تشكو من شيء بل قالت لها إنها ستدعوها هي وسليم إلى السينما في الليل لمشاهدة فيلم لشون كونري. . مديحة كانت تعشق هذا الرجل. . كانت هادئة حانية كعادتها وبعد أن أغلقت معها الخط تأخرت مديحة في الظهور ولم ترد بعدها على أمينة عندما طلبتها. . تجاوزت الساعة الثالثة تقريباً عندما صاحت إحدى موظفات البنك في الدور العلوي حيث وجدت مديحة منكفئة على مكتبها كأنها تضم الأوراق إلى صدرها ووجهها. .

أخرج صوت عمّ صالح أمينة من ذكرياتها حيث كان يضع أمامها كوب النسكافيه قائلاً:

إيه يا آنسة أمينة. . دي تالت مرة أغير النسكافيه. .

ونظرت أمينة إلى وجه صالح العجوز لتسقط منها دمعة صغيرة لم يرها صالح بل مضى يقول:

الله يرحمك يا ست مديحة. . كانت زيك ممكن يعدي اليوم كله وتنسي تشرب بق مية واحد. . صحيح اللي خلف مامتش. .

وابتسمت أمينة ابتسامة صغيرة مريرة. . رحلت مديحة وبقيت أمينة تعمل مثلها في صبر وفي وفاء. . وأيضاً في ألم كبير ما زالت أصابعه تخنقها كل يوم.

وأخذت أمينة كوب النسكافيه بين أصابعها. . لو لم يكن سليم في حياتها عند رحيل مديحة لماتت أمينة معها. .

وعادت تنظر إلى إصبع يدها اليمنى. . أسابيع قليلة وتنتقل

الدبلة إلى إصبعها الأيسر.. لم تعد تستطيع الانتظار أكثر من هذا.. آن لها أن تهدأ وتغفو بين ذراعيه كل مساء.. أربعة أعوام من الحب والعشق أعلنا خطبتهما منذ عامين.. كان من المفترض أن يتم زواجهما قبل تسعة أشهر، ولكن منذ رحيل مديحة وأمينة تتخبط وتتردد في اتخاذ القرار.. منذ رحيل مديحة وعزت والدها لا يعرف كيف يتخذ بعدها قراراً.. كانت مديحة مسؤولة عن كل شيء في البيت.. عزت ضعيف أو ربما كان مشغولاً بقصة هواه القديمة التي ما استطاعت مديحة أن تعيده منها إلى أرض بيته.

وهزت أمينة كتفيها.. فليصنع ما شاء.. ستتزوج هي سليم ويرحل عنها عزت في أسابيع قليلة.

عادت أمينة تلتفت إلى نهى بعد أن سمعتها تناديها لتسمعها تقول:

إيه.. هو أنت يابتشتغلي يا سرحانة؟!

ولوحت لها أمينة بيدها ثم قالت:

نروح فين نتعشى أنا وسليم يا نهى النهارده؟ زهقنا من مطاعم الزمالك والدقي ما تعرفيش حتة كويسة؟

وقبل أن تجيب نهى تقدم أحد العملاء إلى مكتب أمينة ينهي إجراءات وديعة خاصة به. وبعد أن قام عن مكتبها أقبلت نهى نحو أمينة لتميل عليها قائلة:

مش بأقولك.. الجمال له ضريبة.. أهو كان شايفك بتشربي النسكافيه وشايفني أنا فاضية لكن برضة جالك انت.. الجمال مش دايماً نعمة.

وعادت أمينة تضع كوب النسكافيه على شفتيها المكتنزتين الورديتين في هدوء وهي تنظر إلى وجه نهى.. نهى ليست جميلة، ملامحها ليست متناسقة.. أنفها أطول قليلاً مما يجب وعيناها صغيرتان غائرتان وشفتاها نحيلتان إلا أن أمينة ترى ابتسامتها جميلة ومرحها الطفولي يضفي عليها جمالاً لا تشعر به نهى أبداً. ووضعت أمينة كوب النسكافيه أمامها واستدارت تقول في حنان:

نفسي يا نهى تبصي صح في مرايتك.. الجمال مش ملامح وتقاطيع.. الجمال روح..

وصاحت بصخبها اللذيذ قائلة:

الرجالة يا حبيبتي مالهمش في لعبة الأرواح.. الرجالة عايزين أبدان..

وقاطعتها أمينة قائلة:

مش كلهم يا نهى مش كلهم.. الشوية اللي بتتكلمي عنهم ما يستاهلوش واحدة زيك..

وعادت نهى تصيح:

والكتير اللي بتتكلمي عنهم دول سكتهم فين؟

وبالهدوء نفسه وبصوتها الحالم الهادئ قالت أمينة:

أول خطوة في طريقهم أنك أنت تبقي شايفة جمالك الحقيقي وتبقي عارفاه ومؤمنة بيه عشان ينتقلّهم وهما كمان يشوفوه ويحسوا بيه..

صدقيني زي ما عشق الروح والجوهر غالي وعمره طويل

الوصول ليه برضة طريقه طويل.. انت من أحلى البنات اللي عرفتهم وتستاهلي راجل حلو.. حلو من جوا يا نهى عشان يحس بحلاوتك وجمالك بس حسي أنت الأول بيهم.. هي دي النعمة الحقيقية واللي يستاهلوها.

* * *

رفعت يامنة عينيها في هدوء ثم قالت بصوتها القوي:

جاز.. أنتِ فين؟

وفي أقل من لحظة كانت جاز تقف أمامها وهي تقول:

أنا كنت في الزريبة يا أم سليم.. فيه حاجة؟

بعينيها الثاقبتين نظرت إليها قائلة:

اسمعي.. ما تروحيش دارك النهارده غير لما تنضفي المندرة بكرة الصبح حيكون عندنا حاجات كتير.. سليم حيوصل الضهر ولازم الأكل يكون جاهز.

لكن جاز قاطعتها في صوت خفيض قائلة:

يوصل بالسلامة يا رب.. حاعملّه المهروكة اللي بيحبها.. والصبح حاخبز له المقرن أنا عارفة ياست يامنة..

وأشاحت لها يامنة بكفها السمراء لتمضي جاز إلى غرفة الخزين في هدوء.

وبقيت يامنة في بهو البيت تنظر حولها في صمت، كل شيء مرتب ونظيف.. كل شيء في منزل عبد المجيد أبو عمران كما هو.. وسيبقى كل شيء على حاله حتى تموت.

المندرة ستبقى إلى جوار باب البيت الرئيسي.. وأمامها

سيبقى البهو الذي تجلس فيه يامنة لتشاهد التليفزيون أو تستقبل إخوتها الذين يزورونها كل صباح تقريباً.

عادت تنظر إلى العمود الكبير الذي يقف في منتصف الدار وبجواره طلمبة الماء. هذا العمود يذكرها دوماً بسليم وحيدها.. سليم هو العمود الذي تقف عليه حياتها. سليم هو الأمل الذي سيحقق لها حلم العمر..

خطت يامنة بجسدها الطويل الرشيق إلى غرفة الخزين لتتابع جاز التي أسرعت بخطاها نحو باب البيت الخلفي ويامنة خلفها تملي عليها قائمة الطعام التي يجب أن تعدها في الغد عند حضور سليم.. وفي اللحظة التي فتحت فيها جاز الباب الخلفي الذي يطل على ساحة البيت الخلفية، طارت الطيور حولها وسارعت جاز إلى إشعال فرن البيت لتقوم بخبز أقراص الفايش والمفتل لطعام الغداء.. وانسحبت يامنة في هدوء لتغلق على جاز الباب عائدة إلى بهو البيت الداخلي من جديد.. وفي طريقها إلى البهو الصغير المقابل للمندرة حيث كانت تنوي الجلوس ومشاهدة التليفزيون، غيرت يامنة فجأة رأيها لتصعد على سلم البيت الخشبي إلى الدور العلوي حيث لا شيء سوى ثلاث غرف للنوم.. غرفة لها وغرفة لسليم وغرفة أخرى مغلقة كانت تحلم يامنة بأن تكون غرفة لأبناء سليم يوماً.

دخلت يامنة إلى غرفتها وجلست على سريرها في هدوء ثم خلعت الشال الذي تربط به شعرها كل صباح ونظرت حولها في سكون.. سليم سيحضر غداً ولكن لماذا هي ليست سعيدة.. مضت شهور على سليم لم يحضر فيها إلى سوهاج.. لم يحضر

فيها إلى نجع الحواويش.. لم يحضر فيها إلى بيت يامنة.. دار والده رحمه الله.

ورفعت يامنة عينيها تحدّق حولها.. ترى لو كان عبد المجيد والد سليم ما زال على قيد الحياة هل كان سيتمكن من ثنيه عن زواجه بأمينة؟! أبداً. يامنة تدرك جيداً أن ما فعلته هي يجاوز ما يمكن أن يفعله رجال العمارنة كلّهم مع سليم.. كانت تتمنى لو تزوجه إحدى بنات الريانية أو الكوامل.. كل عائلة في سوهاج تحلم بأن تدخل يامنة إلى دارهم لتطلب أجمل بناتها لسليم.. النجع بأكمله يحب يامنة.. النجع بأكمله لا يوجد على ظهر أرضه رجل يرفض لها طلباً.. وحده سليم فعلها.. حاولت كثيراً.. لكنها رأت سليم للمرة الأولى في حياته وحياتها يبكي وهو يخبرها أنه فعل كل شيء لإرضائها وما زال على استعداد لأن يقتل نفسه رمياً بالرصاص إن أمرته.. لكن إلا أمينة.

كانت يامنة تظنّه السحر.. بنات مصر يفعلن كل شيء لاستمالة الرجل.. ولكن حين رأت يامنة أمينة وأمها مديحة علمت أنهم لا يعلمون شيئاً عن السحر أكثر مما تعرفه هي نفسها.

لم تستطع يامنة أن تكره أمينة لكنها أيضاً ما استطاعت أن ترحب بزواجها من سليم.

أمينة جميلة كانت في الخامسة والعشرين يوم ذهبت لخطبتها.. رقيقة.. بشرتها صافية وردية كأن جلدها أرقّ من جلود كل نساء الأرض.. أمينة جميلة هادئة لا تختلف في شيء عن مديحة.

عادت يامنة تتنهّد في حزن.. لقد أحبّت مديحة وأصبحت

تكنّ لها الكثير من الود والاحترام.. لقد بكت يامنة يوم علمت بموتها.. يامنة بكت مديحة وهي التي لم تبكِ منذ يوم رحيل عبد المجيد والد سليم أجمل شباب العمارنة وأكثرهم هيبة وبهاء.

ضاقت عينا يامنة أكثر وهي تحاول أن تتذكر تلك الدمعات الصغيرة التي هربت من عينيها يوم ذهبت لتقديم واجب العزاء في مديحة وهبي.

هل بكت يامنة يومها لأن مديحة ماتت دون أن تشعر ولو لحظة أن يامنة حقاً تحبها وترى فيها امرأة تستحق الحب والاحترام.. ولكن لا أحد في نجع الحواويش يعرف من تحب يامنة أو من تكره أو إن كانت حقاً تحب أو تكره.. حتى سليم نفسه لم يرها يوماً تتألم أو تشكو..

يامنة لا تبتسم.. يامنة لا تبكي.. لكن دمعات صغيرة هربت من عينيها في بيت مديحة وهبي.. دمعات لم ترها أمينة التي كانت في حالة انهيار كامل.. هل كانت تبكي مديحة وهبي أم تراها تذكرت نفسها يوم حملوا لها جثة عبد المجيد زوجها ووالد سليم بعد خمسة أشهر من زواجه بها؟ كانت تجلس هنا على هذا الفراش لترتاح قليلاً قبل عودته لتناول طعام الغداء.. كانت يامنة حاملاً في شهرها الرابع، وفي لحظة سمعت دقّات على باب البيت وبعدها سمعت صرخات جاز وعويلها.. ركضت يامنة يومها على سلالم البيت الخشبية لتجدهم يحملون جثة عبد المجيد أجمل شباب عائلة العمارنة وأكثرهم هيبة وحباً في قلوب سكان النجع بأكمله.. ربما لأن مديحة ماتت كما مات عبد المجيد دون مقدمات.. دون شكوى.. دون ألم.. ربما

لهذا هربت دمعاتها الصغيرة ولكن أمينة لم تر دمعاتها حزناً على مديحة ولم ير كائن على أرض النجع أيضاً دمعاتها على رحيل عبد المجيد.. يامنة دفنت دموعها في حدقتيها منذ تسعة وعشرين عاماً.. كانت دمعات صغيرة تهرب فقط وهي تحمل سليم بين ذراعيها بعد ولادته لترضعه.

رفضت يامنة أن تترك دار عبد المجيد عمران وتعود إلى أسرتها ولم يقو أحد على أن يجادلها.. يامنة لا ترد لها كلمة ولا يستطيع أحد أن يقف أمامها.. هكذا أراد لها أبوها وعلى هذا تفتحت أعين أخويها علي وعبد السلام.. هكذا بقيت يامنة.. امرأة لكنها بألف رجل من رجال نجع الحواويش.

تسعة وعشرون عاماً تقريباً مرّت على رحيل عبد المجيد ويامنة لا حلم لها سوى أن يكبر سليم ويصبح قاضياً ويتزوج لينجب لها عبد المجيد ليعود اسم أجمل شباب العمارنة إلى الحياة من جديد..

سليم لم يخذلها في شيء.. أنهى دراسته والتحق بالحقوق وتفوق فيها والتحق بعد تخرجه بالنيابة العامة وها هو الآن وكيل نيابة.. سليم لم يخذلها في شيء.. لهذا ما استطاعت أن ترد دموعه وهو يرجوها أن تقبل زواجه بأمينة.

أمينة؟! ربما كان هذا هو الوقت الذي يجب أن تعتاد فيه وتتعلم كيف تحب أمينة.. أمينة هي التي ستحقق لها حلم العمر.. أمينة وحدها التي ستعيد اسم عبد المجيد إلى الحياة من جديد.

لماذا إذن ليست سعيدة بحضور سليم في الغد؟

ربما لأنها تعلم أنه سيخبرها بموعد زفافه.. آه لو تعلم يامنة طريقة ما تثني بها سليم عن زواجه بأمينة.. لو يوجد طريق واحد أيا كان ثمنه لما توانت يامنة لحظة عن اقتحامه.. أي طريق.. لا يهمها إن كان الثمن ملايين.. يامنة تملك الملايين من ميراثها عن والدها.. ستدفع كل ملايينها ولا يتزوج سليم عبد المجيد فتاة من مصر.. لن تمس مليماً واحداً من ثروة أبيه.. هي مستعدة للتضحية بميراثها هي وثروتها هي.. فقط لو تعلم.. لكن ما تعلمه.. حقاً أنه لا فائدة.. كادت تفقد سليم عندما زاد ضغطها عليه يوماً.. حقاً لا شيء يقضي على الرجال إلا العشق.. وسليم عبد المجيد عاشق لهذه الأمينة..

وفي ملل كبير مدت يامنة يدها إلى الشال لتربط به شعرها من جديد وتتجه إلى باب الغرفة..

كفاها ذكريات.. سليم سيتزوج أمينة.. وأمينة ستصبح زوجته وأم عبد المجيد هذا هو ما يجب أن تتذكره يامنة.

سليم على حق.. لقد فعل كل شيء كما أرادت فلتترك له هي شيئاً واحداً يريده.. ستتركه يتزوج أمينة عزت تلك الشابة التي تخرجت في الجامعة الأميركية والتي تذهب كل صباح للعمل مع رجال ونساء في أحد البنوك الأجنبية..

من أجلك يا سليم ومن أجل عبد المجيد الراحل وعبد المجيد القادم سترضى يامنة بما لم يكن من الممكن أبداً أن ترضى به يوماً من أيام عمرها!!

* * *

أسرع عزت إلى خارج البيت وهو يصيح:

يا ريس.. اطلع.. رجع الكنبة اللي في إيدك.. دي مش حتنزل.

وعاد الشاب الأسمر وهو يتمتم:

حضرتك قلت نزلوا العفش اللي في الصالة كله..

لكن عزت عبد الرحيم قال بصوته الهادئ:

إلا الطقم دا..

وعاد عزت معه ليهبطا بالأريكة التي يكسوها قماش القطيفة الذهبية ووضعاها بين مقعدين من البارجير في وسط صالة المنزل التي أصبحت خاوية تماماً.

ووقف عزت يدفع لهم نقود إخراجهم الأثاث من بيته وأشار الشاب من جديد إلى حقيبة صغيرة في ركن صالة البيت الكبيرة وعاد عزت يبتسم قائلاً:

كل العفش إلا الطقم دا وكل الشنط إلا الشنطة دي.. نص الحساب أهو والنص التاني حتاخدوه في شقة اسكندرية لما تنزلوا العفش فيها.. حتلاقي هناك اللي يحاسبك ويفتحلك الشقة.. أما توصل كلمني في التليفون.

أغلق عزت عبد الرحيم باب البيت في هدوء ليلتفت وينظر حوله في شعور لا يفهمه.. هل هو حزين؟ هل هو سعيد أم خائف.. أم هو كل ذلك معاً؟

وألقى عزت بجسده على الأريكة ثم أخذ يتحسس قماشها بكفّيه. كانت مديحة لا تجلس إلا عليها وكانت أمينة دوماً تستلقي بجوارها وهي تضع رأسها على فخذي مديحة ليشاهدا معاً التليفزيون.. أعوام طويلة لم ير عزت فيها مديحة تجلس في مكان آخر ولم ير أيضاً أمينة تجلس إلى جوارها على هذه الأريكة.. مديحة تجلس وأمينة تستلقي ورأسها على فخذي أمها وقدماها مرفوعتان على جانب الأريكة.. حتى في ليلة مديحة الأخيرة رآهما في الوضع نفسه. مديحة تثرثر وأمينة تتحدث عن سليم وعن حفل زفافهما الذي تأجل لموت مديحة في الصباح التالي.

وأرخى عزت جفنيه في هدوء.. كان يتمنى أحياناً موت مديحة.. كان يشعر أنه يريدها أن ترحل ليقترب من أمينة أكثر وأيضاً ليحقق حلم عمره.. يريد أن يتزوج هالة.. هالة!! نعم.. لمَ لا؟

أمينة ستتزوج سليم في هذا البيت.. سليم دفع له مبلغاً كبيراً، دفع هو جزءاً منه لمالك العقار وأصبحت الشقة باسم أمينة ابنته واشترى هو بالجزء الباقي شقة على البحر مباشرة في سيدي بشر بمدينة الاسكندرية..

حلم عمره أن يعود إلى الاسكندرية.. حلم عمره أن يُقبّل البحر بعينيه كل صباح.. حلم عمره أن يبحث عن هالة من

جديد.. قد يموت في لحظة كما ماتت مديحة.. قد يموت وهو يجلس على مقعده في مصلحة الضرائب.

لقد أنهى اجراءات التقاعد المبكر.. ما بقي له من العمر سيقضيه على البحر.. سيقضيه في البحث عن هالة.. من يعلم؟ قد يجدها.. قد يتزوجها.. عندها لن يندم أبداً أو يحزن إن مات في لحظة ما دامت كفّه بين كفّيها.. لم يكن يوماً ناجحاً في وظيفته.. كان مجرد موظف كآلاف الموظفين الذين ينتشرون على الأرصفة والطرقات كل صباح.. لكنه نجح وتفوق في الاحتفاظ بهالة في قلبه وعلى جلده.. حتى مديحة كانت تراها في عينيه.. كانت تشعر بها بين ذراعيه كلما أغمض هو عينيه.. لم ينكر يوماً أنها ما زالت تعشش في رأسه ولم تنجح مديحة يوماً في اقتلاعها من جذور قلبه.. مديحة كان همها الأكبر أن تركض وتعمل وتجني النقود لتلتحق وحيدتها أمينة بأفضل المدارس ثم بالجامعة الأميركية.

مديحة في الأعوام الأخيرة أصبحت لا تأخذ منه قرشاً واحداً لكنها كانت تعلم أنها من خلاله توفر قروشاً كثيرة.. عزت يعود قبلها إلى البيت.. عزت يطهو طعام الغداء كل يوم.. عزت يشتري قائمة الحاجات التي تتركها له مديحة ومعها النقود.. لم يستطع يوماً أن يقول لا.. وكيف يقولها ومديحة هي معيلة البيت.

لكن لمَ يظلمها؟! هي لم تهنه يوماً.. هي فقط يئست منه وأعلنت له منذ أعوام طويلة أنه أصبح لا شيء سوى اسم في خانة الزوج لها واسم في خانة الأب لأمينة.. عزت في حياة

مديحة اسم وصورة يتحركان إلى جوارها في دعوات البنك الكبيرة التي كانت تقيمها..

مديحة كانت ناجحة.. ذكية.. قوية.. لم تدعه يوماً يذهب إلى الإسكندرية.. لم يقلها ولكن أيضاً لم تمنحه الفرصة ليقولها.. مديحة أخبرته أنها تكره الإسكندرية وتكره ذكر اسمها.. كلاهما يعلم السبب ولكن لم يجرؤ أحدهما على الإفصاح.

سبعة وعشرون عاماً قضاها مع مديحة.. لا يذكر لها كلمة سيئة ولكن لا يذكر لها لحظة حالمة.. مديحة كانت رأساً لا يهدأ.. أما عزت فهو لا شيء سوى قلب ينبض بحب امرأة التقاها في العام السابع من زواجه وعاش معها قصة حب عاصف انهار أمام جبروتها واعترف لمديحة بها عند عودته من تلك الشهور التي قضاها عندما نُقل إلى الإسكندرية.

عندما عاد بكى واعترف لمديحة.. بكى كطفل صغير وحكى لها أنه يحب هالة وأنه لم يعد يقوى على الحياة بدونها... كان يظنها ستفهم.. لكن من قال إن النساء يفهمن شيئاً لا يلاقي في قلوبهن هوى.

لم تصرخ مديحة.. لم تغضب.. نظرت إليه يومها في هدوء وبعد صمت طويل قالت إنها نزوة ستغفرها.. قالت إنها قطرات مطر سقطت على وجه عزت لتغسله وترى مديحة وجهه الحقيقي.

قالت إن كل شيء بداخلها نحوه تغيّر ولكن لا شيء في حياتهما سيتغير.

لم يفهم لحظتها عزت شيئاً ولكنه حادث هالة بعدها كثيراً فلم يجدها.. مرة واحدة فقط أخبرته فيها أنها تزوجت ولا تريد رؤيته أبداً.

هرب عزت في أحد الأيام وذهب إلى الإسكندرية كالأطفال لكنه لم يصل إلى هالة.. كأنها لم تكن أبداً على خريطة الأحياء.. وعاد في المساء مهزوماً مكسوراً.. ربتت يومها مديحة على كتفيه وقالت في سخرية مريرة.. إن ذهابه إلى الإسكندرية حماقة ستضيفها هي إلى قائمة حماقاته ولكن هي آخر ما في القائمة.

مديحة رأس جبار وعزت قلب ضعيف.. كيف مرت الأعوام.. لا يعلم.. هي تركض إلى البنك وهو يركض إلى الضرائب.. إلى البيت.. إلى جوار مديحة وخلف مديحة إلى دعوات العشاء ومع أخيها الدكتور المستشار أدهم وهبي.. ورحلات العمل وإجازات الصيف والشتاء.

مديحة كانت تحركه بعينيها وأمينة تكبر كأنها مديحة أخرى.. جمالها.. هدوؤها.. رأسان كبيران.. مديحة لم يكن قلبها ينبض إلا بحب أمينة.. وأمينة قلبها لم ينبض إلا بحب مديحة وحب أكبر اسمه سليم عبد المجيد.

ليته كان مثلهما ولكنه ما كان ولن يكون.. مديحة رحلت وأمينة يكفيها أن تحيا بين ذراعي سليم وهو يجب أن يتحرر..

في الصباح التالي من زواج أمينة سيبدأ رحلة بحثه عن هالة.. بأعوامه التسعة والخمسين سيجوب شوارع الإسكندرية بأكملها بحثاً عنها.. بشعره الأبيض الكثيف.. بقامته الطويلة

سيرفع رأسه وينظر إلى كل نافذة بحثاً عنها.. لن يموت كما ماتت مديحة.. سيحيا ويحيا قلبه ويجد هالة ويتزوجها..

مديحة ليست هنا ليخافها.. لن تستطيع أبداً أن تلوح له بإصبعها مهددة له كطفل صغير.

مديحة ماتت.. نعم ماتت منذ عام كامل.. وأمينة ستتزوج.. لن يخجل من أحد.. لن يخاف أحداً ولن يعاقبه أحد.. عزت عبد الرحيم سيجد هالة طلبة ويتزوجها ويحيا ما بقي له من أعوام.

* * *

عاد سليم بأصابعه السمراء الطويلة إلى دولاب ملابسه من جديد وهو يبتسم.. تذكر أنه وعد أمينة ألا يرتدي بذلة هذا المساء.. هو أيضاً بدأ يصيبه الملل من كثرة ارتدائه للبذلات الكاملة.. عمله في سلك النيابة والقضاء يحتم عليه أن يرتدي بذلة كاملة كلما توجه إلى العمل ولكن حتى لو ارتدى المايوه ملامح سليم عبد المجيد تقول إنه في كامل ملابسه الرسمية.. وأخرج قميصاً من القطن الأسود.. لكنه أعاده إلى دولاب ملابسه مرة أخرى.. سيفاجئ أمينة هذا المساء.. سيرتدي القميص الذي أهدته إليه منذ شهور والذي صاح حين رؤيته في ذهول وهو يقسم ضاحكاً أنه لو ارتداه لضربته يامنة بالرصاص.. إن لونه روز أو كما قالت أمينة «سيمون».. إن لونه هادئ رقيق ولكن لا يعلم لمَ يظن سليم أن جميع الألوان الهادئة والرقيقة لا تناسب سوى أجساد النساء..

سيرتديه.. بل سيرتدي معه البنطلون الجينز «الليفايز» الذي لم يرتده يوماً.. يريد أن يسعد أمينة هذا المساء.. يريد أن يسعد هو بسعادتها.. يريد أن يسعد بضحكاتها ليحمل هذه الضحكة معه صباح الغد عندما يتوجه إلى سوهاج.. سيغيب عنها

أسبوعاً.. سيمنحها هذا المساء من السعادة ما يكفيها حتى عودته.

وارتدى بنطلون الجينز والقميص السيمون القطن ووقف ينظر إلى المرآة وهو يمشط شعره الأسود القصير.. إنه جميل. عيناه الواسعتان وحاجباه الكثيفان أجمل ما فيه.. إن لعينيه نظرة ثاقبة هادئة تجعل كل من يتحدث إليه يشعر أن لا طريق أمامه سوى الصدق والاستسلام.. أنفه المستقيم.. شفتاه المكتنزتان وأسنانه البيضاء دعوة تتمنى كل امرأة لو تلبّيها...

يعلم أنه وسيم.. يعلم أيضاً أن جسده الطويل الأسمر دعوة أخرى لكل من يراه بأن يشهق شهقة صغيرة تفصح عن اعجاب لا اختيار سواه.. لا شيء يعيب سليم سوى هذه الجدية التي تكسو ملامحه.. إن أمينة تهلل إن رأته يبتسم يوماً.. لكنه ليس غليظ الملامح أو متجهم الوجه.. كل ما في الأمر أن سليم عبد المجيد لم يسمع يوماً ضحكات يعلو صوتها في دار والده ولم ير يامنة يوماً تضحك أو تبتسم.. لهذا لم يتقن فن الابتسام يوماً.. ربما عمله في النيابة أيضاً جعل ابتساماته نادرة أو «عزيزة» كما يقولون، ولكن لِمَ ينكر؟

ساعدته جدية ملامحه هذه على النجاح في عمله.. بل منذ أصبح وكيل نيابة قصر النيل وهو يشعر بأنه ينال احتراماً أكبر ونجاحاً أكبر منحاه مهابة على مهابة نشأته في قلب صعيد مصر.

وأنهى سليم ارتداء ملابسه وقبل أن يغادر غرفته عاد ينظر إلى مرآته.. لا يصدق.. سليم عبد المجيد يرتدي الجينز وقميصاً وردياً.. ورقصت قدمه لحظة كأنه قرر أن يخلع ما

ارتدى لكنه حملها بعيداً عن الغرفة.. حقاً يريد أن يرى أمينة وهي تبتسم ابتسامة كبيرة.

وفي الطريق إلى الزمالك كان سليم لا يفكر إلا في وجه أمينة عندما تراه.. ستصرخ.. ربما تقع من المفاجأة.. لكن سليم عاد يقطب حاجبيه وهو يتخيل وجه عزت والدهشة تكسوه؟! وعاد ينظر في ساعة سيارته «التويوتا» السوداء.. حتى سيارته الجديدة اختارها سوداء.. سليم لا يختار.. سليم يتحرك وفق خطوط وأصول هي التي تنتقي له الألوان والأماكن وتحدد له حجم الضحكة وأوان اطلاقها.. إنه جاد.. صادق لكنه طيب حنون.. يعشق أمينة عزت وقريباً سيضمّها بين ذراعيه صباحاً ومساء.. قريباً ستصبح أمينة زوجته وأم أبنائه وسيقترب بها من قلب يامنة.. يامنة أمه..

يامنة أيضاً طيبة القلب وستحب أمينة لأنها تعلم كم يحبها سليم.. سليم أيضاً يعشق يامنة ومن أجل عشقه هذا أمينة ستحبها وتغفر لها كلماتها التي قد تبدو جافة بعض الأحيان.

ووقف سليم بسيارته في شارع المنتزه تحت العمارة المطلة على أحد أجمل وأعرض مساحة للنيل.. وقف وهو يرقب باب العمارة الزجاجي، الذي يكسوه حديد فيرفورجيه سميك منحوت بدقة وبهاء على غرار كل العمارات القديمة الجميلة في حي الزمالك، وابتسم في هدوء.. سينتقل إلى الحياة في هذا المكان قريباً بعد زواجه أمينة.. المكان قريب إلى مقر عملها.. المكان فيه ذكرياتها مع مديحة رحمها الله والتي يعلم سليم كم كان رحيلها صدمة كبرى لأمينة.. المكان أيضاً يحمل عبق أحلى

ذكريات عمره هو الآخر يوم التقى أمينة في بيت خالها المستشار أدهم وهبي الذي يسكن الشقة المقابلة لبيت أمينة.. رآها سليم للمرة الأولى في بيت خالها.. كان سليم يزوره لأنه صديق قديم لأحد أخواله وكان التقاه حين كان يعمل قاضياً في سوهاج..

سليم يعشق هذا الرجل وعشق أيضاً ابنة أخته الوحيدة. عشقها منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها.

هو أيضاً يعلم أن أدهم بيه بحاجة إلى بقاء أمينة إلى جواره.. لقد رحلت زوجته منذ أعوام طويلة دون أن ينجبا.. لقد أخبره المستشار أدهم أن أمينة ليست ابنة مديحة أو عزت وحدهما.. لقد كانت أمينة ابنته وقرة عينيه هو وزوجته المتوفاة..

هذه العمارة الأنيقة العتيقة يسكن بين جدرانها كل من يحبهم سليم عبد المجيد في أرض قاهرة المعز.. وفي أسابيع قليلة سيصبح هو أحد سكانها..

سليم عبد المجيد حقاً سعيد لأنه سيسكن هنا في المكان الذي يضم أمينة وخالها أدهم وهبي وذكرياته وذكرياتها في أول لقاء لأكبر وأجمل حب في عمريهما معاً.

وفي طريقه إلى مصعد العمارة عاد سليم يبتسم.. ماذا لو التقى المستشار أدهم الآن.. ما تراه يقول وهو يراه يرتدي الجينز والقميص السيمون؟

المستشار أدهم لن يقول حرفاً.. إنه هادئ متزن.. سيكتفي بأن يضمه إلى صدره ويبتسم إحدى ابتساماته الطيبة ويخبره أنه في شوق إلى اللحظة التي ينتقل فيها للإقامة معهم ليشعر أن ابنه وابن

اخته مديحة، الذي حلما طويلاً بانجابه أصبح يحيا في الباب المقابل لبيته..

أدهم وهبي حتى وإن رأى سليم عبد المجيد يرتدي القميص السيمون وبنطلون الجينز فلن يفعل شيئاً سوى أن يدعو له ولأمينة بكل الحب والسعادة.

ووقف سليم عبد المجيد يدق جرس الباب وهو ينظر إلى ساعة يده.. إنها السابعة مساء.. وصل قبل الموعد بنصف ساعة تقريباً.. كان الطريق خالياً ولكن كل لحظة هي هدية له ولأمينة هذه الليلة.. سليم سيغيب عنها أسبوعاً كاملاً..

وفتحت أمينة الباب.. كانت ترتدي روباً من الحرير الأحمر وتمسك بيدها فرشاة سيشوارها. كان واضحاً أنها ما زالت تستعد لخروجها مع سليم ورفعت عينيها تنظر إليه باسمة وهي تقول:

مش معقول.. تتحسد جي بدري.. ادخل يا سليم.

وتبعها سليم بسرعة لتغلق خلفه الباب.. كان رأسه ما زال يرفض أن يفتح خالها بابه المواجه لأمينة ويراه بما يرتديه ولكن أمينة لم تلحظه بعد!!

وقف سليم ينظر حوله.. البيت خال من الأثاث تماماً وأمينة كانت في طريقها إلى الداخل لتنتهي ارتداء ملابسها إلا أنها استدارت بحركة سريعة مجنونة كأنها تريد التأكد من شيء ما رأته ولا تصدقه عيناها..

وقفت تنظر إلى سليم الذي أرخى عينيه في شيء من الخجل والاضطراب.. إلا أن أمينة قذفت بتلك الفرشاة التي كانت بين أصابعها إلى الهواء وركضت إلى سليم في جنون وهي تصيح:

الله يا سليم.. الله يا حبيبي..

ورمت بنفسها بين ذراعيه وهي تتمتم:

مش قادرة أصدق.. انت سخن يا سليم؟! أنت سخن؟!

ضمها سليم بين ذراعيه وقال في صوته الهادئ:

خشي يا أمينة البسي. هو عمي عزت فين؟!

وضغطت أمينة نفسها إلى صدره أكثر وهي تقول:

بيصلح عربيته.. زمانه جي.. أنا قلتله إنك جاي الساعة سبعة ونص.

وحار سليم وهو يشعر بها تلتصق به أكثر.. وزادت حيرته وهو يشعر بنفسه يضمها أكثر لكنه عاد يقول:

طب ادخلي يا أمينة البسي..

ورفعت أمينة وجهها إليه.. هو يعلم أنها عارية.. يعلم أن لا شيء على جسدها سوى روب الحرير.. يعلم أنها تذوب شوقاً إليه ولكنها تعلم أن سليم عبد المجيد لن يحاول الوصول إليها أبداً قبل زواجهما.. ومدت أمينة شفتيها إلى شفتَي سليم لتقبله ورفع سليم يده ليغوص بها في خصلات شعر أمينة واستسلم لقبلتها في لهفة ولكن ككل مرة تلتقي فيها الشفاه.. ككل مرة تتلامس فيها الوجوه، سليم هو الذي يبتعد عنها.. وابتعد وهو يهمس في أذنيها بحنان كبير:

مينو.. يللا.. عشان خاطري..

وابتسمت أمينة في هدوء وأنفاسها تتلاحق بين ضلوعها لكنها مضت وهي تحكم إغلاق الروب على جسدها لتنحني وتلتقط الفرشاة. وقبل أن تختفي عن عينَي سليم قالت:

سليم.. أنا بحبك بجد.. أكتر من روحي يا سليم.. اكتر من روحي..

وألقى سليم بنفسه على الأريكة الذهبية وهو ينظر حوله.. قام عزت بنقل الأثاث أخيراً.. عند عودة سليم من الصعيد سيتسلم الأثاث الجديد الذي اختاره مع أمينة.. في نهاية الشهر سيصبح ويمسي هنا مع أمينة.. وأغمض عينيه كأنه يستعيد إحساسه بأمينة وهي بين ذراعيه.. لو تعلم أنه يريدها أكثر مما تريده هي بآلاف المرات.. لو تعلم كيف يقاوم شوقه إليها.. لو تعلم لما نظرت إليه تلك النظرة العاتبة الغاضبة كلما أبعدها عن صدره أو فارقت شفتاه فمها.. ولكن في نهاية هذا الشهر، عندما تصبح أمينة زوجته، ستعلم أن لا رجل على وجه الأرض يحب امرأة أو يشتهيها كما يحب سليم أمينة ويشتهيها!

وصاح سليم من مكانه:

أنا حاكلم عمي عزت يا أمينة.

وقبل أن يخرج سليم هاتفه الصغير كان عزت يفتح الباب وهو يصيح:

عمك عزت أهو.. أنا شفت عربيتك تحت يا سليم أنا آسف يا حبيبي..

ونهض سليم يقبل عزت في احترام كبير.. ولم يجلس عزت إلى جواره إلا بعد أن غاب وعاد يحمل كوبين من الشاي وهو يقول:

الشقة بقت جاهزة تجيبوا العفش فيها يا ولاد.

وأجاب سليم قائلاً:

أنا رايح سوهاج بكرة.. أسبوع مع أمي.. أنا بقالي كام شهر مارحتلهاش وأما أرجع نفرش ونحجز ونحدد الفرح إن شاء الله.

وابتسم عزت وهو يقول:

وأنا كمان أروح أعيش جنب البحر اللي فضلي من عمري يا سليم.

وقبل أن يرد سليم ظهرت أمينة وهي ترتدي بنطلوناً من الجينز وقميصاً من اللون الوردي الفاتح القريب من السيمون كأنها قررت أن ترتدي ما يجعلها هي وسليم شخصاً واحداً.

كان شعرها كعادته ناعماً مسترسلاً على كتفيها. وكانت عيناها مرسومتين بعناية أظهرت اتساعهما وجمالهما.. وعلى شفتيها الممتلئتين مرت بقلم من اللون الوردي من نفس لون قميصها الذي تركت بعضاً من أزراره مفتوحة. إلا أنها أغلقتها بعد أن رأت عينَي سليم تلومانها في صمت قبل أن تتجه للجلوس معهما.

وابتسم عزت بعد أن رأى ما حدث.. سليم سيبقى صعيدياً وهو يطمئن على أمينة معه ويطمئن أكثر وهو يراها تحبه دون أن تغضب أو تتذمر من بعض القيود التي يفرضها عليها.

وقال عزت في حنان:

يللا.. اخرجوا انتوا.. خدي بالك من سليم يا أمينة..

وابتسمت أمينة وهي تضع على خد عزت قبلة صغيرة وقبل أن يخرجا صاح عزت قائلاً:

أمينة.. لما ترجعي يا حبيبتي حتلاقي ورق وحاجات لقيتها تحت العفش وهما بينقلوا النهارده.

وابتسمت أمينة وهي تلوح له وتهز رأسها..

لا ورق ولا رسائل على الأرض تهمها الآن.. ما يهمها أن تتأبط ذراع سليم عبد المجيد الذي يرتدي الجينز وتخرج مع هذا الشاب الذي تُسبح عروقها باسمه ليلاً ونهاراً.

* * *

خيوط الضوء كانت تتسلل إلى نوافذ دار عبد المجيد أبو عمران.. إنها السابعة تقريباً.. ساعات ويصل سليم.. يامنة تعرف موعد قطارات سوهاج جميعها.. سليم سيأخذ قطار الحادية عشرة صباحاً وسيصلها قرابة السادسة أو السابعة مساء.. من هذه اللحظة ستبدأ في الاستعداد لقدومه يجب أن تتأكد أن جاز تصنع كل شيء كأجمل ما يكون..

لقد اعتادت يامنة فراق سليم منذ التحاقه بالجامعة في القاهرة.. لقد ألح عليها كثيراً في الانتقال معه.. ولكن عبثاً.. دار عبد المجيد ستبقى مفتوحة.. دار عبد المجيد أبو عمران لن تُطفأ مصابيحها ليلة واحدة.. علي وعبد السلام أخواها ألحا عليها أيضاً في أن تعيد بناء الدار على طراز حديث.. بيوت الأثرياء ما عادت كدار عبد المجيد أبو عمران.. ديار الأثرياء في سوهاج أصبحت فيلات وقصوراً. دار عبد المجيد ستبقى أيضاً كما كانت عليه دوماً.. طلمبة الماء في وسطها.. الزريبة في مؤخرتها.. كل شيء سيبقى حتى يولد ويكبر عبد المجيد الصغير الذي سينجبه سليم.. يامنة ستحمل عبد المجيد على ذراعيها وتحكي له عن كل ركن.. عن كل قطعة في هذه الدار.. لا

شيء سيتغير.. يامنة اعتادت غياب سليم ولكنها لا تستطيع أبداً أن تسيطر على اضطراب قلبها وخفقانه كلما علمت أنه آت.. ساعات ويأتي سليم وشهور يولد بعدها عبد المجيد الصغير.. يجب أن تستعجل موعد الزواج.. يجب أن تنسى تماماً ثنيه عن الزواج بأمينة.. كفاها وهم.

وتنهّدت يامنة في ألم وهي تضع الشال حول رأسها لتنزل إلى بهو الدار لتتابع استعدادات قدوم سليم.. وفي اللحظة التي خطت فيها خارج غرفتها رأت سليم يخرج من غرفته وهو يرتدي جلبابه الأبيض وصاحت يامنة وهي لا تصدق عينيها:

سليم.. ولدي.. وصلت أمتي؟!

واندفع سليم نحوها يضمها بين ذراعيه قائلاً:

حالاً.. غيرت هدومي وكنت جي أصحيك..

وقبلت يامنة كتفيه ثم قالت في دهشة:

لكن القطر يوصل الساعة ستة..

وقاطعها سليم قائلاً:

أنا جيت بالعربية يا أم سليم.. ما قدرتش أضيع نص اليوم بعيد عنك.. أنا ما نمتش.. روحت أمينة بيتها بالليل وطلعت على سوهاج..

وبابتسامة مريرة سألته يامنة عن أمينة ثم قادته إلى أسفل الدار لتجد جاز أمامها وقبل أن تنطق يامنة حرفاً قالت جاز:

عشر دقايق وأحلى فطور يكون جاهز يا سليم بيه..

وجلس سليم ويامنة يتحادثان.. أخبرها أن زواجه سيكون

بعد أسبوعين على الأكثر وأخبرته أنها ستتكفل بكل نفقات الزفاف.. ما عساها يامنة تفعل بثروتها إن لم تضعها بين يدي سليم.

وبأمل صغير ما زالت يامنة تعجز عن اقتلاعه من بين ضلوعها قالت في صوتها الجاد:

سليم يا ولدي.. لسه مصمم على أمينة.. قبل الفرصة ما تضيع.. فكر كمان مرة عشان خاطر أمك..

ورفع سليم عينيه الجميلتين ونظر إليها ليقول بصوت لا يخلو من الألم:

وبعدين يا أم سليم.. ماخلصناش من الحكاية دي عاد..

ورفعت كفها كأنها تعتذر قائلة:

خلاص.. ربنا يسعدك.. لكن ما تعديش سنة غير وعبد المجيد بين دراعاتي يا سليم فاهم؟!

وابتسم سليم وقبل أن يجيب أخرج هاتفه الصغير من جيب جلبابه ليقول في صوت خفيض:

دي أمينة.. أنا نسيت أطمّنها إني وصلت.

ونظرت يامنة إليه في حزن..

ماذا صنعت به هذه القاهرية النحيلة؟

وسمعته يقول في حنان بالغ:

طيب يا حبيبتي.. خدي بالك من روحك.. مش حانام لغاية ماتوصلي.. حتى لو نمت يا أمينة حاخلي التليفون مفتوح.. محمد رسول الله يا عمري..

وأغلق سليم الخط ونظر إلى يامنة وراح يشرح لها:

أمينة.. واحد زميلها في البنك حياخدها كرداسة عشان تشوف سجاد حرير..

وخفضت يامنة عينيها في تأفف تنظر إلى كفها السمراء.

سليم عبد المجيد خطيبته في طريقها إلى مكان ما مع شاب غريب من البنك الأجنبي وحدها لتنتقي قطعاً من السجاد..

وحدها معه ولا تُعلم سليم إلا وهي في الطريق ودون إذن مسبق منه!

وفي النهاية يخبرها أنه لن يغفو قبل أن يطمئن على سلامة وصولها.

حقاً العشق وحده يهزم الرجال!

* * *

وقف أدهم وهبي بأعوامه التي جاوزت الستين عاماً يتدلى من شرفة بيته المطلة على نيل الزمالك..

تأخرت أمينة في العودة.. قاربت الساعة منتصف الليل وتنهد في ابتسامة صغيرة وجلس على أحد مقاعد الشرفة المصنوعة من البامبو وأخذ يرشف كوب اليانسون المسائي في هدوء..

ما زال ينظر إلى أمينة كطفلة صغيرة.. ما زال يتمنى لو يصطحبها إلى كل مكان حتى وهي في صحبة سليم..

هل تراه يهدأ بعد زفافها؟! هل تراه يهدأ حقاً وتهدأ مخاوفه عليها عندما تصبح زوجة..

وترقرقت في عينيه دمعة وهو ينظر إلى صفحة النيل القريبة.. أمينة ليست ابنة مديحة أخته الوحيدة التي ذبحه رحيلها المفاجئ ذاك الصباح.. أمينة ليست صبية جميلة رقيقة وقف أدهم خالها على ولادتها ونموها يوماً بعد يوم..

أبداً.. أمينة أيضاً حلمه الضائع..

أدهم ومديحة تركتهما أمهما وهما طفلان وانفصلت عن

أبيهما رحمه الله لتتزوج رجلاً من دولة قطر وانتقلت للحياة معه لتغلق صفحة طفليها..

وحده مدحت وهبي قام بتربيتهما.. وحده مدحت وهبي كان يتابع دروسهما ودرجات الامتحانات.. مديحة كانت أصغر من أدهم لكنها لعبت دور الأم له ولأبيها.. كانت أم وأبنة.. كانت جادة وكأن رحيل أمها نزع من روحها كل المرح وكل الانطلاق.. مديحة يوم انتقت عزت عبد الرحيم للزواج انتقته لأنه أقل منها. انتقته لأنه سيتبعها ولن يعارضها في شيء.

تزوجت مديحة عزت بعد زواج أدهم من ثريا بأعوام عديدة..

وأغمض أدهم عينيه في ألم من جديد..

ثريا زوجته رحمها الله.. كانت امرأة رائعة.. احتملته كثيراً وتبعته في كل مكان تدرج فيه في كاريير القضاء.. جابت معه المحافظات والنجوع والقرى.. منحته كل شيء إلا الأطفال..

حاولت كثيراً وطويلاً.. أجرت بضع عمليات وزارت أطباء كثراً وذرفت أنهاراً من الدمع. كانت تعلم أن أدهم يعشق الأطفال وأن مدحت والده كان يحلم بأن يحمل بين ذراعيه ابن أدهم.. أعوام وهي تحاول.. أعوام وهي تلهث وتركض وفي النهاية أعلنت، بعدما أعلن لها الأطباء، أن لا فائدة.. ستموت من كثرة الهرمونات والعمليات..

قالت لوالده مدحت رحمه الله إنها يئست. طلبت منه أن يزوج أدهم ويجد له عروساً.. قالت إنها لن تقول لا..

لكن مدحت رحمه الله ضمّها إلى صدره أمام أدهم وقال لها

في حنان إن زوجة مثلها كنز يجب ألاّ يلمس مشاعره أحد.. قال لها إنه أنشأ ابنه أدهم وابنته مديحة على القيم.. على المثل.. على الوفاء.. والرضا.

الوفاء والرضا يحتمان على مدحت أن يقبل بمشيئة الله وحكمه..

رحم الله مدحت والده.. كان حكيماً طيب القلب.. حين تزوجت ابنته مديحة كان يحادثها كل يوم ليسألها عن الحمل..

أكرمه القدر وأصبحت مديحة حاملاً منذ الشهر الأول لزواجها. وفي اللحظة التي علم فيها مدحت وأدهم بحمل مديحة فعلا المستحيل لإقناعها بالانتقال إلى الزمالك..

وكأن يد القدر كانت تريد مساعدتهما والتخفيف عنهم جميعاً.. في تلك الأيام تركت الأسرة التي تسكن الشقة المقابلة له سكنها وأسرع أدهم يتصل بمالك العقار وكتب عقد الشقة باسم مديحة رحمها الله دون حتى أن تعرف.

بعد أن أنهى كل شيء ذهب هو ووالده مدحت إليها وإلى عزت وبيدهما عقد الشقة الجديد..

عزت لم يعترض.. عزت لم يعترض يوماً على شيء.. وانتقلت مديحة وعزت ليصبحا جارَي أخيها أدهم وأبيها وثريا رحمهما الله.. كانت أحلى أعوام حياتهم جميعاً..

مدحت رحمه الله وثريا وأدهم نفسه الذي كان في القاهرة في تلك الأيام، يتابعون حمل مديحة يوماً فيوماً.. كان الجميع يتمنّون أن تلد مديحة طفلاً يحمل اسم الرائع مدحت.. حتى ثريا وعزت كانا يحبّان ذلك الرجل في جنون..

وعاد أدهم ينظر من شرفته.. تأخّرت أمينة..

حين علم مدحت وهو على باب غرفة الولادة أن مديحة أنجبت أنثى قال في فرح «أمينة» لأننا سنأتمنها على أحلامنا وأيامنا!!

رأى أدهم والده العجوز وزوجته الحزينة يعودان طفلين صغيرين.. مدحت عاش أحلى عام في عمره.. كانت مديحة تذهب إلى عملها في البنك وكان أدهم يذهب إلى عمله في القضاء والنيابة وعزت إلى مصلحة الضرائب. وكان مدحت وثريا يعيشان الحياة والحب مع الصغيرة أمينة..

وعاد مدحت يسأل مديحة عن حمل جديد وطفل جديد لكنه مات.. مات مدحت وهي قبل أن تكمل أمينة عامها الأول..

وكلما ضم أدهم أمينة شعر أنه يشم فيها رائحة أبيه من كثرة التصاقه بها.

كبرت أمينة بين أذرع ثريا ومديحة.. لم تدلل فتاة كما تدللت أمينة خاصة عندما مرت الأعوام ومديحة لم تحمل بطفل آخر.

كانت ثريا إن سافرت مع أدهم إلى أحد نجوع مصر أو مدنها، عادت كل شهر لرؤية أمينة.. كانت أمينة تناديها دوماً «ماما ثريا»..

وزفر أدهم أنفاسه في ضيق.. أين أنت يا أمينة؟!

وتدلى أدهم من جديد ليرى سيارة سليم السوداء تقف على باب العمارة لتهبط منها أمينة ويتبعها سليم. رآها أدهم تلقي بنفسها بين ذراعَي سليم لتختفي داخل العمارة، وابتعد عن سور الشرفة.. لا يريد أن يراه سليم لئلا يشعر بالحرج بعد عناق أمينة له..

وسمع صوت المصعد وبابه ودخل مسرعاً ليفتح باب بيته ومن خلف نظاراته المستديرة الصغيرة وبابتسامة حانية قال:

الساعة اتنين صباحاً وخالك مش عارف ينام دا كلام برضة يا عروسة؟!

وركضت أمينة إليه لتحتضنه في حنان وهي تصيح:

وحشتني يا خال.. وحشتني.. مادام مش نايم أدخل.. عندي ليك مليون حكاية.

ودخلت أمينة خلفه إلى البيت وهي تحكي ألف قصة وألف حكاية.

لقد حجزا قاعة الزفاف.. لقد أحضرا أثاث البيت بأكمله.. كل شيء جاهز حتى السجاد الحريري تسلّمته أمينة.. عزت أيضاً نقل كل أغراضه إلى شقة الإسكندرية.. حتى ملابسها الجديدة أصبحت في مكانها..

كانت تقف إلى جوار أدهم في شرفة البيت وتثرثر وهي تنظر إلى ابتسامة النيل التي تؤمن بأن لا أحد سواها على الأرض يراها لا لأن سكان مصر لا يرون ولكن لأن نيل مصر لا يبتسم لأحد سواها.

وحين التفتت إلى وجهه الأبيض المستدير رأت أمينة تلك الدمعات التي وقفت في عينيه وصمتت لحظة ثم انحنت تضم أدهم وهبي وسمعته يقول في صوت خفيض:

ثريا الله يرحمها كان نفسها تشوفك وأنت عروسة ومديحة كمان..

وضمته أمينة إلى صدرها أكثر قائلة:

ماما وماما ثريا معانا.. معانا يا خالي.. لا عمرهم فارقوك ولا فارقوني..

وبحزن عاد أدهم يقول:

أمينة.. لسه بتكتبي لمديحة؟!

وابتعدت أمينة عنه قليلاً وهي تقول:

كل صبح باقولها صباح الخير وكل ليلة قبل مادخل سريري باقولها كل اللي حصل.. كل اللي حصل.. سنة.. سنة وأنا حاسة أنها معايا ليل ونهار..

وشعر أدهم بالضيق لأنه أخذها إلى ردهات الألم والذكريات وقال ضاحكاً:

شفت سليم وهو بيحضنك..

وابتسمت أمينة في خجل وقالت:

أنا اللي حضنته يا خالي.. تصور وكيل نيابة وقرب يبقى قاضي وبيتكسف.

وقاطعها أدهم قائلاً:

ربنا يسعدك بيه.. دا راجل ابن رجالة.. انت ما تعرفيش سليم عبد المجيد دا إيه.. دا هدية ربنا ليك ولمديحة ولينا كلنا يابنتي.. حطيه في عينيك. والله والله العظيم يا أمينة أنا حاسس أني حاجوز بنتي لابني!!

* * *

عندما أغلقت أمينة باب البيت بعد عودتها من بيت خالها راحت تنظر حولها في فرحة كبرى.. تغيرت ملامح البيت.. الريسبشن بدهاناته الجديدة المبتكرة من اللون البيج الغامق وستائره النحاسية الداكنة، يبدو أكثر أناقة وبهاء.. الشقة واسعة.. طقم الصالون الأوبيسون اليدوي الأنيق بدا في كامل بهائه.. حتى غرفة الطعام الفرنسية المطعمة بقطع النحاس كانت أيضاً أنيقة.. رفض عزت أن تفك عنها أمينة تغليفها وأخبرها أنه سيفعل ذلك ليلة زفافها حتى لا تتسخ وكي تكون هي وسليم أول من يجلس على قماشها الذي اختارته أمينة من اللون البني الداكن.

ومضت أمينة نحو ركن المعيشة الذي ما زالت تحتله الأريكة الذهبية القديمة.. وتحسستها بأصابعها. ستبقى هذه الأريكة بقماشها الذهبي القديم تحمل آثار أصابع ورائحة مديحة وجلوسها اليومي عليها.. والتفتت تنظر إلى شاشة الـL.C.D ذات الخمسين بوصة، التي تحتل الحائط المواجه لها.. ستجلس هي وسليم كل يوم على هذه الأريكة.. ستضع رأسها على فخذيه

كما كانت تفعل مع مديحة رحمها الله. ومن خلف الأريكة ستنظر أمينة وهي تعانق سليم، إلى النيل وهو يبتسم لها.

ومضت أمينة في هدوء إلى غرفة نومها.. سرير من اللون البني الداكن وبعض قطع النحاس المشغولة وأربعة أعمدة تتهدل عليها شرائح من الأورغانزا النحاسية.. ونظرت إلى الفراش في حنان.. أقل من أسبوع ويغفو سليم على صدرها على هذا الفراش..

سليم كان سخياً.. منحها مهراً كبيراً. كذلك قدّم لها أدهم خالها مبلغاً من المال لتشتري كل ما تريده وتحلم به ليصبح البيت بهذا الجمال والأناقة..

واشعلت أمينة أباجورة صغيرة على تسريحة غرفتها الجديدة ووقفت تخلع ملابسها ونظرت إلى جسدها العاري في خجل..

كتفاها مستديرتان بيضاوان.. جسد أمينة النحيل كله رغم بياضه الناصع، مشبع بلمحة وردية جميلة تجعل جلدها غير جلود النساء جميعهن..

ونظرت إلى نهديها المتلئين وردفيها المستديرين في خجل وسعادة كأنها فخورة بأنها ستمنح سليم كل هذا الجمال ليستمتع به وتستمتع هي بجمالها وجسدها الرقيق البض بين أصابعه..

وارتدت قميصها الأزرق.. إنها متعبة.. كان يوماً طويلاً. وغداً أيضاً يوم آخر طويل. وقبل أن تدخل فراشها تحسست بأصابعها البيضاء النحيلة دفتر مذكراتها وابتسمت..

ليست مذكرات. إنها رسائل يومية تكتبها إلى مديحة..

رسائل ما انقطعت عن كتابتها منذ يوم رحيلها ولن تتوقف حتى يأتي اليوم الذي ترحل هي فيه عن أبنائها. .

وجلست أمينة على «السكرتيرة» الفرنساوية الأنيقة التي تحتل أحد أركان الغرفة وفتحتها وأمسكت بالقلم وكتبت:

ماما. .

لن أقول ليتك معي بل سأقول أنت دائماً معي. . البيت أصبح رائعاً. . كل الألوان التي حدثتك عنها زمناً وكل الأقمشة التي كنا نبحث عنها في محلات الديكور والأقمشة. . كل شيء كما أردتُه وأردتِه لي يوماً. .

اسبوع واصطحبك معي في قلبي إلى حفل زفافي. . خالي أدهم سيصطحب ماما ثريا معه في قلبه. . زفاف ابنتك أمينة سيكون كما حلمنا به دوماً. . سأبقى أحبك وأكتب إليك دوماً. .

ويوماً سيقرأ أحفادك وابنائي أنا وسليم ما أكتبه إليك ليتعلموا كيف يكون الحب. .

تصبحين في قلبي على خير دوماً.

وأغلقت أمينة دفتر مذكراتها ورسائلها اليومية وألقت بجسدها على فراشها وهي تتحسس في حنان. . هنا سيغفو سليم. . هنا سيضع في جسدها بذرة أغلى أحلام مديحة وثريا. . ستنجب أمينة أحفاداً لأدهم ومديحة.

شيء واحد ستختلف فيه مع سليم. . سليم يريد أن يطلق اسم أبيه على أول مولود لهما وأمينة تريد أن تطلق عليه اسم جدها.

ابتسمت أمينة وهي تغمض عينيها. العاشقان سيجدان حلاً لهذه القضية.

وأغمضت عينيها وأصابعها تحتضن الوسادة التي سيضع عليها سليم عبد المجيد رأسه بعد أيام.

* * *

ألقت نهى بحقيبة يدها على سرير غرفتها في عصبية كبرى لتعود وتغلق الباب بالمفتاح وتقف أمام المرآة زافرةً أنفاساً متلاحقة ثائرة.

عادت لتوها من عند مصفف الشعر.. يجب أن تذهب إليه كل أسبوع أو كلما غسلت شعرها.. ونظرت إلى المرآة في غضب. إنها حتى لا تجرؤ على أن تغسل شعرها في البيت.. لا تستطيع أن تتخيل أن يرى أحد شعرها الأكرد.. بل هي دوماً تذهب إلى محل الكوافير في صباح الجمعة الباكر لتغسله ثم تجلس تحت المشوار قبل أن تدخل نساء كثيرة إلى المكان.

أخبرها سعد هذا الصباح وهو يفرد شعرها أنه وجد ثلاث شعرات بيضاء.. لقد بدأ الشيب يغزو رأسها.. قالت له في هدوء إن الشيب وراثة في عائلتهم بل كذبت وأخبرته أن نادية اختها الصغيرة ذات الأعوام الخمسة والعشرين في رأسها أكثر من عشرين شعرة بيضاء..

لكنها تكذب فشعرُ نادية بنّي ناعم جميل.

نادية تزوجت ونهى بلغت الثلاثين وما زالت.. ما زالت؟!

لا، إن الكلمة الصحيحة أن نهى بلغت الثلاثين وأصبحت

عانساً. نعم عانس لا ينظر إليها رجل.. وسقطت دمعة على حافة عينيها.. لِمَ لم يخلقها الله جميلة مثل نادية أو أمينة؟

وعادت تنظر إلى وجهها في غضب.. لو كان أنفها أجمل.. لو كانت عيناها أكثر اتساعاً.. لو كانت اسنانها أكثر انتظاماً.. لو كان حتى شعرها ليس أكرد.. فماذا كان سينقص من الكون؟

حتى جسدها لا ملامح له.. صدرها كأنه ليس موجوداً. لا أحد يلمحه أو يراه.. هي نفسها تتحسسه بيدها فتشعر به كأنه صدر ماجدة، طفلة رضا بواب العقار.

يا رب.. لا شيء!! لا شيء أبداً!

لا وجه جميل ولا حتى جسد مثير!

وألقت بنفسها على حافة السرير كأنها تقع عليه وتذكرت كلمات أمينة لها عن سحر ابتسامتها وجمال روحها وعادت تبتسم في سخرية مريرة. ماذا تفعل بابتسامتها الجميلة؟ هل تبتسم طوال الوقت.. ستصبح كالبلهاء.. وما عساها تفعل بجمال روحها؟ من يراها؟ من يشعر بهذه الروح؟

ثلاثون عاماً ولم يقترب رجل منها.. أو حاول أن يبدي إعجاباً أو يظهر تودداً..

في إحدى فترات عمرها كانت تبحث عن شاب وسيم يرى جمال روحها وسحر ابتسامتها التي تعلم أنها جميلة ولكن كل رجل وسيم يبحث عن امرأة أجمل منه وأكثر إثارة وجاذبية.

أعوام من البحث علمت بعدها نهى أنها غبية.

لماذا يرضى رجل في وسامة سليم عبد المجيد مثلاً بفتاة مثل نهى..

من الغباوة أن تصدق هذا. الرجل الوسيم يبحث عن امرأة جميلة مثيرة مثل أمينة عزت..

وقررت أن تقبل برجل دميم ولكن حتى الرجال الأقل وسامة لم يُقبل أحد منهم على نهى بجدية.. وعلمت نهى أنه غباء. الرجل الدميم يكره دمامته ويصيبه الملل من النظر إليها في المرآة..

الرجل الدميم يصرّ أكثر على الزواج بفتاة جميلة يستمتع بجمالها ويخطو إلى جوارها ليخبر الجميع أنه رجل رائع فيه من المزايا الكثير وإلا ما تأبطت ذراعيه امرأة في جمال من تخطو إلى جواره..

علمت نهى أن روحها الجميلة وابتسامتها الساحرة ومرحها لن تنجح يوماً في الإيقاع برجل أوسيماً كان أم دميماً.

إنها عانس وها هي الشعيرات البيضاء تغزو رأسها وستصبح مضطرة إلى صبغها، وإلى الذهاب كل يوم جمعة في الصباح الباكر لتغسل شعرها عند مصفف الشعر حتى لا يرى حقيقته أحد..

ونظرت نهى إلى مرآتها في ألم كبير وألقت بوجهها بين كفيها وبكت في مرارة؟!

لِمَ لم تكن هي أمينة عزت؟ لِمَ لم تكن نهى أي امرأة على الأرض؟

امرأة يلقي رجل ما بكلمة اعجاب في أذنيها أو رجل تشع

عيناه بالرغبة فيها كزوجة أو حبيبة أو حتى أنثى يحلم بالوصول إليها وإلى جسدها تحت أي مسمى كان؟

يا رب.. وحدك تعلم أن نهى سليمان تعشق أمينة عزت صديقتها الجميلة وزميلتها في البنك.. لا هي تحسدها ولا تحقد عليها.. ولكن أمينة أصغر منها بأعوام.. أمينة يحبها رؤساؤها أكثر ويتجه إليها عملاء البنك ويعرضون عليها خدماتهم وصداقاتهم.. أمينة تسبقها دوماً في الترقية رغم أحقية نهى بها لأقدميتها. ولكن كل هذا يحدث لأن أمينة جميلة مثيرة..

يا رب أنت تعلم أن نادية أختها الصغرى أكثر منها طمعاً وتأخراً في الدراسة وكسلاً في العمل.. ولكن نادية تزوجت شاباً وسيماً من عائلة طيبة.. نادية حتى أمها تحبها أكثر وتستجيب لرغباتها أكثر.. وكل هذا لأن نادية جميلة.

أنت تعلم أنها تحب نادية أختها الصغرى.. تحبها.. لقد منحتها عشرة آلاف جنيه من مدخراتها لتشتري بها حجراً أكبر من الماس لخاتم خطبتها دون علم أمها.

نهى تحبها وتدعو لها بكل السعادة والخير ولكن لِمَ لا يبادلها أحد بالمثل؟ ألأنها ليست جميلة؟ ألأن عينيها أصغر وشفتيها نحيلتان وأسنانها غير منتظمة؟ ما ذنبها في كل هذا؟!

وأجهشت نهى في البكاء أكثر وهي تفكر.. ما ذنبهم هم أيضاً.. ما ذنب عين أي رجل تراها وتفضل عدم الاقتراب منها؟

لقد جبل الله النفوس على حب الجمال. لا ذنب لرجل يحب الجمال.. كل الرجال يعشقون الجمال.. جمال الملامح

وجمال الجسد أما جمال الروح فهو شيء آخر لا يراه ولا يقدّره سوى الخالق وحده. .

إن كانت أمها ووالدها وأختها لم يشعروا بجمال روحها أو يحبّوها بسببه فلمَ تطلب هذا من الغرباء؟

ليس عدلاً أن تفعل. . يكفيها أن أمينة عزت صديقتها وزميلتها في البنك الأهلي سوستيه جنرال الزمالك تراه وتشعر به.

من يعلم فقد تجد يوماً رجلاً كما حدث مع أمينة، له عينان تدخلان إلى روحها وتعشقهما. يوم قد يأتي وتصبح نهى سليمان زوجة لرجل له قلب أمينة عزت عبد الرحيم وعيناها.

* * *

في قاعة ألف ليلة بفندق النيل هيلتون. كانت أمينة تجلس بثوبها الأبيض الرقيق المصنوع من الساتان المطرز بخيوط ذهبية تضم لآلئ صغيرة في نقوش رقيقة بديعة. كانت طرحتها أكثر رقة وجمالاً وكان شعرها البنّي مجموعاً في شينيوه جميل هادئ على أعلى رأسها ويظهر فوق الشينيوه تاج من اللؤلؤ وقطع الإلماس. .

كان ماكياج أمينة هادئاً وعيناها البنّيتان الواسعتان تعكسان بريقاً لا حدود له. . بشرتها البيضاء الوردية كانت صافية باسمة. . كانت أمينة سعيدة وهي ممسكة بيد سليم الكبيرة.

سليم أيضاً كان أكثر وسامة من كل يوم مضى. . السعادة تضفي جمالاً فوق الجمال.

يامنة جاءت مرتديةً ثوباً أسود أنيقاً رغم بساطته. صدرها كان عليه كردان من الذهب المشغول. وأخذت تتنقل بين موائد القاعة في فرحة كبرى.

هناك طاولات كثيرة يجلس إليها كثير ممن جاءوا من سوهاج خصيصاً لحضور زفاف سليم عبد المجيد. وهناك أيضاً طاولات أكثر التقى حولها أقارب وأصدقاء سليم ممن يعيشون في مصر. .

أمينة تفتح عينيها في ذهول وهي لا تصدق أن كل هؤلاء تركوا صعيد مصر واختاروا الحياة في مصر.

أيضاً كل موظّفي بنك سوستيه جنرال الزمالك كانوا حول أمينة وسليم في زفافهما.

وحينما انحنت نهى لتقبل أمينة وتأخذ هي وكل موظّفي البنك معها صورة، قالت نهى في هدوء:

أمينة.. أنت زي القمر الله أكبر.. عمره ما حتكون فيه عروسة في مصر في جمالك..

ضمتها أمينة في حنان إلى صدرها وهي تقول:

عقبالك يا نهى.. عقبالك وصدقيني حتكوني ساعتها أحلى وأجمل عروسة مش في مصر لأ في الدنيا..

ابتسمت نهى في هدوء كأنها حقاً تصدقها وابتعدت عن أمينة وسليم وذهبت إلى طاولة في آخر قاعة ألف ليلة وليلة لتجلس وحدها وهي تحلم بذاك اليوم الذي تؤمن أنه لن يأتي أبداً.. ومن حلمها الصغير أخرجها صوت حنون يقول:

نهى.. ازيك يا بنتي؟! أنا أدهم خال أمينة.

نهضت نهى وهي تعتذر.. إنها تعرفه جيداً. لقد رأته عند زياراتها لأمينة لكنها كانت غائبة في حلمها.. وأخذها أدهم بين ذراعيه قائلاً:

عقبالك يا نهى.. عقبالك..

وابتسمت نهى وجلس أدهم إلى جوارها وهو ينظر حوله في سعادة كبرى.

إن أدهم وهبي سعيد كما لم يذق السعادة يوماً في عمره.

إنه زفاف أمينة ابنته وابنة أخته الوحيدة وابنة زوجته الطيبة الراحلة.. وهو أيضاً زفاف سليم ابنه وابن أخت عبد السلام الذي التقاه في أيام صباه يوم كان قاضياً في سوهاج... لم يصدق يوماً أن تمرّ الأعوام وتتزوج أمينة من سليم ذاك الطفل الصغير اليتيم الذي كان يركض في دار خاله كلما زاره أدهم في ذاك الوقت.

إنه سعيد.. سعيد بيامنة رغم أنه أكثر من يعرف قوتها وصلابتها. ولكن يامنة لن تقترب من أمينة. يامنة ستحيا وتموت في دار زوجها كما كانت دوماً تقول.. لكنها في عينَي أدهم سيدة عظيمة رائعة يسعده ويزيده شرفاً أن تكون أم زوج ابنته.

ورأت نهى رجلاً يتقدم بخطواته الهادئة نحو الطاولة التي يجلسون إليها.. إنه رجل في منتصف الأربعين تقريباً. قال في حنان:

أدهم بيه.. ألف مبروك.

ونهض أدهم يحييه وهو يقول:

اتفضل أقعد معانا.

الآنسة نهى.. زميلة أمينة وصاحبتها الأنتيم.

وابتسم وهو ينظر إلى خالد قائلاً:

الأستاذ خالد شكري المحامي.. في الحقيقة هو المحامي الوحيد اللي باحبه واحترمه.. أنت عارفة كل القضاة والمستشارين عندهم حساسية من المحامين مع أن المحاماة هي نهايتنا كلنا.. اتفضل.. اتفضل يا خالد أقعد معانا.

وجلس خالد إلى جوار أدهم وهبي وأخذا يتبادلان أحاديث

متفرقة. لم تحاول نهى أن تشاركهما فيها. كانت حائرة لا تعلم ماذا تفعل..

خالد شكري أسمر، وسيم، شعره ناعم متدرج تتخلله شعرات بيضاء قصيرة.. عيناه هادئتان لكن حزينتان وشفتاه مستديرتان وأنفه معتدل.. إنه وسيم ونهى تعلم أن من الغباء أن تتحدث إلى رجل وسيم.. غالباً ما يظنونها تنصب شراكها حولهم ولكن هذا مجرد مدعو عادي جاء للسلام على المستشار أدهم وهبي.. ربما كانت زوجته متعبة أو مريضة أو مشغولة.. ليس معقولاً أبداً أن يكون رجل في وسامته وعمره بلا زواج..

نهى ومن مثلها فقط هنّ من لا يتزوجنّ.

وجاءها صوت أدهم يسأل:

مالك يا نهى؟! أنا حاستأذنكم شوية أروح أدور على عبد السلام اللي قاعد في وسط الصعايدة وناسيني..

ونهض خالد وبقي كذلك حتى ابتعد أدهم عن الطاولة وعاد ليجلس أمام نهى. وبعد لحظات من الصمت قال:

حضرتك صاحبة أمينة من زمان؟

* * *

كان حفل الزفاف جميلاً وكل من فيه كانوا سعداء. أخوال سليم رقصوا كثيراً وطويلاً وصفق لهم الجميع.. لم تظنّ أمينة أبداً أن رقصات الصعيد بهذا الجمال.. كانوا يرتدون جلابيب يظهر من خلفها القفطان بأقلامه الرقيقة.. كان على كل رأس عمامة بيضاء وفي كل قدم حذاء جديد لامع.. عائلة سليم رغم ملابس الصعيد بدت أنيقة لا تقل ارستقراطية أو أناقة عن أي من مدعوي أمينة عزت وعائلة والدتها، أو حتى من بعض أعضاء هيئة القضاء الذين جاءوا لمجاملة سليم.

رقصت أمينة مع سليم الذي كان لا يعرف كيف يرقص معها إلا على طريقة صعيد مصر.. رفض أن يرقص معها التانجو. وابتسمت أمينة دون غضب لترقص وحدها مع خالها وعزت رقصات أخرى كثيرة..

يامنة قبّلت أمينة في نهاية الليلة وأخرجت من حقيبتها السوداء مبلغ عشرين ألف جنيه منحتها لسليم الذي رجاها طويلاً أن تبيت في القاهرة لتزوره في الصباح إلا أنها قالت في تصميمها الواضح:

النور ما يطفيش ليلة في دار أبوك وأنا ماباتش برا داره ليلة يا سليم.

والتفتت يامنة تنظر إلى أمينة لتقول لها كأنها تأمرها:

تسع شهور وآجي أبارك في بيتك يا أمينة بعبد المجيد الصغير.. تسع شهور مش أكتر..

وابتسمت أمينة ابتسامة صغيرة تلونت معها خدودها بحمرة الحياء والدهشة من جمل يامنة الآمرة دوماً.

أمينة أيضاً رفضت المبيت في فندق الهيلتون. قالت لسليم إن ليلتها الأولى معه يجب أن تكون في بيتهما.. لن يتركا ذكرى الليلة الأولى في غرفة سكنها ألف شخص وعلى فراشها نامت ألف عروس.

كانت سيارة سليم السوداء مزدانة بالشرائط والزهور ودخلت أمينة تجلس إلى جواره.. بينما ودّع عزت الجميع ليأخذ سيارته إلى الإسكندرية واعداً بالعودة في الغد..

كان سليم يتعجل العودة إلى البيت ليأخذ أمينة بين ذراعيه.. وعزت كان يتعجل سفره إلى الإسكندرية ليبدأ رحلة بحثه عن هالة طلبة..

لقد أخبر أمينة أنه سيعود في الغد. لكنه يعلم أنه لن يعود قبل أيام.

من قال إن أمينة وسليم يريدان عودته.. سيحادثهما في مساء الغد ويختلق لهما الأعذار التي يعلم أنهما سيرحبان بها. هما أيضاً ليسا بحاجة له.

خالها إلى جوارها والأهم أنها بين ذراعي سليم فما عساه حضوره يصنع لهما. من الغد سيبدأ رحلة بحثه عن حب عمره القديم.

عزت أكثر من يتعجّل الرحيل.

روح عزت وقلبه يهفوان إلى لحظة اللقاء الكبير.

* * *

خلعت أمينة طرحتها في هدوء وهي تنظر في مرآة غرفة نومها لترى وجه سليم منعكساً عليها يرقبها في حنان وابتسمت لتستدير بجسدها نحوه، فاقترب سليم بعد أن خلع جاكيت حُلّته السوداء، وضمّ أمينة بين ذراعيه في حنان كبير وهو يهمس بحبّه في أذنيها. وقالت أمينة:

غيّر هدومك يا سليم..

ورفع سليم عينيه ينظر إليها ثم عاد يقول وشيء من الخجل يطلّ بين حروفه:

أقولك حاجة؟ أنا جعان يا أمينة.

وضحكت أمينة وهي تقول:

أحضر لك حاجة تاكلها.. طباخ خالي محضَّر أكل. حاسخنه في الميكروويف.

ثم أطرقت برأسها في خجل كأنها حائرة وسألته:

عايز تاكل دلوقتي؟

وفي حيرة أكبر قال سليم:

ينفع؟

وبهدوء عادت أمينة بكفّيها إلى ظهرها لتفتح سوستة ثوبها

وما إن رأى سليم ثوبها على وشك السقوط من على جسدها حتى التقط بيجامته الموضوعة على مقعد التسريحة وقال:

أنا حا آخد حمام وأغير.

وسقط ثوب أمينة تحت قدميها لتنظر في مرآتها بحيرة أكبر.. لكنها ارتدت قميص نومها الذي كان بلون قشرة ليمون.. كان قميصاً عاري الصدر والظهر ويقف على منتصف فخذها ومدت يدها لتضع روباً من الساتان الأغمق قليلاً وأغلقته على جسدها ثم اتجهت إلى المطبخ حيث نظرت إلى ما أعده لهما الطبّاخ من طعام.

وفي لحظة قررت أن تترك ما أعدَّه وصنعت بعضاً من ساندوتشات الجبنة الموتزاريلا الساخنة وعادت بالصحن لتجد سليم يجلس على الأريكة الذهبية التي اعتادت أمينة الجلوس عليها إلى جوار مديحة قبل رحيلها.

ابتسمت أمينة بعد أن جلست إلى جوار سليم ومنحته الساندوتش ثم رفعت ساقيها لتستدير واضعة رأسها على فخذيه وترفع قدميها على جانب الأريكة الآخر وقالت:

عمري ما قعدت على الكنبة دي ومامي قاعدة عليها.. دايما كنت أنام في حضنها.. كدا زي ما أنا نايمة في حضنك يا سليم..

أرخى سليم عينيه ينظر إلى وجهها على فخذيه ثم وضع الساندوتش في الصحن ورفع وجه أمينة بيديه ليقترب به من وجهه والتف ذراعا أمينة حول ظهره تضمّه في لهفة وأغمضت عينيها لتقول:

سليم.. أنا بحبك.

اقترب سليم بشفتيه منها.. إنها المرة الأولى التي يقبل فيها شفتَي أمينة قبلة طويلة. إنها المرة الأولى التي يقبل فيها سليم عبد المجيد امرأة.. إنه يشعر بشيء من الخجل، شيء من الخوف، لكن أمينة التقطت شفتَي سليم في لهفة كبرى وغابت في قبلة طويلة انتظرتها طوال أعوام عشقها الكبير.. كان سليم يهرب من شفتيها.. كان يكتفي بضمها وببعض القبلات السريعة على وجهها.. لكنه لن يهرب اليوم.. لن تدعه أمينة يهرب أبداً، وأمسكت بيده في هدوء لتضعها على صدرها وشعرت به ينتفض وابتعدت عن شفتيه قائلة في صوت خفيض محموم:

تعال ندخل جوا يا سليم..

وانحنى سليم يحملها بين ذراعيه ليدخل بها إلى غرفتهما وفي اللحظة التي سقطت فيها أمينة على فراشها حاولت خلع روبها إلا أن سليم لم يدع لها فرصة.. كان يريد العودة إلى شفتيها.. لم يكن يعلم أن الشفتين لهما طعم السكر.. وعاد يقبلها في حب وشوق وهي أبداً لا تترك شفتيه.. لا يهمها حتى أن تتنفس.. ما يهمها أن يبقى سليم بين شفتيها واعتدلت بجسدها والتصقت بجسد سليم كأنها تدعوه إليها.

عاد سليم ينتفض انتفاضة صغيرة بين ذراعيها لكنه أخذها.. أخذها سليم عبد المجيد في جنون واستسلمت له أمينة عزت في جنون أكبر. جنون له رائحة جميلة. جنون له مذاق فريد.. جنون اسمه الحب.

بعد لحظات طويلة ورغم بعض الألم الذي دقّ جسد أمينة لم تكن تريد للقائهما أن ينتهي..

هدأ سليم وهدأت أمينة بجسدها الذي أصبح عارياً على صدره العاري، وشعرت بذراعه عليها وبأصابعه السمراء تمشط شعرها في حنان وسمعت صوته كأنه قادم من مسافات بعيدة يقول:

أمينة.. أنا بكر زيك يا أمينة..

دفنت أمينة وجهها في صدره العاري وأخذت تقبله قبلاً كثيرة وهي تهمس:

عارفة.. عارفة يا سليم.

عاد سليم يضمها أكثر وعاد يأخذ وجهها بين كفّيه والتقطت أمينة شفتيه بين شفتيها تريده أن يقبلها.. تريد قبلات سليم البكر التي لم تلوثهما شفتا امرأة سواها.. وبعد لحظات قبلتهما الثانية قالت أمينة وهي تضع رأسها على صدره من جديد:

أوعدني يا سليم مافيش ست تانية تنام على صدرك.. زي ما كنت أول واحدة أوعدني أكون آخر واحدة.. أنا اللي ضيع أمي خيانة أبويا.. أنا حكتلك.. أنا من يوميها وأنا حاسة اني ماليش أب واللي كان عندي أم مجروحة.. الخيانة بتسقط بتضيع وبتيتم يا سليم.. أوعدني.

ابتسم سليم في حنان وهو يضمها في قوة أكبر ليقول:

القلب لما يكون بكر بجد ويحب صعب يحب تاني..

والجسم كمان يا أمينة.. مين يقول إن جسم الراجل مش

عزيز عليه.. مين يقول إنه سهل يفرط فيه لمجرد اشباع رغبة أو لمجرد إنه راجل وما عندوش عذرية تربطه.. لا يا حبيبتي الراجل الحقيقي ما يفرطش في جسمه بسهولة.

أمينة أنا عمري ما قلعت هدومي قدام حد ولا حتى في البحر..

أمينة أنا ياما برضه اتمنيت أحس برجولتي وياما كان في فرص قدامي أنت عارفة لكن أنا مؤمن زي ما أنا عايز أكون أول واحد في حياة مراتي لازم تكون هي كمان أول ست يلمسها جسمي.. ورحمة أبويا يا أمينة ما حيكون في ست تعرف طعم وريحة حضن سليم عبد المجيد العمر كله غيرك يا أمينة!

* * *

كانت أمينة ترتدي قميصاً في لون ثمرة الخوخ معلقاً على كتفيها في شريطتين من الساتان الأبيض، ولصدره أزرار كل منها حبة لؤلؤ صغيرة.. كانت تجلس في سكون على الأريكة الذهبية وسليم كعادته يمشط خصلات شعرها البنية الناعمة بعد يوم طويل وشاق لكل منهما في عمله..

وسألها سليم في حنان:

أمينة.. مالك يا حبيبتي.. فين دوشتك وحكاياتك هو البنك كان قافل النهارده ولا إيه؟!

واعتدلت أمينة بجسدها لتواجه وجه سليم بوجهها وترفع رأسها الذي كان ملقى على فخذيه لتقبله قبلة سريعة، عادت بعدها برأسها على فخذه لتقول:

أقولك الحق تعبانة يا سليم وبعدين مكسوفة.. النهارده برضة كلمت خالي وقلتله يخلِّي الطباخ يعمل الغدا.

وقاطعها سليم في حنان ليقول:

أمينة حبيبتي.. سيبي الشغل.. أنا أول كل شهر حاديكي مهيتك كلها.. أمينة الحمد لله أنا..

وقاطعته أمينة وهي تخبئ رأسها في صدره:

سليم حبيبي أنا عارفة بس الشغل بالنسبة ليا حاجة تانية باحس إنه الحاجة الوحيدة اللي بأعملها لماما.. عارف؟! كل يوم أدخل فيه البنك أحس إنها داخلة معايا.. كل يوم اشتغل فيه بجد وأحس اني بانجح أحس إن كل اللي موجودين بيفتكروها بيقولوا بصوا أمينة بنت مديحة وهبي أهي زيها.. وبعدين يا سليم أنت طول النهار في الشغل وكمان سنة ولا حاجة يمكن تروح محافظات.. أنا أقعد أعمل إيه؟!

وحاول سليم أن يتحدث إلا أن أمينة أكملت:

شوف بقى.. نهى صاحبتي تعرف حبشية كويسة.. بيني وبينك أنا بس حاسة اني متضايقة أنها حتاخد ألف وسبعمية جنيه.. نص مهيتي تقريباً.. لكن مش مهم.. حا اجيبها حتفرق كتير معايا..

ووضع سليم كفه على فم أمينة وقال:

أنا حادفع فلوسها يا أمينة.. أمينة لازم تعرفي دلوقت إنك عندك فلوس كتير.. أرض أبويا الله يرحمه بتجيب فلوس كتير يا أمينة.. وإن ما كانتش الفلوس تسعد ابنه الوحيد ومراة ابنه وأم أحفاده يبقى إيه لزمتها؟

قوليلي إيه أخبار الأحفاد؟

وضحكت أمينة في خجل:

مافيش حاجة قصدي مش عارفة حاستنى اسبوع كمان وأعمل تحليل.. يارب يا سليم.. نفسي قوي في ولد زيك.. شبهك يا سليم.. عينيك.. لونك.. مبادئك، حنانك يا سليم.. نفسي في ولد شبهك يا حبيبي.

ورفعها سليم بذراعيه ليلتقط شفتيها بين شفتيه وهو يهمس:

يا رب.. عشان يامنة كمان تفرح بعبد المجيد.. تصدقي أنا حاسس إني حاشوف أبويا يا أمينة لما يتولد.

وابتسمت أمينة في دلال وقالت وأصابعها تضمه إلى صدرها:

سليم.. أنا أول ولد حاسميه مدحت على اسم جدي الله يرحمه. دا حلم أمي وحلم خالي وكمان حلمي أنا.. أنت ما تعرفش كان نفسي أشوف مدحت جدي ازاي.. ما تعرفش أمي الله يرحمها كان نفسها هي أو خالي يخلفوا ولد ويسموه مدحت قد أيه.. أنكل أدهم ماخلفش خالص وماما بعدي برضة ماخلفتش رغم كل المحاولات اللي عملتها.. حاسة انهم كانوا بيحبوني ويدلعوني كلهم حتى طنط ثريا الله يرحمها بس عشان أكبر وأجيب مدحت.. طنط ثريا الله يرحمها وماما كمان.. نفسي خالي يشوف الحلم بيتحقق قبل ما هو كمان..

ووضع سليم أصابعه على فم أمينة وهو يقول:

بعد الشر عليه.. ربنا يديله طولة العمر يا أمينة.. عمي أدهم دا أبويا وخالي وصاحب أخوالي، لكن يامنة.. يامنة يا أمينة بتحلم بعبد المجيد..

عمّي أدهم نفسه مش حيمانع يا أمينة وبعدين وغلاوتك وحبك وحبي ليك.. تاني ولد نسميه مدحت ونجيب واحد كمان ونسميه عزت.. احنا ورانا إيه؟!

عبد المجيد الأول يا أمينة.. وحياة سليم..

سليم وحياته أغلى من عمرها وحياتها.. من أجل هذا

القسم ما عساه ردّها أن يكون.. هي تعلم أن أدهم نفسه سيطلب منها تحقيق رغبة يامنة وحلمها..

وحدها أمينة أقلهم حباً ليامنة ولكنها أكثر سكان الأرض حباً لسليم..

فليكن.. فليكن مولودهما الأول عبد المجيد وقبل أن يكمل عبد المجيد عامه الأول ستنجب أمينة مدحت وتضعه بين يدَي أدهم..

وعاد سليم يقبلّها قبلات كثيرة صغيرة باسمة كأنه يرجوها أو يرشوها بالقبول..

واعتدلت أمينة لتجلس إلى جوار سليم على الأريكة الذهبية وقد بدأ صوتها يتهدج من قبلاته لكنها قالت في ضحكة صغيرة:

عارف؟! اللي مش قادرة اتخيله نسميه عبد المجيد ابن سليم طب نندهله إيه؟ ندلّعه نقوله إيه؟!

وهبط سليم بركبتيه على الأرض أمام أمينة لينظر في عينيها قائلاً وهو يأخذ وجهها بين كفيه:

ابن سليم ما يتدلعش يا أمينة.. ابن سليم يتنده عبد المجيد ويتولد راجل.. راجل يا أمينة..

وأرخت أمينة عينيها تنظر في عينَي سليم في حب ولهفة كبيرة.. كانت تظن أنها ستنام على فخذيه ويحملها إلى سريرها نائمة ولكن ها هو شوقها يشتعل إلى سليم من جديد.. شهران على زواجهما وما زالت تنتفض شوقاً كلما نظر في عينيها.

ومد سليم كفيه ليفتح اللالئ الصغيرة البيضاء على صدرها وعاد بشرائط الساتان على ذراعيها وأخذ يقبّل نهديها العاريين

أمامه في حب وشوق كأنه ما أخذها بالأمس وألقت أمينة برأسها إلى الخلف في لهفة كبيرة ليشدها بعدها سليم إلى الأرض بجواره، وأخذها بعد أن قبّلها قبلات طويلة جميلة فتحت أمينة خلالها عينيها لترى وجه مديحة يطل عليها من الأريكة التي ترقد تحت قدميها هي وسليم، وابتسمت أمينة في خجل ثم عادت تضم سليم إلى صدرها وإلى جسدها العاري وهي تطلق آهات صغيرة.. لا.. إنها لا تخجل من مديحة.

إن أمينة عزت لا تمارس الجنس وسليم عبد المجيد لا يضاجعها.. سليم يكتب سطور قصيدة رائعة على جسدها.. سليم يسكب طهراً ونقاء ترتوي منه كل قطعة في جسدها.. سليم عبد المجيد يصلي صلاة حب فوق جسدها.. ومديحة يسعدها أن ترى حباً لم يره أحد.. مديحة يسعدها أن تشهد تراتيل نقاء وصفاء ينقش سليم حروفها على جلد أمينة وعروقها.

وهدأ سليم.. هدأ وألقى برأسه على صدر أمينة العاري وهو يردد كلمات حب رقيقة اعتاد ترديدها على صدرها كل يوم..

ومدت أمينة كفيها تمسح بهما على شعر سليم في حنان وبعد لحظات قالت أمينة:

تصدق أنا بافكر في مين دلوقت؟! بافكر في نهى صاحبتي كان نفسي يا سليم تحس باللي أنا حاسة بيه.. كان نفسي تتجوز وتلاقي الراجل اللي يخليها تحس.. بس الظاهر مافيش أمل.

ورفع سليم رأسه من على صدرها ليعتدل ويأخذها بين ذراعيه وهما ما زالا على أرض غرفة معيشتهما، وقال:

هي لسة مافيش أي ارتباط؟!

وعادت أمينة تقول وهي تقبله قبلات صغيرة كأنه تريده من جديد:

مافيش.. مش عارفة الرجالة جرالهم أيه؟!

وقال سليم ضاحكاً:

بصراحة يا أمينة.. نهى صعب تلاقي حد يبصَّلها.

وقالت أمينة في غضب:

نهى محتاجة حد يشوفها مش يبصَّلها.. محتاجة حد يحس بجمال وطيبة قلبها.. الشكل بيتغير يا سليم.. الروح والإحساس بتزيد حلاوتهم مع العمر والأيام!

واعتدل سليم بظهره ليقول:

آه.. ضهري وجعني يا أمينة.. تعالي ندخل جوا..

ونهضت أمينة ومدّت كفّها جاذبةً سليم لينهض ويحملها بين ذارعيه. بعدئذ قال سليم:

بحبك يا أمينة بحبك..

ومن على ذراعيه نظرت أمينة إلى مكان مديحة وهبي وابتسمت كأنها تخبرها أن تصطحبهما إلى غرفتها، فما زال لدى أمينة وسليم قصيدة يكتبان حروفها مرة أخرى.

ضمّته أمينة على فراشها بجنون أكبر وحب أكثر ولهفة أخرى.. إنها تحبه.. إنها حقاً تريد عبد المجيد ومدحت.. تريد رجلاً مثل هذا الرجل.. بل تتمنى أمينة لو كان رجال الأرض جميعاً في حب سليم ورجولته ونقائه.. لو كانوا حقاً جميعاً مثله لغمر الحب الأرض ولأصبحت كلّها كوكب حب وسلام.

* * *

فتح عزت نافذة الشرفة الكبيرة المطلة على البحر ووقف يملأ رئتيه من هواء الصباح ثم جلس على أحد المقاعد في صمت وحزن كبيرين.

شهران تقريباً منذ زواج أمينة وحضوره للإقامة في الإسكندرية.. شهران يخرج فيهما كل صباح ولا يدخل بيته إلا في لحظات الفجر الأولى.. شهران يبحث فيهما عن هالة طلبة ولا يجدها.. طرق أبواب سكان المنشية جميعهم يسألهم عنها. لا أحد يعرف..

جارتها في شارع السلام أخبرته أنها تزوجت وسافرت إلى إحدى قرى الصعيد وبيتها مغلق منذ أعوام.. وعدته المرأة أنها ستمنحه عنوان شقيق هالة، الذي مات بحثاً عنه هو الآخر ولم يجده.. بعض الناس قال إنه مات منذ أعوام وبعضهم الآخر قال إنه انتقل للسكن في حي آخر.. وفي كل يوم هناك أمل جديد. وفي نهاية كل يوم هناك خيبة أمل جديدة.

تعب عزت.. تعب.. ولكنه لم ييأس.. سيجدها.. يجب أن يجد هالة طلبة.. يريد أن يراها.. يريد أن يضمّها بين ذراعيه.. هالة هي المرأة الوحيدة التي شعر معها أنه رجل. هالة

هي المرأة الوحيدة التي كانت تنتفض بين ذراعيه كالعصفور ليشعر أنه ملاذها وسكنها.. مديحة كانت أقوى منه.. مديحة كانت تشعره أنها هي ملاذه وسكنه.. أنه بدونها يموت.. بدونها يصبح عزت عبد الرحيم رجلاً لا قيمة له، رجلاً لا رجل فيه. مع مديحة كان عزت تابعاً.. كان بدلة أنيقة تتجول إلى جوارها أينما شاءت ومتى شاءت.. حتى عندما كان يأخذها.. كانت هي التي تنظر في عينيه لتخبره أنها لا تمانع.. لم يكن يملك أن يتمرد عليها.. لم يكن يملك أن يهرب منها.. عزت كان يخاف مديحة.. نعم.. كان يخاف عينيها القويتين الواثقتين الآمرتين.

لقد اعترف لها بقصته مع هالة لأنه خشي أن تعرفها من أحد أصدقائه في مصلحة الضرائب.

لكن مديحة رحلت.. مديحة رحلت وهو يجب أن يجد هالة..

ورشف قطرات من كوب الشاي المعلق بين أصابعه وعاد ينظر إلى مياه البحر الأبيض الزرقاء.

هالة ببشرتها الخمرية وشعرها الأحمر الطويل.. هالة بجسدها الضئيل المنمنم كانت تشعره أنه رجل.. ضعف المرأة هو قوة الرجل.. رقة المرأة هي نشوة الرجل.. عزت عبد الرحيم يريد أن يشعر أنه رجل.

عزت ما زال رجلاً.. ما زال قوياً.. ما زال يحلم بها كل ليلة.. ما زال يحلم بأن يقبلها كما كان يفعل.. ما زال يحلم أن يراها، تغمض عينيها وتلقي برأسها على صدره وتبكي وهي تشكو له وحدتها وحاجتها إلى رجل يحميها من الأقدار.

وعدها عزت أن يتزوجها.. وعدها أن يعود إلى مديحة ويخبرها الحقيقة.. كان يظن أن مديحة ستفهم وترضى التنازل عن مؤخر الصداق الكبير.. كان يظن أن أي امرأة تعلم أن زوجها يحب أخرى ترفض الحياة معه.. كان يظنّ أنها ستبرّئه من ذاك المؤخر الكبير وتتركه يعود إلى هالة ويتزوجها.. أخبرها يوم اعترف لها بأنّه يحبّ هالة، أنه سيزورها دوماً.. أخبرها أنه سيفعل كل ما تطلبه كأب لأمينة.. لكن ردّ فعل مديحة لم يكن متوقّعاً. لقد رفعت سبابتها وقالت في سخرية مريرة أنها ستنسى القصة!

هو ما نسيها ولن يفعل.. سيجد هالة طلبة.. سيجد المرأة التي تشعره أنه رجل.. تماماً كما يرى ابنته أمينة تقف أمام سليم عبد المجيد كأنها عصفور يقف بباب عشّه الوحيد.

عزت عبد الرحيم من حقّه أن يشعر أنه ملاذ وأمل هالة طلبة.

وأغمض عينيه في حنان وهو يتذكرها من جديد.. ما تراها فعلت بها الأيام.. كانت صغيرة جميلة مطلقة من زوجها الذي كان يقسو عليها.. زواجها لم يستمر إلا شهوراً قليلة عادت بعدها إلى الإسكندرية، بلدتها. عادت تسكن منزل أمها بالمنشية. أخبرته أن زوجها طلب عودتها إليه وأن أمها في ذاك الوقت كانت تضغط عليها للموافقة.. هم فقراء وهالة لم تنه تعليمها.. منذ رآها عزت في اللحظة الأولى التي دخلت فيها مع أمها مصلحة الضرائب ذاك اليوم لإنهاء اجراءات معاش أبيها، شعر أنها تناديه.. شعر أنها تستغيث به.. شعر أن هالة رأت فيه

رجلاً تريده.. رجلاً تبحث عنه.. وعزت كان رجلاً يريد أن يشعر أنه حقاً رجل.

شهور وهما يخرجان معاً كل يوم.. شهور وهو يضمها ويقبّلها. لم يحاول يوماً أن يأخذها رغم أنه كان يعلم أنها لن ترفض.. ولكن عزت كان يريدها أن تشعر أنه يعاملها كعذراء.. يحبها كعذراء وأيضاً ضاجعها كعذراء.

حتى أمها أحبّت عزت وأصبحت تدعوه إلى بيتها كثيراً.. نسيت أمها قصة زوج هالة الأول وأصبحت حقاً تنتظر زواجه من هالة.

لقد وعدهم أن يعود.. وعدهم ولكن مديحة أخبرته أنه لن يعود وإن كان حقاً يريد العودة فهناك ثمن يجب أن يدفعه.. ثمن كان يعلم أنه لو كُتب له عمر على عمره وقوة على قوته ما استطاع دفعه يوماً.. ورغم هذا هرب عزت من مديحة بعد شهور من عودته.. هرب وجاء إلى هالة.. جاء يخبرها أنه يحبها.. جاء يخبرها أنه سيتزوجها ولو ليلة واحدة ولتصنع مديحة به ما شاءت.. لكنه لم يجدها.. وجد البيت مغلقاً.. أخبروه أن هالة وأمها سافرتا إلى حيث لا يعلم أحد.

كل قطعة في شوارع المنشية رأت يومها دموع عزت ونحيبه.. كل قطرة في بحر الإسكندرية ثارت وهاجت حزناً على بكائه.

وفي نهاية اليوم عاد عزت عبد الرحيم مهزوماً مكسور الخاطر والوجدان إلى مديحة.. عاد لترفع سبابتها في وجهه من جديد..

عاد عزت إلى شارع المنتزه بالزمالك.. إلى منزل مديحة وهبي.. وترك هنا قلباً وروحاً آن له الآوان أن يستردهما. آن له أن يجد تلك المرأة المنمنمة التي أحبها ويعلم أنها أحبته وما زالت.

يؤمن عزت أنها تشتاق إليه وربما كانت تبحث عنه وتنتظره.

هالة طلبة عصفورة قلبه تبحث عنه وسيجدها.

العصافير دوماً تبحث عن أعشاشها!

* * *

رفعت أمينة عينيها ونظرت إلى نهى في حيرة وقالت:

نهى.. مالك؟! ليه حاسة أن في حاجة عايزة تقوليها.. انت كويسة؟!

وبعد صمت دام لحظات قالت نهى في تلعثم واضح:

مافيش يا أمينة وحياتك.. أنا بس شايفاكي مقريفة وعايزة أسألك فيه أيه؟!

وابتسمت أمينة ابتسامة صغيرة وهي تقول:

أنا حامل يا نهى.. حامل.. مش قادرة أقولك تعبانة قد أيه ومش قادرة أقولك مبسوطة قد أيه.. مش مبسوطة عشان حامل.. لأ.. مبسوطة لأن خالي رجع يضحك وسليم كمان فرحان.. حتى طنط يامنة اللي عمري ماشفتها بتضحك كانت مزقططة من الفرحة وهي بتباركلي في التليفون..

وحاولت نهى أن تبدو مرحة كعادتها فقالت:

طبعاً لو بنت حنسميها نهى..

وضحكت أمينة قائلة:

لأ.. ولد.. أنا متأكدة أنه ولد إن شاء الله.. وحاسميه عبد المجيد عشان خاطر سليم.

وقاطعتها نهى في سعادة:

خلاص المرة الجاية تبقى نهى بس تطلع حلوة زيي..

وتنهدت أمينة قائلة في عتاب:

يا ريت كل أولادي يبقوا في حلاوة روحك وجمالها.. لكن لأ.. إن شاء الله المرة الجاية حيكون برضة ولد وحاسميه مدحت على اسم جدي الله يرحمه.. دا حلم أمي وخالي وحلمي أنا كمان يا نهى..

وبضحكة عالية قالت نهى:

أنت إيه مش ناوية تخلفي بنات خالص؟!

وابتسمت أمينة ليزداد وجهها بهاء قائلة:

لأ طبعاً.. الصغيرة الدلوعة التالتة إن شاء الله حتكون بنوتة.. بس مش نهى.. لأ.. مديحة.. مديحة يا نهى!!

ورأت أمينة نهى تنتفض وهي تلتقط هاتفها الصغير وتضعه على أذنيها وتتحدث بصوت منخفض كأنها تخشى أن تسمعها أمينة التي أدارت مقعدها وانشغلت ببعض الأوراق.. لكن أمينة كانت ترقب وجه نهى الأسمر وهي تتحدث في هاتفها..

عيناها تشعان في بريق حاد وشفتاها ترتجفان.. أمينة تكاد تقسم أن نهى تحادث رجلاً.. نهى تحادث رجلاً وفي حياتها رجل ولكن لماذا لا تخبرها.. لماذا تخفي عنها؟! لا تعلم ولكنها تدعو الله أن تكون توقعاتها صائبة.. تريد أن تجد نهى من يحبها ويمنحها الحب الذي تستحقه.

* * *

كل قطعة في روح نهى ترتعش.. كل عرق في جسدها يرقص ويتمايل حتى شعرت أنها تكاد تقع..

نهى ستخرج بعد ساعة إلى لقاء رجل.. وليس أي رجل.. إنه رجل رقيق وسيم.. رجل مضت عليه شهور وهو يحادثها ويطمئن عليها ويحكي لها ويسمع منها ويطلب لقاءها وهي تهرب.

لكنها أخيراً وافقت.. أخيراً ستلتقيه. سيراها الناس وهي تخطو إلى جوار رجل وتجلس معه وتتحدث إليه ويتحدث إليها..

واستدارت نهى تنظر إلى كل الملابس التي أخرجتها من دولابها وألقت بها على فراش غرفتها.. لقد ارتدتها جميعاً وخلعتها جميعاً لكنها استقرّت وهي تعلم ماذا سترتدي.

ووقفت أمام مرآتها لتخلع حمالة صدرها في هدوء وعادت تنحني وهي تخرج من أحد أدراج تسريحتها كيساً ورقياً أحضرته من «لاسينزا».. وأخذت تحدق إلى حمالة الصدر الوردية التي اشترتها.. إنها مبطنة بطبقات اسفنجية سميكة.. ستجعل صدرها يبدو أكبر أضعافاً عن حقيقته الواهنة الضعيفة.

وارتدته نهى في لهفة كأنها ما قامت بتجربته عشرات المرات طوال الشهور الماضية..

وشهقت في فرحة.. لقد أصبح لنهى سليمان صدر أخيراً.. ومدت أصابعها السمراء النحيلة لترسم عينيها وابتسمت. ليست عيناها مجرد ثقبين صغيرين في وجهها كما كانت تردد لنفسها كلما نظرت في المرآة.

عيناها ليستا مجرد ثقبين.. إنهما عينا امرأة تشعّان في فرح وإثارة.. ورسمت نهى على جفنيها العلويين خطّاً أسود عريضاً بقلم الآي لاينر الجديد الذي اشترته بالأمس من محل مزايا القريب من البنك وعادت تكمل ماكياجها وتمرّر فرشاة الماسكارا على حاجبيها ليظهرا ويصبحا أكثر كثافة وانتظاماً.

ووقفت نهى عند شفتيها طويلاً.. فقط لو كانتا أكثر ظهوراً.. إن شفتيها نحيلتان حتى لا تكاد تراهما وكأنهما مجرد خطين مرسومين حول أسنانها.. لكنها أخرجت قلم تحديد الشفاه الأحمر ورسمت به شفتيها وهي تحاول أن تخرج قليلاً خلف حدودهما. وعادت تملأ الفراغ الصغير بالقلم نفسه ومرت عليه بأصبع روج واعتدلت أمام مرآتها لتفك بكرات الرولو عن شعرها الذي صففته هذا الصباح..

ونظرت.. نظرت إلى مرآتها بعد أن ارتدت قميص الحرير المنقوش بزهرات ملونة.. النقوش الكثيرة ستجعل جسدها يبدو أكثر امتلاء حتى الجوب اختارتها من اللون الأبيض. نهى لا تريد أي لون داكن حتى لا تظهر نحافتها الزائدة..

وابتعدت عن المرآة ونظرت إلى ساقيها اللتين انعكست

صورتهما. نحيلتان ولكن هي أعدت لهما جوربين من اللون البيج الكريستال.. تعلم أنهما سيضفيان عليها قليلاً من الامتلاء..

ووقفت نهى على صندلها الأبيض الجديد بكعبه البالغ ٧ سم.. تبدو به طويلة ولكن رجل اللقاء ليس قصيراً..

ونظرت إلى المرآة.. إنها جميلة.. على الأقل أجمل من كل يوم مضى.. وعادت تبتسم كأنها تريد أن تصدّق أنها حقاً جميلة..

نهى تؤمن أن الإنسان يصبح جميلاً فقط إن رأى نفسه جميلاً..

والتقطت حقيبتها البيضاء الجديدة ووضعت قطرات من قارورة عطر جيفنتشي وخطت خارج غرفتها.. وقبل أن تصل إلى باب البيت سمعت صوت أمها وهي تصيح قائلة:

إيه دا كله؟! رايحة فين يا نهى؟!..

ووقفت نهى تنظر إلى أمها في حيرة كبرى.. لم تسألها يوماً إلى أين تذهب أو متى تعود كما كانت تفعل مع نادية، أختها الصغرى قبل زواجها.. وعادت أمها تكرر السؤال نفسه وأجابت نهى في حيرة قائلة:

رايحة لأمينة.. عازماني هي وجوزها على العشا..

ومضت نهى في سكون. وعندما وقفت أمام مرآة مصعد عمارتها بشارع هارون بالدقي، قفزت إلى رأسها فكرة أشعلت في وجهها ابتسامة كبيرة وأضافت إلى روحها فرحة وثقة.

والدتها اعتدال لم تسألها يوماً أين تذهب لأنها ما رأتها يوماً بهذا الجمال..

نهى اليوم حقاً جميلة أنيقة.. لهذا شعرت اعتدال أنها أنثى يجب أن تخاف عليها وتعلم في أي طريق تذهب..

وابتسمت نهى في هدوء.. نهى في طريقها إلى لقاء رجل..

رجل وسيم يبدو أنه حقاً يحبها..

رجل اسمه خالد شكري.

* * *

في هدوء وقفت نهى بسيارتها الحمراء الصغيرة أمام مسجد مصطفى محمود حيث اتفقا على اللقاء وأخذت تنظر من مرآة سيارتها الجانبية. لا بد أن خالد سيأتي سيراً. لا يمكن أن يمتلك سيارة ويحبها ويطلب أن يلتقيها. لم تحاول أن تسأله هل يملك سيارة أو ما مقدار دخله. كانت تخشى أن تصيبه بالحرج ولكن بداخلها تعتقد أنه فقير.. وهل يسعى إليها رجل لو لم يكن فقيراً ولكن نهى نفسها ليست ثرية.. إن سيارتها كيا وما زالت تدفع أقساطها من مرتبها بالبنك.. نهى ليست مطمعاً أبداً.. ربما كان خالد يظنها كذلك ولكنه هو أيضاً ما سألها عن وظيفة والدها ولم يكترث عندما أخبرته أنه موظف متقاعد من الهيئة العامة لمرفق مياه القاهرة.. لكن هناك الكثير من المحامين الذين لا يجدون عملاً أو قضية بل إن كثيرين منهم يتسلقون الباصات ويلهثون بحثاً عن قضية على أبواب المحاكم.. قد يكون خالد شكري أحدهم. وإن كان كذلك بالفعل فهو سيرى نهى صيداً ثميناً.. موظفة في بنك استثماري، راتبها كبير، وهي في الثلاثين من عمرها وأيضاً.. أيضاً دميمة..

شعرت نهى بغصة في قلبها، نظرت بعدها إلى المرآة في

جنون لتهز رأسها في عنف.. ليست دميمة.. ليست دميمة.. إنها جميلة.. ربما أقل جمالاً من نادية وأمينة وكثيرات من فتيات الأرض لكنها ليست دميمة أو منفرة.. ورأت أضواء سيارة تقف إلى جوار سيارتها وأشاحت بوجهها بعيداً إلا أنها عادت تنظر في جنون وهي تراه يلوّح لها من خلف زجاج النافذة.. إنه هو.. خالد شكري.

انه يمتلك مرسيدس C180 فضية اللون.. هل سرقها؟! هل استعارها أم استأجرها.. لا يمكن أن تكون ملكاً له..

وأقبل نحوها في هدوء.. كان يرتدي ملابس بسيطة، بنطلوناً من الجينز الداكن وقميصاً أبيض عليه خطوط نحيلة من اللون الأزرق.. إنه بسيط وأنيق. ونظرت إلى ملابسها.. وحدها تبدو مثل مجنونة هربت من أوراق مجلة أزياء..

كانت نهى مشنوقة إلى مقعد سيارتها بدهشتها وخوفها. تقدم نحوها خالد، فتح باب سيارتها وقال باسماً:

آسف أتأخرت عليك.. يللا يا نهى اقفلي عربيتك وتعالي معايا..

والتقطت نهى حقيبتها وهبطت من سيارتها ليصافحها خالد.. في عينيه رأت بريقاً حانياً.. في كفه شعرت بدفء لم تشعر به يوماً إلا في أحلامها.. وجلست في مرسيدس خالد الفضية وأخذت تنظر إلى أصابعها التي تشابكت في حيرة كبرى..

أدار خالد محرّك سيارته وانطلق يسألها إلى أين تريد الذهاب. قالت إنها تترك له الاختيار وعاد يقول بصوته الهادئ:

عايز اتكلم معاك في حاجات كتير وفي هدوء.. شوفي بقى.. في محل جديد فتح في زايد.. جنب الكومباوند اللي اختي ساكنة فيه.. مش مشوار ولا حاجة يدوبك نعدي المحور.. ممكن؟!

وهزت نهى رأسها بالموافقة وراحت تنظر من النافذة المجاورة إليها وأحسّت بغضب يجتاح روحها وهي تشعر بالسيارة تشق طريقها على محور ٦٢ يوليو..

يأخذها خالد شكري بعيداً عن الزحام.. يأخذها إلى كافتيريا في أطراف المدينة حتى لا يراه أحد في صحبة امرأة.. امرأة دميمة!!

وانتفض جسدها بقوة وقالت دون تفكير:

لأ.. مش عايزة أروح زايد..

وبدأ خالد يهدئ من سرعة سيارته وقال في بساطة:

بس إحنا في نص المحور.. خلاص يا نهى.. نلف ونرجع.. تحبي تروحي فين؟!

وعادت تتفحصه بعينيها.. ليس غاضباً.. ليس غاضباً أبداً.. سيكرهها إن استمرت في ما تفعله.. أين الثقة؟ أين شعورها بجمالها وأهميتها؟ وأرخت رأسها وهي تقول:

خلاص.. ما دام بتقول بتحب المكان يبقى أنا كمان حاحبه. روح يا خالد.. هو اسمه إيه؟

وبابتسامة أجابها:

ميلونج.. أصحاب المكان ناس جميلة ومحترمة..

أعرفهم.. عندهم شركة سياحة كبيرة.. أنا المحامي بتاعها.. يارب نلاقيهم وأعرفك بيهم.

وسقطت نهى في حيرة جديدة.. إنه لا يهرب بها بعيداً عن الناس.. بل هو يأخذها إلى معارف وأصدقاء ولا يمانع في أن يقدمها لهم.

واتسعت عيناها في ذهول.. هل يأخذها ليسخروا منها أو ربما ليلقوا في أذنيها كلمات جارحة..

ونفضت رأسها في ألم. ما الذي أصابها؟ يجب أن تطرد هذه الأوهام المريضة. يجب أن تستمتع بما منحها إياه القدر.

ألا يكفيها أنها في مرسيدس جميلة وإلى جوارها رجل وسيم هادئ تشع عيناه سعادة بلقائها.

ألا يكفيها ذلك؟ أليس هذا هو كل ما كانت تريده وتحلم به طوال أيام عمرها؟!

* * *

كان سليم في غرفة المكتب يقرأ ويدرس قضاياه حين دخلت أمينة إلى غرفة نومها. . إنها مرهقة.

عادت قبل ساعات من عيادة طبيبها. . ما زال ضغط دمها مرتفعاً بجنون، وكذلك سكر الدم.

أخبرها الطبيب أن الوضع حقاً حرج، فإنْ لم تتحسن قراءات ضغطها وسكرها فحياتها وحياة جنينها في خطر ولكن كل هذا لا يعنيها. . ليس هذا ما يحزنها ويبكيها. .

ما يذبح أمينة عزت حقاً أنها علمت أنها حامل بأنثى. .

وسقطت دموعها في جنون. . كلما تحسّست بطنها. . كلما تذكّرت أن الجنين فتاة، تختنق.

واستندت أمينة بكفها على فراشها لتنهض وتجلس أمام سكرتيرتها لتفتحها ومن خلف دمعة سقطت أمسكت بدفتر مذكراتها، وكتبت:

أمي:

سأنجب فتاة. . لقد بكيت. . بكيت كثيراً. . كنت أتمنى أن يكون جنيني الأول ذكراً. . بل كنت أحلم أن يكون توأمين من الذكور.

كنت أتمنى أن أنجب عبد المجيد ومدحت. . كنت حقاً أريد إسعادك وإسعاد سليم. . ما زلت حقاً لا أستطيع أن أصدق أنها فتاة. . سليم حزين. . سليم حزين جداً يا ماما وما يذبحني أنني خذلته. . ما يذبحني أنني لم استطع إسعاده. .

ماما:

سليم لم يستطع إخبار والدته. . المسكينة كلما حادثتها قالت: «أهلاً يا أم عبد المجيد».

آه يا أمي الألم يقتلني. . يقتلني الألم.

وحده خالي وبابا يقولان إنهما سعيدان.

كل ما أتمناه الآن هو أن أطوي الأيام طياً لأنجب الفتاة، ثم أحمل مرة أخرى وأنجب عبد المجيد ومدحت وأحقق حلم سليم وحلمك وحلمي أنا أيضاً.

أمي:

ليتك معي أو ليتني حقاً كنت أنا معك!

* * *

كان سليم يطرق بيديه على باب أدهم وهبي. لقد حاول أن يتصل به على هاتفه إلا أنه وجده مغلق.. هو يعلم أنه نائم ولكنه يعلم أنه وحده مَنْ بإمكانه أن يفعل شيئاً. لم يفتح أدهم الباب وعاد سليم إلى البيت ليأخذ مفتاح بيت أدهم منه.. أمينة تحتفظ بنسخة من المفتاح لم يسبق أن استعملوها. ولكن اليوم يوم آخر. يوم غير سائر الأيام.

وركض سليم نحو باب أدهم، خال أمينة، وفتح الباب واتجه إلى غرفة نومه وطرق طرقات صغيرة فتح بعدها الباب في هدوء.

كان أدهم نائماً وعلى صدره مصحف مغلق اعتاد أن يقرأ منه آيات كل مساء وهو في فراشه.. وشعر أدهم بسليم ففتح عينيه وهو يقول:

إيه.. خير يا سليم؟!

وقال سليم في صوت خفيض:

آسف.. آسف يا خالي.. بس أنا محتاجلك..

واعتدل أدهم في فراشه وارتدى نظّارتيه قائلاً:

الساعة كام يا سليم فيه حاجة؟!

وجلس سليم على حافة الفراش إلى جوار أدهم وقال:

الساعة واحدة الصبح.. لسه راجعين من عند الدكتور.. أمينة تعبانة.. الجنين نبضه ضعيف.. باين تسمم حمل ولا إيه مش عارف.. المهم لازم تولد دلوقتي قيصرية.. أمينة مش راضية.. مش راضية يا خال.. أنا كلمت عمي عزت وهو في الطريق من اسكندرية.. لكن أنا..

ونهض أدهم عن فراشه وهو يقول:

دي في أول التاسع.. ربنا يستر.. انزل أنت ونزل الشنطة بتاعتها وبتاعة البيبي.. هي محضراها من زمان.. انزل انت.. أنا حالبس وأجيبها على تحت.

يللا ياسليم.. يللا يا حبيبي..

ونهض سليم ليخرج من الغرفة وهو يقول:

ربنا يخليك يا خال.. ربنا ما يحرمنا منك..

عندما دخل أدهم غرفة أمينة بعد أن ارتدى ملابسه، وجدها تبكي على حافة فراشها في صمت لكنها وقفت وهي تراه أمامها وقالت في غضب:

هو سليم صحّاك؟!

وابتسم أدهم ابتسامته الوقورة الهادئة وقال:

ماكنتيش عايزاني أحضر ولادة مديحة وأكون أول واحد يشيلها ويكبّر في ودانها يا أمينة.. قومي البسي بسرعة..

وقالت أمينة في تهالك:

أنا تعبانة.. حاروح بكرة الصبح..

واقترب أدهم منها ليضمها على صدره قائلاً:

عايزة تقتلي نفسك ولا تقتليني ولا تقتلي سليم..

ألبسي يا أمينة.. ألبسي..

وسقطت دموع أمينة لتقول:

هي اللي عاوزة تقتلني..

وسألها أدهم في حنان:

مين هي يا أمينة؟!

وفي جنون ومن بين دمعاتها صاحت:

هي.. بنتي.. من ساعة ما عرفت أنها بنت وأنا تعبانة.. ضغط وسكر حمل ومشاكل وآدي آخرتها أولد في التاسع وقيصرية.. إيه بتعاقبني عشان عارفة إني مش عايزاها؟!

وانتفض أدهم انتفاضة صغيرة لينظر إلى عيني أمينة في لوم.. إنه يعلم أن أمينة وسليم يريدان انجاب ذكر.. يعلم أن يامنة أم سليم تموت شوقاً إلى ذكر..

أدهم وهبي يعلم ما يعنيه هذا لهم جميعاً.. ولكنها المرة الأولى التي يسمع فيها أمينة تعلن أنها لا تريد جنينها الأول..

وقال أدهم في صوت مرير حاسم:

استغفري ربنا يا أمينة.. حد يقول مش عاوز ابنه وإيه بنت الراجل اللي بتحبيه يا أمينة..

وأبعدها أدهم عن صدره لينظر في عينيها ويكمل قائلاً:

أمينة في ناس تتمنى ربنا يديها عيال حتى لو عشر بنات ولا

الحرمان.. اسأليني أنا يا بنتي.. نسيت.. نسيت يا أمينة ثريا.. دي مافرحتش ولا ردت فيها الروح غير لما مديحة خلفتك.. ياه يا بنتي والله لو كانوا قالولك يا ثريا حتجيبي دستة بنات في بطن واحدة ولا ماتخلفيش لكانت قالتلهم حتى لو عشرين.. الله يرحمها..

طأطأ أدهم رأسه وهو يغالب دمعة رقصت في عينيه وقال:

إيه يا أمينة.. دا انتي عيلة وبكرة تجيبي بدال الولد عشرة إن شاء الله..

وأجهشت أمينة في بكاء حاد على صدر أدهم.

منذ علم سليم أن أمينة قد تلد قبل إتمام حملها وهو مهموم. إنه يخشى اللحظة التي يخبر فيها يامنة.. لقد سألته يامنة كثيراً عن نوع الجنين إلا أنه أخبرها انه طلب من الطبيب ألا يخبرهما. أخبرها أنه يريد تلك الفرحة التي ما عاد الآباء يشعرون بها عندما أصبحوا يعلمون نوع القادم ووزنه وحتى اسمه.. إلا أنه اليوم عندما أخبرهما الطبيب بضرورة ولادة أمينة، شعر أن اللحظة اقتربت..

يامنة ستحزن.. سليم لا يريدها أن تحزن.. وأمينة يقتلها حزن سليم، يقتلها فشلها في تحقيق حلمه الكبير..

وعاد أدهم يربت على ظهر أمينة ليقول في صوت دافئ:

ليه ما تقوليش إنها حاسة بيك وبحزنك.. يا بنتي الجنين بيحس بأمه.. حسسيها بالفرحة والأمان عشان أنت تحسي بيهم كمان.. يللا يا أمينة.. يللا يا بنتي.. لما تشيليها على أيدك

حتعرفي قد إيه انت غلطانة.. يللا.. دا زمان عزت أبوكي حيوصل المستشفى من إسكندرية قبلنا.. يللا يا حبيبتي.

نهضت أمينة في خطواتها الثقيلة تستند إلى ذراع أدهم.. هي نفسها لا تصدق هذا الحزن العميق الذي يجتاح روحها.. لا تصدق أبداً أنها حزينة لأنها ستنجب فتاة.. إلى هذا الحد أصابها الغباء أم إلى هذا الحد حقاً تحب سليم عبد المجيد وتشعر أنها ما خلقت إلا لتحقيق أحلامه وأحلام والدته..

هزت أمينة رأسها مع ابتسامة مريرة لاحت على شفتيها..

إنها الحقيقة.. أمينة عزت لن تهدأ حتى تحقق لسليم حلمه.

أمينة عزت سيبقى سليم عبد المجيد وأحلامه هما حلم عمرها الكبير.

وفي الطريق إلى الباب وجدت أمينة صاري خادمتها الحبشية تنظر إليها في حب وهي تقول:

ترجعي بالسلامة يا مدام.

ونظرت إليها أمينة في امتنان.. منذ دخولها البيت وأمينة تشعر بالراحة.. إنها منظّمة.. هادئة حنون. وقالت أمينة:

صاري.. خدي بالك من سليم ومن خالي كمان.. ما تنسيش يا صاري تصحيه في ميعاده والأكل يا صاري.

ابتسمت صاري قائلة في عربتيها الركيكة:

حضرتك خد بالك من روحك وأنا يعمل كل حاجة..

وأرخت أمينة عينيها وهي تتنهد.. كل شيء في حياتها

جميل.. سليم.. خالها.. البنك.. رؤساؤها وزملاؤها.. حتى صاري.. كل الأشخاص في حياتها هدية.

يا رب أكرمتها في كل شيء وأرسلت إليها ألف ملك بعد رحيل مديحة وغياب عزت..

يا رب.. لا تحرمها أن تعطي الرجل الذي أحبته رجلاً تريده هي أيضاً كما لم ترد يوماً شيئاً على الأرض.

* * *

وقف سليم يرقب بعينيه العميقتين أدهم وهو يقرأ بعض الآيات القرآنية على الصغيرة التي يحملها بين كفّيه. وعندما مدّ أدهم ذراعيه بالصغيرة إليه أخذها سليم في خوف وأخذ ينظر إلى وجهها الدقيق.. لا يستطيع أبداً أن يفسّر ملامحها.. لا يستطيع أن يعلم حتى إن كانت سمراء مثله أو بيضاء كأمينة.. ما يعلمه أنها كائن صغير جميل.. ما يعلمه أنها مزيج رائع من حبه وحب أمينة وقبّل جبهتها وابتسم ابتسامة صغيرة.. حتى اللحظة التي خرجت فيها الممرضة من غرفة العمليات كان سليم يأمل أن يكون المولود ذكراً.. لقد أخبره أحمد صديقه أنهم كثيراً ما يخطئون في تحديد نوع الجنين.

كان يأمل حقاً لو قالت له الممرضة إنها ذكر.. لكنها قالت له:

«بنت زي القمر».

وعاد ينظر إلى وجه القمر كأنه يعتذر.. كان يتمنّى لو قالوا له ذكر قبيح..

وعاد ينفض رأسه وينظر إليها من جديد.. إنه سعيد بها. كل ما يذبح فؤاده يامنة.. يجب أن يخبرها.

نعم.. يجب أن يخبرها.

وظهر عزت وهو يصيح قائلاً:

هي أمينة ولدت؟! ورني كدا..

ومد سليم يده بالصغيرة إلى عزت الذي وصل لتوه إلى مبنى مستشفى مصر الدولي، وقبل أن ينطق حرفاً رآهم يخرجون بأمينة من غرفة الإفاقة.. وركض سليم نحوها ليجدها في نصف وعيها وانحنى يلتقط كفّها الملقاة إلى جوارها وهو يسمع عبارات التهنئة من ممرضي المستشفى الذين كانوا يدفعون «الترولي» الذي ترقد عليه إلى المصعد، ومن بين كلماتها شعرت به أمينة.. شعرت به رغم أنها لم تستطع أن تقول كلمة.. كانت تشعر أن لسانها ثقيل وأن رأسها يترنّح في الألم.. وفي غمغمة الأصوات التي تسمعها ولا تفهمها.. لكنها كانت تعلم أنه يسير إلى جوارها.. سليم يمسك كفها.. قد يجعل الألم أمينة عاجزة عن الحديث.. عاجزة عن الفهم وعن التمييز لكن لا شيء على الأرض أبداً يجعلها تعجز عن الشعور بكف سليم ورائحته.

وحاولت أن تنطق اسمه.. حاولت أن تسأله هل المولود حقاً فتاة.. لكنها لم تستطع.. يكفيها أنه إلى جوارها.. يكفيها أنها تشعر به، تشعر بسليم وستبقى تشعر به طال العمر أم قصر.

* * *

سقطت دمعات من عين عزت عبد الرحيم عندما فتحت أمينة عينيها في غرفتها بمستشفى مصر الدولي حيث نظرت اليه وقالت في ابتسامة ضعيفة:

البيبي حلو يا بابي؟!

واقترب منها عزت قائلاً:

حمدا لله على السلامة يا حبيبتي.. سامحيني يا أمينة إني بعيد عنك.. غصباً عني يا حبيبتي..

وبعد أن قبّلها خرج عزت ليستدعي سليم الذي وجده يقف في غرفة الأطفال يرقب وجه طفلته الصغيرة ووضع عزت كفه على كتف سليم قائلاً:

مش الدكتور طمنك يا سليم.. الحمد لله مش محتاجة حضّانة ولا حاجة.. واخدة قوة أمها وجدتها الله يرحمها.. يللا هاتها وتعال أمينة فاقت..

وقالت الممرضة الموجودة في غرفة الأطفال في هدوء وهي تقف:

اتفضل حضرتك يافندم وأنا حاجيب البيبي..

أسرع سليم إلى أمينة التي مدّت كفّها إليه ودمعة تترقرق في عينيها وانحنى سليم يضمّها إلى صدره قائلاً:

حمدالله على السلامة.. حمدالله على السلامة يا أمينة.

والتفت خلفه ليجد أدهم يدخل الغرفة.. كان في الخارج يصلي ركعتَي شكر لله على سلامة أمينة، وفي اللحظة ذاتها وقبل أن يصل أحدهم إلى أمينة، دخلت الممرضة لتخرج الصغيرة من صندوقها الزجاجي وتخطو بها نحو أمينة التي اعتدلت قليلاً رغم ألمها، لتأخذ الطفلة بين ذراعيها.

وسقطت دموع أمينة في هدوء علا صوته في أركان الغرفة ورفعت يدها تمسح دموعها وهي تنظر إلى الصغيرة التي بين ذراعيها وشعرت أمينة بقلبها يهفو وعروقها تعتذر.. لا يهمها إن كانت ذكراً أو أنثى.. لا يهمها إن غضبت يامنة أو فرحت، فلا شيء يقف إلى جوار هذا الحنان واللهفة التي تشعر بها.. وضمتها إلى صدرها في حنان وأخذت تقبّل يدها الصغيرة التي بللتها دمعات أمينة ورفعت أمينة عينيها تنظر إلى وجه أدهم لتقول:

عندك حق يا خالي.. عندك حق.. شفت جميلة قد إيه يا سليم؟!

وجلس سليم إلى جوارها وأطرق برأسه وهو يبتسم ليسمع أدهم يقول:

هتسموها إيه؟! مديحة؟!

وقالت أمينة في هدوء وهي تنظر إلى سليم:

لأ.. أنا غيرت رأيي.

وضعت أمينة كفها على كف سليم.. هناك شيء ما ستفعله من أجله.. شيء كالعبء تعلم أنه يجثم على قلبه.. وحدها ستحمله عنه وقالت في حنان:

سليم اديني الموبايل بتاعك..

وأمسكت أمينة بموبايل سليم وطلبت رقماً.. تعلم أن الوقت قد يكون متأخراً.. لكنها تعلم أن الأوان قد آن ليسقط سليم عن كاهله هذا الشعور.. وبعد لحظات سمعها الجميع تقول:

طنط يامنة.. أنا أمينة.. لأ كلنا بخير.. أنا ولدت.. جبت بنت وعايزينك تختاري اسمها!

* * *

أخبرها بالأمس أنه يريد أن يتقدّم إلى خطبتها.. قال لها إنه حقاً يريد أن تصبح زوجته وأن يحيا معها ما بقي من عمره. ولكن نهى ما زالت لا تصدق.. شيء ما في صدرها يرفض أن يصدق أن خالد شكري يريد الارتباط بها.

لقد أخذها إلى مكتبه الصغير والأنيق في شارع الجيزة.. أخبرها مرات كثيرة أنه يريدها أن ترى بيته في شارع مراد لكنها رفضت في حسم.. اصطحبها قبل أسبوع لزيارة أخته وداد في كومباوند الكرمة بزايد.. كل شيء يقوله ويفعله خالد شكري يؤكد أنه رجل متزن وسعيد بها..

أخبرها أنه كان متزوجاً قبل أعوام كثيرة وأن لديه ابناً واحداً في الثالثة عشرة من عمره ويحيا مع والدته التي تزوجت.. ظنّت في البداية أنه يريد الزواج بها ليأخذ ابنه من والدته ويضمن أن تحسن هي معاملته، ولكن خالد أخبرها أن وحيده سعيد مع أمه وزوجها وأنه يراه بانتظام ولا ينوي أبداً أن يعبث بنظام حياته. أخبرها أنه يحلم بابناء منها هي..

ولكن نهى ما زالت حائرة.. ما زالت خائفة.. إنها خائفة حتى من أن تبادل خالد شكري قبلة.. مرات عديدة حاول أن

يقبل شفتيها وهربت.. هربت وهي تشعر بلعنات عروقها لها..

لم تهرب من شفتيه عفافاً أو نقاء.. لكنها دوماً تسأل كيف يحتوي بروز فكها وأسنانها بين شفتيه الجميلتين.. قد يكره قبلتها ويكرهها.

إنها حمقاء.. حمقاء.. معارك شرسة تدور بينها وبين رأسها ومرآتها.. لكنها هذا الصباح أخبرت أمها أن هناك عريساً سيتقدم لها.. أخبرتها في زهو وكبرياء وطلبت منها أن تدعو أختها نادية وزوجها إلى الحضور عندما تحدد معه موعد الزيارة.. لكنها خائفة.. نهى خائفة حتى الموت..

وضمّت نهى ساقيها النحيلتين إلى صدرها وهي على فراش غرفتها وأخذت تتحسسهما في ألم.. مرات قليلة هي التي كانت ترتدي فيها جوبات عند خروجها معه ولكن لم تر خالد مرة ينظر إلى ساقيها أو يظهر تأففاً أو دهشة من نحولها..

وبسطت ساقيها وبلا وعي تحسست صدرها.. إنه أصغر من صدر فتاة في الرابعة عشرة.. هل تذهب إلى طبيب تجميل ليحقنه لها بالسيلكون.. لقد ذهبت بالفعل إلى طبيب أسنان ولكنها علمت أنها إن أرادت التغيير فهذا يستدعي عمليات طويلة وتقويمات قد تحتاج إلى شهور أو أعوام..

يجرحها ويجرح كبرياءها أن يلحظ خالد أنها تجري عمليات تجميل في أسنانها أو صدرها الصغير.. لمَ لا تهدأ؟

خالد شكري له عينان.. إنه حتى لا يرتدي نظارة..

خالد شكري يرى أسنانها البارزة وساقيها النحيلتين ورغم هذا يريد الزواج بها.

كفاها خوف وتعذيب لنفسها.. فلتسعد.. فلتسعد مرة واحدة في حياتها.

وفي هدوء التقطت نهى هاتفها الصغير وقالت بعد لحظات:

خالد.. إحنا في انتظاركم يوم الجمعة الساعة سبعة إن شاء الله.

* * *

صافح الأستاذ هاني سليم مدير فرع الزمالك لبنك سوسيتيه جنرال أمينة في حنان وبابتسامته الرقيقة الطيبة قال لها:

حمدالله على السلامة يا مدام أمينة..

وابتسمت أمينة لتشكره ثم عاد يقول:

مدام أمينة.. فيه خبر حلو حابلغهولك قبل ما تعرفيه رسمي أنتِ اترقيت.. بقيت سينيور.

وصاحت أمينة وهي تقول:

بجد؟! حقيقي..

وعاد هاني يمنحها ابتسامة أخرى ليقول:

طبعاً.. بجد.. أنت هايلة وجد وكفء.. الثلاث شهور اللي غيبتيهم في إجازة الوضع ما فضلش فيها عميل ما سألش عليك.. وبعدين هما البنات كدا.. وشهم حلو.. مبروك اتفضلي على شغلك..

ومضت أمينة إلى مكتبها في هدوء وسعادة لتسمع صيحة كبيرة من نهى التي أخذتها بين ذراعيها وهي تقول:

أم شهد.. أهلاً يا أم شهد..

وعادت تكمل في مرحها الصاخب:

عارفة؟ أنا حاكتب على مكتبك يافطة جديدة أقول فيها أم شهد يمكن العملا يخفوا عنك لما يعرفوا إنك أم..

لحظات وكلمات قليلة عادت بعدها أمينة تمارس عملها بنشاط أكبر وحماسة أكبر.

إنها سعيدة بعودتها إلى عملها.. سعيدة بخبر ترقيتها.. سعيدة أكثر بخطبة نهى إلى خالد.. اشتاقت إلى نهى وإلى مقعدها وإلى كوب النسكافيه الذي يصنعه لها عم صالح.

وابتسمت أمينة وهي تراه يضع الكوب أمامها.. سعيدة هي أيضاً بحملها الذي علمت به منذ أيام قليلة وأغمضت عينيها كأنها تدعو الله أن يسعدها السعادة الكبرى التي تحلم بها وتتمناها.

ودون وعي منها تحسست بطنها بكفها.. يا رب.. فليكن هذا الجنين ولداً. ولد واحد تسعد به قلب سليم عبد المجيد..

لقد ضمّها سليم إلى صدره في حنان بالغ عندما أخبرته بحملها.. رأت دمعة ترقص في عينيه وهو يقبّلها عندما قالت له إنها كانت تدعو الله منذ اللحظة التي حملت فيها شهد بين ذراعيها بألا يمضي عام آخر إلا وهي تضع بين ذراعيه عبد المجيد.. تريد أن تسعده.. تريد أن تسعد يامنة.. لأنها تعلم كم يحبها وكم يتمنى إرضاءها..

وتنهدت أمينة وهي تمسك بالقلم لتوقّع بعض الأوراق.. هي أيضاً تريد أن تصبح أماً لذكر.. نعم.. إنه حلم مديحة رحمها الله أن تنجب أمينة مدحت ليعود اسم جدها إلى الحياة مرة أخرى.. هي تريد أن يكون لشهد أخ مثل سليم.. تريد أن تتكئ أمينة على ذراعيه عندما تصبح في عمر يامنة.. تريد أن

تقول هذا ابن سليم.. تحلم بأن يأتي يوم تقول فيه هذه زوجة عبد المجيد ابن سليم وهؤلاء ابناؤه.

ورفعت أمينة رأسها لتقف عن مقعدها وصافحت أحد العملاء الذي وقف يهنئها ويهنئ نفسه بعودتها.. إنه عميل قديم.. لا إنه عميل خاص جداً من العملاء الذين كانوا دوماً يبحثون عنها.. من لا يعرفه؟! إنه الأستاذ صفوت حسني رئيس تحرير برنامج «قضية الساعة».. أشهر برنامج على القناة الأولى في التليفزيون المصري.. وقال لها:

على فكرة مش صدفة يا مدام أمينة.. أنا سألت على ميعاد رجوعك البنك وجيت وأنا عارف إنك إنت اللي حتخلصي كل اللي أنا عايزه..

وابتسمت أمينة وهي تشير له بالجلوس ثم طلبت له كوباً من الشاي وأنهت كل ما أراد إنهاءه وبعد أن غادر البنك سمعت نهى تقول:

أهو دا كمان ممكن يا أمينة ينفذ حلم عمري..

وابتسمت أمينة وهي تقول:

حلم عمرك؟! حلم إيه؟!

وضحكت نهى وهي تقول:

هو أنا مش زمان قلتلك.. حلم عمري اشوفك مذيعة في التليفزيون وعرضت عليك أكلملك معتز الدمرداش وقلتلك إنه صاحب جوز أختي الأنتيم.. لو مش عايزة معتز.. الأستاذ صفوت يحقق الحلم.

وضحكت أمينة وهي تقول:

حلم عمرك يا نهى يبقى لعمرك أنت.. لأيامك أنت.. أنا عمري ما حسيب البنك دا.. البنك اللي أمي قضت عمرها كله فيه.. أنا الحمد لله عمري كله هو سليم وشهد بنتي وشغلي.. ماليش أحلام تاني غير.. غير إنك تشيليني من دماغك.

وقالت نهى:

اشيلك من دماغي ازاي؟ ينفع برضة يحطوا فراولاية جنب خيارة.. الناس لازم تبص على الفراولاية.. حيدوروا وشهم ولا يعبّروا الخيارة.. أنا عايزة الفراولاية تشتغل في السينما والتليفزيون عشان الخيارة تلاقي اللي يقف على مكتبها.

وابتسمت أمينة.. كانت تظن أن خطبة نهى إلى خالد ستغيرها وتجعلها أكثر هدوءاً مع نفسها ولكن يبدو أن نهى ما زالت كما كانت ثم عادت تقول:

خيارة؟ خيارة يا مفترية.. وخالد شكري دا إيه.. بيحب الخيار.. يابنتي والله أنا لو راجل كنت اتجوزتك من زمان.. كفاية ابتسامتك.. كفاية روحك وخفة دمك.. يابنتي أنتِ زي القمر.. ليه مش حاسة بروحك هو خالد مش عارف يحسسك بجمالك ولا أيه؟!

وبعد لحظات صمت قالت نهى في تردد:

يمكن بيحب الستات الوحشة..

وبعفوية كبيرة ودون أن تعني أمينة شيئاً سوى أن تمنحها مزيداً من الثقة في نفسها واختيارها واختيار خالد لها، قالت أمينة:

خالد.. خالد شكري.. يا بنتي ليلى مراته دي كانت صاروخ.. عارفة ليلى مين؟! ليلى عبد القادر.

وغابت نهى في ذهولها لحظات لتقول في صوت مبحوح:

ليلى عبد القادر مين؟! المذيعة بتاعة..

وقاطعتها أمينة قائلة:

أيوه.. بتاعة الأوربت.. خالد طول عمره بيفهم في الجمال والحلاوة وإلا ماكانش اختارك أنت بعد كل السنين اللي عاشها لوحده من غير ست..

وابتسمت أمينة ابتسامة كبيرة وعادت تقول:

شفتي بقى أنك فراولاية وعمرك ما كنتِ ولا حتكوني خيارة.. تكونيش محتاجة نضارة يا نهى؟!

وتركت نهى مكتبها وأسرعت إلى حمام البنك، أغلقت خلفها الباب ووقفت تنظر إلى المرآة في ذهول.. ثم أجهشت في بكاء حاد.

* * *

في خفة شاب في العشرين ركض عزت عبد الرحيم على سلالم عمارته بسيدي بشر.. لم ينتظر المصعد.. لهفته لا تنتظر.. قلبه لا ينتظر.. أخذ يركض على سلالم الأدوار في خفة وفرح.. حادثه أحد جيران هالة طلبة وأخبره أن هناك أحداً ما في بيت أمها..

الرجل طلب منه أن يسرع في الحضور.. وها هو يركض.. ها هو بعد عام يجد خيطاً يقوده إلى حب عمره.. من يعلم.. ربما كانت هالة نفسها في البيت.. الرجل أخبره أنه لم يستطع من هناك لكنه وعده أنه لن يدع من في شقة هالة يغادرها قبل أن يحضر.. أخبره أنه سيترك باب بيته مفتوحاً حتى حضور عزت أو خروج من في داخل البيت.

ووقف عزت يلوح بيده إلى تاكسي. لن يأخذ سيارته. لا يستطع أن يقود.. لا يستطيع أن يركّز ولا يريد أن يضيع لحظات في البحث عن مكان يضع فيه السيارة عند وصوله إلى المنشية حيث يقع بيت هالة.. وقفز عزت إلى التاكسي ليجلس في صمت.. إنه خائف.. لا.. إنه سعيد.

هو يرتجف.. نعم.. كل قطعة في جسده ترتجف. هل يراها.. هل يجدها؟! ماذا سيفعل؟!

وعاد ينظر إلى الملابس التي ارتداها وتنهد.. كان يجب أن يختار ملابس أكثر أناقة.. لقد نسي حتى أن يضع زخات من قارورة الكنزو التي يحتفظ بها للقاء هالة.. ورمى بعينيه إلى بحر الإسكندرية.. لا يهم..

لا يهم العطر الذي نسيه.. ولا الملابس التي يرتديها.. هالة لن ترى أو تشمّ شيئاً سوى حبه وإخلاصه.. هالة لا تريد شيئاً سوى أن تعلم أنه باقٍ على حبها.

آه يا هالة لو تعلمين كيف اشتعلت كل شعرة بيضاء في رأس عزت عبد الرحيم شوقاً إليك.

عام يا هالة.. عام من البحث واليأس.

عام من الانتظار والأحلام. عام أصبح فيه عزت عبد الرحيم جداً وله حفيدة عمرها شهور.. عام على أعوام أخرى كثيرة بقي فيها عزت عاشقاً كما تركته منذ أعوام.

ودون وعي أخرج عزت هاتفه ليطلب الاستاذ ممدوح الذي خابره قبل لحظات وسأله هل علم من في البيت. وعندما أجابه بالنفي عاد يرجوه أن يمنعه من الخروج ويستبقيه لحظات حتى يصل..

لقد أخبره أن القضية فيها حياة أو موت.. طمأنه الرجل.. أخبره أن الرجل العجوز يضع مقعده أمام باب بيته المفتوح في انتظار عزت..

وأغلق عزت الخط وعاد يرجو السائق أن يسرع.. يجب أن

يسرع.. لو كان يعلم أن ساقيه تحملانه إلى المنشية أسرع ولو بفرق ثوانٍ قليلة لركض عزت وإن كانت المسافة ألف ميل، ولكن ما عادت ساقا عزت كما كانتا قبل خمسة وعشرين عاماً.. ولكن قلبه ما زال قلب العشرين.. شوقه ما زال شوق العشرين حتى أمينة التي تذوب عشقاً في سليم عبد المجيد لم تعلم الشوق كما يعلمه والدها.. الشوق الحقيقي وليداً يخرج من رحم الحرمان.. عزت عبد الرحيم وحده له عشق وشوق عمرهما أكثر من ربع قرن من الزمان.

كان مدخل المنشية يعج بالسيارات وطلب عزت من السائق أن يقف ليقفز من السيارة ويركض إلى المنشية وعاد يركض على سلالم البيت القديم وعندما وصل نظر إلى باب الاستاذ ممدوح المفتوح وألقى عليه التحية على عجل وهو يحاول أن يلتقط أنفاسه بعد أن أغلق الباب عليه ليستدير مواجهاً بابها.. أخيراً سيفتح أحدهم الباب.. أخيراً سيدخل إلى البيت الذي شهد فيه عزت أحلى لحظات عمره.. لماذا لا يرفع يده ويقرع الجرس؟!.. لماذا يقف خائفاً مذعوراً كقط صغير القوا عليه بكوب ماء بارد.

تقدم يا عزت.. تقدم.. بينك وبين الحلم لحظة.. بينك وبين الحب لحظة..

وتقدم عزت وبإصبعه النحيل ضغط على جرس الباب وعيناه ترقبان نافذة الباب الزجاجية الكبيرة. هل تطل هالة من خلفها؟ هل حقاً آن الأوان؟ وبعد لحظات سمع صوتاً من الداخل يسأل:

مين؟

وسقط عزت في بئر سحيقة من الحيرة.. من هو وما عساه يقول.. من هو حقاً.. من هو.. وقال في صوت ضعيف:

أنا.. أنا..

وشعر بالغباء كأنه يجيب عن السؤال بسؤال. وفي لحظة كان الباب مفتوحاً ومن خلفه ظهر شاب في العشرين ربما أقل أو أكثر وقف ينظر إلى عزت في دهشة ليكرر السؤال نفسه قائلاً:

مين.. مين حضرتك؟!

وبعد لحظات من التردد رفع عزت رأسه لينظر في وجه الشاب الأسمر وهو يحاول أن يتذكر اسم والدة هالة ليقول وهو يكاد يبكي:

أنا جي أسأل عن الحاجة.. الحاجة أم هالة.. أيوه الحاجة فاطمة.

وبنظرة متشككة قال له الشاب:

الله يرحمها.. دي ماتت يجي من تسعتاشر سنة.

وقال عزت كأنه يرجوه:

ممكن أدخل؟!

وبتردد وبدون ترحاب أفسح له الشاب الطريق قائلاً:

اتفضل.. الشقة مهجورة ومقفولة.. معلهش تراب جامد.. اتفضل.

ووقف عزت ينظر حوله ولاحت دموع كثيفة في عينيه.. هنا كان يجلس وهناك كانت هالة تجلس.. على هذا المقعد قبّلها وعلى هذه الأريكة كان يضمها عندما تنام أمها.

ورفع وجهه ينظر إلى الشرفة الكبيرة في الصالة.. في هذه الشرفة أقسم لها أنه سيعود ليتزوجها..

عاد عزت يا هالة.. عاد.. عاد بعد ربع قرن.. عاد برأس اشتعل فيه الشيب وساقين ضعيفتين لم تستطيعا الركض على كورنيش الإسكندرية، لكنه عاد بالشوق نفسه والحب نفسه. عاد ينفذ وعداً قطعه أمامك في هذه الشرفة قبل خمسة وعشرين عاماً.

ورأى الشاب دمعات عزت وقال:

الله يرحمها.. أنا نفسي ما شفتهاش.

وأفاق عزت.. أفاق على كلمات الشاب. لا بدّ أنه ابن أخي هالة وقال:

طيب.. الست هالة فين؟!

وباستنكار أكبر سأله الشاب:

أمي؟! أنت تعرف أمي كمان؟!

وفتح عزت شفتيه في ذهول ليسأل:

هالة أمك؟!

ثم عاد يكمل في خجل وتلعثم:

اسمع يا ابني.. الحاجة فاطمة ليها عندي أمانة وأنا.. أنا كنت برا مصر وكانت محملاني أمانة إني اسلم الحاجة اللي معايا يا إما ليها أو لهالة بنتها.

وجلس الشاب بجلبابه على أحد المقاعد ليقول:

أمي مش عايشة هنا ومافتكرش أنها حتيجي اسكندرية.. إديني الأمانة وأنا أوصلها.

وسكت عزت لحظات.. الأمانة بين ضلوعه.. الأمانة هي

روحه وقلبه.. كيف يمكنه أن يضعها بين يدَي أحد سوى يدَي هالة وقال في هدوء:

خليني أكلم والدتك.. أو اديني عنوانها.. هو والدك هنا معاك..

وفي عصبية واضحة قال الشاب:

اسمع حضرتك.. أنا مقدرش أخليك تكلم أمي.. أنا حاسافر لها بكرة.. وأبلغها.

وأخرج عزت من جيبه كارتاً صغيراً يحمل اسمه ورقم هاتفه ليقول وهو يرجوه:

أرجوك.. أول ما تشوفها خليها تكلمني.. أرجوك يا ابني أرجوك.

ووقف الشاب ممسكاً بالكارت وهو يبتسم ابتسامة صغيرة وقف بعدها عزت ليأخذ طريقه نحو الباب ثم التفت ليمد ذراعيه نحو الشاب وضمه إلى صدره في حنان.. إنه يحتضن قطعة من هالة.. قطعة تحمل بعضاً من ملامحها، بعضاً من دمها!!

وابتعد عنه الشاب ليمسك بباب البيت كأنه يتعجل رحيله وفي انكسار كبير التفت عزت إليه وقال:

شكراً يا ابني.. هو إنت اسمك إيه؟

ونظر إليه الشاب وهو يغلق الباب في وجه فرحة ماتت وعشق ما زال في صباه قائلاً:

اسمي عزت.. عزت إبراهيم!

* * *

قفز عزت إبراهيم بسرعة إلى القطار وهو في أولى خطواته في محطة سيدي جابر..

كاد القطار أن يتحرك بدونه. يكره عزت الإسكندرية.. يكره كل مدن وقرى ونجوع مصر.. يراها جميعاً داكنة اللون. يرى شوارعها وطرقها طويلة لا نهايات لها ولا محطات وصول..

عزت يريد أن يترك الجمهورية بأكملها.. يريد أن يذهب إلى أوروبا أو على الأقل إلى بلد من بلاد البترول والثروات.. الطرق هناك لها نهايات.. لها محطات وصول.. مجنونة أمه.. حين ضاق بها وبه الأمر طلبت منه أن يذهب إلى الإسكندرية بحثاً عن عمل.. أخبرته أن شقة جدته موجودة وأنها ترسل إيجارها كل عام مع من يذهب إلى الإسكندرية.. أخبرها كثيراً أن الأسكندرية تقع في مصر ومصر بأكملها لا يعمل فيها سوى من لديهم علاقات ووسائط وشهادات عليا.. أخبرها كثيراً وطويلاً أنه لن يجد فيها شيئاً لكنها ثارت وبكت أياماً طويلة وأقسمت له أن تراب الإسكندرية كنوز تنادي سكانها.. قالت له وهي تبكي أنها تحلم بأن تموت على أرضها..

كان يجب أن يحضر.. بقي أسبوعاً في الإسكندرية لم يفعل

فيه شيئاً. وأي شيء يفعله؟ هل يقف على أبواب المقاهي أم يطرق على شبكات الصيادين؟ سيخبر هالة عند عودته إليها أنه فعل كل هذا ولم يجد.. سيخبرها أنه كان يعلم وأنها كانت يجب أن تصدقه.. هو يعلم أكثر منها..

ومدّ عزت أصابعه إلى جيبه ليخرج حافظة نقوده الجلدية ليرى كم بقي معه من نقود.. ما زالت الرحلة طويلة وهو يشعر بالجوع..

عندما فتح الحافظة أطل ذاك الكارت الذي أعطاه إياه المجنون العجوز عزت عبد الرحيم..

وابتسم ساخراً وهو ينظر من نافذة القطار.. أي أمانة احتفظ بها الأحمق ربع قرن من الزمان؟ لو كانت نقوداً أو ذهباً لما جاء وإن كان أميناً لأخبره أنها نقود.. ألم يرَ حال المنزل وحاله.. لو كانت الأمانة نقوداً لأخبره..

عزت يعلم أن العجوز الأحمق لا بدّ أن لديه نقوداً في ذمّة الحاجة فاطمة.. أخبرته أمه أنها كانت تستدين كثيراً لضيق ذات اليد..

أحمق.. هل يظن أن هالة أو ابنها مطالبان بتسديد ديون الموتى؟

وأمسك بالكرت الصغير. لن يخبر أمه أبداً عنه.. ومزّق عزت الكرت قطعاً صغيرة مبتسماً في سخرية..

الأحمق الأمين اسمه عزت عبد الرحيم!

* * *

منذ عرفت أن زوجة خالد السابقة هي ليلي عبد القادر، ونهى تكاد تفقد صوابها.. تكاد تجن حقاً.. لقد قامت بعمل اشتراك في قنوات الأوربت وأصبحت تشاهد برنامجها اليومي في اهتمام كبير.. بل استخرجت نهى صورة لها وكبّرتها بواسطة جهاز الكمبيوتر ووضعتها على مرآة غرفتها وراحت ترقبها كل صباح ومساء في ذهول كبير..

ليلى عبد القادر شقراء رائعة الجمال. لقد قرأت نهى أكثر من مرة أن عدداً من منتجي السينما والمخرجين طلبوها لبطولات كبيرة ولكنها دوماً ترفض وتبرر رفضها على صفحات الجرائد بانشغالها ببرنامجها اليومي على الأوربت وانشغالها الأكبر بأمومتها وزواجها.

ليلى متزوجة من صحفي كبير ذائع الشهرة، يكبرها بأعوام عديدة.. ولكن هذا لا يهمها في شيء.. من كانت لها جمال ليلى بإمكانها أن تتزوج من نقيب الصحفيين أو رئيس دولة إن شاءت..

ووقفت نهى أمام مرآتها تنظر إلى وجه ليلى وشعرها الأشقر وعضّت شفتيها في ألم.. ربما كان شعرها مصبوغاً.. ربما كان

أكرد مثل شعرها.. وعضّت شفتيها أكثر.. شعر ليلى ليس أكرد.. نهى تعرف كيف يكون الشعر الأكرد وإن مرت عليها ألف مكواه ساخنة.. لكن من المحتمل ألاّ يكون أشقر.. إنها صبغة.. وعيناها الرماديتان الواسعتان قد تكونان عدستين لاصقتين ملوّنتين.. شفتاها المكتنزتان قد تكونان نتيجة عملية تجميل.. حتى صدرها الذي يكاد يقفز من خلف ثوبها المكشوف قد يكون قطعتي سيلكون..

ليلى عبد القادر لا شيء.. لا شيء سوى دمية من صنع أطباء التجميل وبنقود قناة الأوربت.

وارتطمت عينا نهى بوجهها في المرآة لتغمضهما بسرعة.. لماذا يترك خالد شكري امرأة مثل ليلى ويختارها هي؟ هل يكره الجمال؟ هل يعاقب نفسه؟ هل ينتقم منها؟ هل يريد أن يعذب نهى بوسامته ورجولته ليتركها يوماً كما قد تكون ليلى تركته؟

لا تفهم.. رأس نهى يكاد ينفجر.. ليت أمينة ما أخبرتها.. وعادت نهى إلى فراشها لتلتقط هاتفها الصغير.. ستحادث خالد.. ستخبره أنها عرفت من هي زوجته السابقة وأم ابنه كريم.. ستسأله.. من حقها أن تسأل لماذا انفصل عن ليلى وطلقّها؟!

حاولت كثيراً أن تسأل لكنّ كبرياءها ما سمحت لها.. يجب أن تختار إما الكبرياء وإما الجنون وليس هناك من طريق سواهما.

وفي اللحظة التي ألقت فيها بالهاتف على الفراش في غضب سمعته يدق.. إنه خالد.

وجاءها صوته الهادئ يسألها عن أحوالها وأخبارها وسمعته

يطلب منها أن تصطحب أمها إن كانت ترفض الذهاب معه إلى بيته وحده.. قال لها في حنان إن الأوان قد آن حتى ترى البيت الذي ستحيا فيه لكي يتفقا على تغيير الأثاث إن شاءت.

أخبرها أن شهوراً طويلة مضت على خطبتهما ولا بد أن يأخذا خطوات كبيرة وواضحة نحو الزواج.

قال لها إنه حقاً يريد أن يراها في بيته بعد طول وحدته وشوقه..

واعتذرت نهى في هدوء.. أخبرته أنها متعبة.. أخبرته أنها يجب أن ترتّب للموعد مع والدتها وأغلقت الهاتف لترمي بجسدها على فراشها من جديد..

لماذا ترفض؟.. لماذا تقاوم؟.. ماذا تنتظر؟.. أن تصحو في الصباح التالي وتجد نفسها جميلة.. وبلا وعي رفعت رأسها لتنظر في عيني ليلى المعلقة على المرآة وابتسمت في مرارة.. لن تصحو يوماً أبداً لتجد نفسها ليلى عبد القادر.. ستصحو يوماً لتجد نفسها عجوزاً دميمة وحيدة.. إن بقيت على غبائها فسيتركها خالد.. سيتركها الرجل الوحيد الذي أحبها وطلبها للزواج ووضع في إصبعها هذه الدبلة التي جعلتها تخطو وهي مرفوعة الرأس.. ليست عانساً أبداً.

وألقت بعينيها على أصابعها.. لقد اختارت الدبلة عريضة حتى لا تخطئ النظر إليها عين.. نهى دوماً تضع يدها اليمنى فوق اليسرى وهي تجلس أو حتى وهي تنام في فراشها.. هذه الدبلة دليل براءتها من العنوسة والدمامة.. ولكنْ ريح خوف وألم تشق صدرها.. ريح إن لم تقف نهى أمامها قتلتها..

كفاها تعذيب لنفسها. . إنها تذوب لقبلة من شفتيه. . تحلم بل تدعو الله ألا تموت وتدفن في القبور وهي لا تعلم كيف تكون قبلة الشفاه.

يجب أن تتحرر من جنونها. .

وأمسكت نهى بهاتفها وقالت بعد لحظات:

خالد حبيبي. . أنا حاآجي أشوف الشقة كمان ساعتين. . عندك حق الوقت بيجري.

* * *

بعينين مفتوحتين وقفت نهى تحت ماء الدش الدافئ تغسل شعرها وتغتسل.

ستذهب إلى لقاء خالد شكري بعد ساعتين. . ستذهب إليه وهي نهى. . نهى الحقيقية. . إما كرهها وكرهته وإما علمت أنه يحبها كما تحبه. .

وخرجت من تحت الماء ووقفت تجفف شعرها القصير بمنشفتها البيضاء. . إنه قصير ولن يأخذ أكثر من ربع ساعة ليجف. .

وفي تحدٍّ كبير خرجت إلى دولاب ملابسها وانتقت قميصاً وردياً ارتدته على حمالة صدرها القديمة. . لن ترتدي المبطنة التي اعتادت أن تخدع عينَي خالد شكري بها. . نهى تكرهها. . لأنها وهي ترتديها تشعر أنها دوماً في هالة تأهب. . تخشى أن يقترب خالد بأصابعه من صدرها ويلمسه. . قد يشعر أن ما بين أصابعه ليس صدراً بل هو قطع من الاسفنج. . هذا هو صدرها الصغير!!

وارتدت جوب من الحرير الأسود تقف على حدود ركبتيها.

ساقاها النحيلتان كانتا ظاهرتين.. لن تخفيهما أبداً خلف جوارب الكريستال..

ووضعت في قدميها سبادريل من الجلد الأسود كعبه لا يزيد على ٥ سم.. هذا هو أيضاً طولها الحقيقي..

وعادت تجفف شعرها ونظرت بعد دقائق إليه.. إنه قطع صغيرة ملتوية تقف في صفوف، إحداها جوار الأخرى.. هذا هو شعرها الحقيقي.

وانتفضت وهي تشعر باعتدال تفتح عليها باب غرفتها لتقول:

إيه يا نهى يا حبيبتي انتِ رايحة للكوافير؟!

حتى اعتدال لم تر شعرها مغسولاً منذ أعوام.

ونظرت نهى في وجه أمها لتقول في هدوء:

لأ.. خارجة مع خالد..

وبلا وعي قالت اعتدال:

كدا؟!

وصاحت نهى وهي تقول:

كدا يعني إيه؟! ماله كدا..

وفي ألم.. في خجل قالت اعتدال كأنها تعتذر:

مش قصدي يا حبيبتي.. شعرك شكله لسه مبلول.. ممكن تعبي من تكييف العربية.. طب لسه بدري.. عدي على الكوافير الأول..

وألقت نهى بهاتفها داخل حقيبتها السوداء وهي تقول:

لأ.. مش حاروح للكوافير.. مش حاحط روج ولا كحل أنا خارجة مع خالد كدا زي مانا!

وأرخت اعتدال عينيها في ألم.. إنها ما زالت لا تعلم هل تحب نهى خالد شكري أم تحب فرصة زواجها منه فقط.

* * *

أوقفت نهى سيارتها تحت العمارة التي يسكنها خالد شكري. ورغم أنها تعرف في أي دور يقع بيته فقد وقفت طويلاً أمام بواب العمارة الأسمر وسألته عن الدور.. كانت نهى تنظر في عينيه.. كانت تريد أن تراه يصرخ مذعوراً من رؤية شعرها القصير الأكرد وأسنانها البارزة تحت أنفها.

لكن البواب الشاب نظر إليها وقال في هدوء:

خالد بيه شقة ٩ الدور الخامس.. أطلع مع حضرتك؟!

ومضت نهى دون أن تجيب.. حتى إنه لم يكترث بأن امرأة ستصعد إلى رجل يحيا وحيداً في بيته أو ربما يشعر أنها ليست امرأة!!

وأطلقت من صدرها نفساً عميقاً وهي تضع إصبعها على جرس الباب ولمحت دبلتها الذهبية وانتفض قلبها في حزن كبير كأنه يصرخ ألما مما تفعله به وبها..

وبعد لحظات فتح خالد الباب.. كان يرتدي تي شيرت في لون قشرة ليمون وبنطلوناً من القطن.. كانت شعيراته البيضاء الناعمة تعانق شعرات رأسه السوداء..

وقف أمامها بجسده الطويل الرياضي ولاحت على وجهه

ابتسامة عريضة وهو يفسح لها في الطريق. وما إن أغلق باب البيت حتى ضمّها بين ذراعيه قائلاً:

أخيراً.. أخيراً يا نهى.. اتفضلي.. اتفضلي يا حبيبتي..

لم يصرخ هو الآخر مذعوراً حين رآها بدون ماكياج.. لم يفتح عينيه مذهولاً وهو يرى أسلاك رأسها الشائكة تصطف فوق رأسها كذنوب لا تغتفر.. أو ربما لم يلحظ شيئاً من هذا.. ولكن إن كان حقاً لم يلحظ بشاعتها فهذا يعني أنها ليست بشعة كما تظن.

وتقدمت نهى إلى جواره في هدوء وجلست في صالة البيت الواسعة على أول مقعد رأته. وقال خالد:

نشرب إيه؟! أنا باعمل عصير منجا بالبرتقال ماقولكيش تحفه.. النهارده أنا جبت منجا.. ثواني..

وغاب عنها خالد وهدأت أنفاسها قليلاً وأخذت تنظر حولها.. صالة البيت ريسبشن معقول أكثر اتساعاً وجمالاً من بيتها وبيت عائلتها.. في منتصف الريسبشن عمود مستدير ضخم من الرخام البلجيكي الأحمر وفي أحد أركانه طقم صالون مذهب وفي الركن المقابل كوان أنيق من مقعدين من الكانيه البني وبينهما طاولة صغيرة عليها فازة كبيرة من الكريستال البوهيمي تخرج منها زهرات حمراء كثيرة..

واستدارت نهى تنظر أمام الأريكة الكوريبه التي تجلس عليها لتجد مكتبة أنيقة كبيرة فيها جهاز بلازما كبير وإلى جواره جهاز اسطوانات ليزر. كل شيء أنيق هادئ.. ترى هل اختارت ليلى كل هذا؟

نهى لا تصدق أن رجلاً يختار هذه الألوان، وهذا الأثاث، هو رجل يختار نهى سليمان زوجة له!

وأيقظها صوته وهو يتقدم نحوها حاملاً أكواب العصير.. وقفت تأخذ منه ما يحمله وشعرت به يضع قبلة سريعة على خدها وهي تنحني لتضع الصينية على الطاولة.. واستدارت تبحث عنه لتجده يضع اسطوانة وقال وهو يبتسم:

تسمعي إيه؟ نسمع فيروز ولا عبد الوهاب؟

وابتسمت نهى وهي تقول:

لأ.. دول مش جيلي.. اسمع جنات..

وضحك خالد وهو يقول في بساطة:

عندك حق.. أنا اللي عجوز.

وأخذت نهى أحد أكواب العصير إليه وتقدمت نحوه قائلة:

مش ملاحظ حاجة؟!

والتقط كوب العصير من يدها وهو ينظر إليها ثم قال في بساطة:

آه.. أنت مش عاملة شعرك صح!

وعلا دبيب قلبها.. ابهذه البساطة؟!

وأمسك خالد بيدها وهو يقول:

تعالي أفرجك على الشقة.. ما قلتيش يا نهى.. إيه رأيك في الريسبشن.. لو في حاجة أنت شايفة أنها لازم تتغير لازم نبتدي.. الحاجات بتاخد وقت..

وسارت نهى إلى جواره.. لقد أحبت البيت وترى نفسها

تحيا فيه.. ترى نفسها سيدة هذا البيت وزوجة هذا الرجل الذي كان يوماً زوج امرأة جميلة اسمها ليلى عبد القادر.

وعندما فتح خالد شرفة الريسبشن الكبيرة المطلة على شارع مراد وحديقة الحيوان ووقفت نهى إلى جواره لتسمعه يقول في صفاء:

عارفة يا نهى.. بابا الله يرحمه سكن في العمارة دي ليه؟! عشان يبقى جار شادية.. كان مجنون بيها.. الله يرحمه لغاية ما مات كان يطلع يشوفها وهي طالعة أو نازلة.. لما أمي خلفت وداد اختي حلف يسميها شادية لكن الله يرحمها رفضت.. قالتله هو مش كفاية ساكنين جنب شادية ونسمع أغاني شادية ونتفرج على أفلام شادية كمان اسمي بنتي على اسمها..

واستدار ينظر إلى وجهها وقال:

أهو أنا دلوقتي باستنى شادية وهي نازلة أو طالعة وادعيلها ربنا يطول في عمرها.. كل ما أشوفها أحس أن أبويا واقف جنبي.. الاستاذ عادل شكري أكبر محامي في زمنه حتى وهو عنده خمسين سنة كان يقف زي شاب مراهق يبص على معبودة الجماهير زي ما كان بيقول!

وابتسمت نهى وهي تسأله:

ماصاحبهاش؟! ماحاولش يتعرف عليها..

وضحك خالد قائلاً:

أبداً.. عمره.. أنا لما كبرت بقيت أوقات أقابلها في الشارع وأصبح عليها.. لكن هو عمره.. حتى لما كانوا يتقابلوا صدفه عمره ما رفع عينه فيها مرة واحدة.. بيقول يخاف يكلمها

أو يبص في عينها تقوم تعرف قد ايه هو معجب بيها وبيحبها.

وأخذت نهى بعضاً من العصير ثم قالت:

عنده حق..

والتفت خالد إليها ليقول:

لأ طبعاً.. ماعندوش حق خالص.. لو اتكلم معاها.. لو اتعرف عليها كان كسب صديقة وهي كمان كانت كسبت صديق.. لو اتكلم معاها يا نهى ماكانش حرم نفسه من حلم عمره اللي خلاه ييجي يسكن جنبها..

السكوت حيرة.. السكوت ضلمة.. الكلام لما يكون نضيف وجد بينور طرق وقلوب كتير..

وضعت نهى كوب العصير على سور الشرفة ونظرت إليه من خلف دمعة ترقرقت في عينيها..

ليتها تستطيع أن تتحدث.. ليتها تستطيع أن تعلن مخاوفها وشكوكها.. ليتها تنير ظلمة رأسها..

وجاءها صوته يقول:

تعالي يا نهى أفرجك على بقية الشقة وبعدين أغير هدومي وننزل نتعشى.. تعالي..

وقالت كأنها تساعد نفسها على التحرر من سجن صمتها:

أخرج.. وأنا كدا؟!

ووقف خالد مكانه ينظر إليها ثم قال:

ماله كدا يا نهى؟! شعرك مش معمول؟! وإيه يعني.. أنا مش عارف الستات بتطيق قعدة الكوافيرات ازاي.. دا أنا باروح للحلاق مرة في الشهر وابقى حاتجنن..

ودخلت نهى معه..

كل شيء في المنزل جميل.. الشقة مريحة كبيرة.. حتى اسقفها العالية القديمة تمنحك الراحة.. أربع غرف رأت منها نهى ثلاثاً وعند الباب الأخير دق قلبها في عنف.. لا بد أنها غرفة النوم الرئيسية. ولكن لماذا تركها خالد لتكون آخر الغرف؟ هل ينوي أن...

وفتح خالد الباب لتجد نهى الغرفة خالية تماماً واستدارت تنظر إليه في دهشة عميقة، وقال:

من زمان فضيتها يا نهى. من سنين وأنا بنام في الأوضة التانية اللي شوفتيها.. جى الوقت اللي لازم بقى تتفرش فيه من تاني..

وأغمضت نهى عينيها.. إنها لا تستحق أبداً كل هذا وشعرت بذراعيه يضمانها واستسلمت لعناقه في لهفة واقتربت شفتاه من شفتيها ولم تقاوم كما اعتادت.. لم تشعر أن أسنانها البارزة تقف في طريق قبلة عمرها الأولى..

التقط خالد شفتها السفلى بين شفتيه في حنان.. كان واضحاً أنها لا تعلم كيف تكون القبل وكان واضحاً أنها خائفة حائرة.. كان يظنها خائفة من أن يحاول الوصول إلى جسدها لكن كل ما كانت تخشاه نهى في تلك اللحظة هو أن تعضّ شفتيه أو أن يكره خالد شكري قبلتها ويكرهها.

وعلى صدره وضعت رأسها وقالت كأنها تفكّ سلاسل حديدية قيّدت ضلوعها:

كنت بتحب ليلى يا خالد؟

وشعرت بانتفاضة تسري في جسده لكنه قال وهو يبعدها عن صدره:

أيوه.. كنت بحبها.

وقالت كأنها تئن:

ليلى حلوة قوي يا خالد..

ووضع أصابعه تحت ذقنها الصغير وقال:

أنا ماحبتهاش عشان حلوة.. أنت كنت باشوفها حلوة عشان حبيتها.. مش أنا حلو في عينيك يا نهى..

وخانت كبرياءها دمعةٌ سقطت على وجنتيها فقالت:

بس أنت حقيقي حلو..

وأكمل خالد قائلاً:

تعالي.. أوريكي صورة بابا.. كان راجل جميل.. طول وعرض ووسامة ما حصلتش.. عمر شادية لاحظت جماله.. عمر شادية حست بهيبته وشياكته.. أبداً.. عارفة ليه؟! لأنها ماحبتهوش.. وعارفة ليه ماحبتهوش لأنها ماعرفتوش.. ما سمعتهوش..

اللي بيسمع حد ويعرفه يحبه واللي يحب حد بيشوفه أجمل مخلوق على الأرض.

* * *

ألقى عزت جسده على مقعد شرفته أمام البحر في حزن كبير.. منذ ذلك اليوم الذي التقى فيه ذاك الشاب ابن هالة، ولا جديد.. لقد تعب.. تعب كثيراً.. إنه حتى لا يعرف كيف ينام.. ان غفت عيناه ساعة ينهض مذعوراً ينظر إلى هاتفه الصغير خوفاً من أن تكون حادثته ولم يسمع رنين الهاتف.. كل صباح يأتي إلى بيتها يسأل إن ظهرت هالة أو ظهر أحد من عائلتها.. ودوماً الإجابة لا أحد.

وعاد ينظر إلى هاتفه وانتفض قلبه في ذعر.. الهاتف لا إشاره فيه وأخذ عزت يرجّه في جنون.. قد تتصل هالة في هذه اللحظة.. آه لو تعلم شركات المحمول ما تعنيه لحظة يغيب فيها الإرسال عن هاتف عزت عبد الرحيم.. وأغلق هاتفه وعاد يفتحه كأنه يستجدي الإشارة أن تظهر وظهرت بعد لحظات.. ظهرت ليبقى قلب عزت عبد الرحيم يدق في جنون منتظراً أن تأتيه رسالة تحمل رقم قام بالاتصال به حين كان هاتفه عاجزاً عن استقبال المكالمات.

عزت ينتظر رقماً غريباً لا يعرفه.. عزت ينتظر رقماً لا

يعرفه ليعيد إلى قلبه الهدوء الذي عرفه ذات يوم. رقم واحد يطلبه.. صوت واحد يحاكيه.. اسم واحد يحيّيه.

مضت شهور منذ ذلك اليوم.. شهور وهو ينتظر.. شهور وهو يذهب إلى بيتها كل يوم.. شهور وهو يحادث ممدوح جارها العجوز ليسأله.. أصبح الرجل يحادثه في بعض الأيام ليخبره أن لا داعي لاتصاله ما دام البيت مغلقاً وما دام قلب عزت معلّقاً برنّة صغيرة تأتي من رقم لا يعرفه..

ومن خلف دمعة نظر عزت إلى ماء البحر.. هل نظرت هالة إلى الكارت الذي يحمل اسمه ورقم هاتفه في سخرية؟ هل مزقته ضاحكة أم تراها لم تذكره ولم تذكر من هو عزت عبد الرحيم؟ أو ربما منح ابنها الشاب أباه الكارت ليمزقه ويخفيه عن عينيها.

ورفع عزت رأسه.. لا.. هالة تذكره.. هالة تحبه وإلا فما اطلقت اسمه على ابنها.. ألم يخبره الشاب أن اسمه عزت.. ولكن ماذا لو كان الاسم مجرد صدفة أو من اختيار أبيه؟ هل كان باستطاعتها أن ترفض وتخبره أنها تكره هذا الاسم لأنه لرجل أحبها يوماً؟ هل يكره إنسان شخصاً لمجرد أنه يحبه؟! عزت ما صنع معها يوماً شيئاً إلا الحب.. لمَ تكرهه إذن وتعذبه؟!

مد عزت أصابعه إلى كوب الشاي يلتقطه وهو ينظر إلى البحر من جديد.. كل قطرة في ماء هذا البحر تصلي لكي تعود هالة إليه.. كل موجة من أمواج هذا البحر ترى عذابه كل صباح وتسمع بكاءه كل مساء.

انتفض عزت وهو يسمع رنين هاتفه. ورغم أنه يعلم أن المكالمة تأتي من أمينة إلا أنه منذ ذاك اليوم لا يعلم كيف يسمع

رنّة هاتفه دون أن ينتفض جسده وترتعش عروقه. وفي انكسار كبير أجاب قائلاً:

أيوه يا حبيبتي.. أنا آسف يا أمينة ماكلمتكيش من يومين عاملة إيه؟ وشهد ازيها؟

كانت أمينة تتحدث بصوت خفيض ضعيف.. إنها خائفة.. وعدها الطبيب بأن يخبرها في زيارتها القادمة له بنوع الجنين وقالت من بين دمعاتها:

بابا.. ادعيلي.. أنا النهارده رايحة للدكتور وقاللي ممكن يبان البيبي إيه المرة دي.. أنا خايفة.. ادعيلي يا پاپي.. ادعيلي..

وفي حب وصدق كبير وبرنة خجل كبيرة قال عزت:

عايزاني ابقى معاكي يا أمينة.. أنزل اجيلك حالاً ياحبيبتي؟!

وعندما أخبرته أمينة أن سليم وأدهم سيذهبان معها، قال لها في خجل أكبر:

أنا حاجيلك بكرة وإن شاء الله.. إن شاء الله يا أمينة حتسمعي خبر كويس.. إن شاء الله يا حبيبتي حيكون ولد، لما تروحي للدكتور أنا حاكون بتوضا وأصلي وادعيلك يا حبيبتي.. ابقي طمنيني يا أمينة.

وأغلق عزت الهاتف لينظر إليه من جديد.. من يعلم.. ربما طلبه الرقم الغريب وهو يحادث أمينة.. من يعلم؟ ربما لم يسمع رنّة الانتظار.. يجب أن يتأكد.

ووضع الهاتف إلى جوار كوب الشاي.. لم يتصل به أحد.. وحده عزت انقطع عن الاتصال بعالم الأحياء بأكمله.

أصبح كل عالمه هو هذا الهاتف الصغير اللعين.. حتى أمينة وحيدته لا يذهب إليها كثيراً.. حتى حفيدته الجميلة شهد لم يرها سوى مرات قليلة.. كم يكره نفسه، ولكن ليس بإمكانه أن يفعل شيئاً سوى الانتظار إلى جوار الهاتف الصغير.

ربما كان بإمكانه أن يفعل شيئاً آخر.. نعم.. الصلاة.. سيصلي من أجل أمينة.. سيدعو لها.. إنها مسكينة.. إنها متعبة.. ما زالت في أوائل شهر حملها الثالث وبدأت أعراض الضغط وسكر الحمل تطاردها.. انها تكاد تنتحر من أجل سليم.. نعم.. حملها الثاني السريع وأعراضه الصعبة انتحار تقدم عليه أمينة حتى تنجب مولوداً ذكراً.

وابتسم في مرارة كبرى ثم رمى عزت بعينيه إلى البحر.. هل تحقق لها صلاته شيئاً.. عزت لم ينقطع عن الدعاء والصلاة لحظة لكي يرى هالة أو يسمع صوتها.. فهل يقبل الله دعاءه وصلاته من أجل أمينة؟

من يعلم؟ ربما.

* * *

في تثاقل شديد فتحت يامنة عينيها الصغيرتين لتنظر في عينَي أخيها عبد السلام الذي يجلس إلى جوار فراشها وقالت في ضيق كبير:

روح يا عبد السلام.. أنا بخير.. جاز دي مجنونة وأنا حاعرف أحاسبها.

ومد عبد السلام كفه ليلتقط كفّها ثم انحنى يقبّلها ومن خلف دمعة لاحت في عينيه قال:

سايق عليك الرسول يا يامنة قومي معايا.. خلينا ننزل تحت وناكل لقمة سوا.

وأشاحت يامنة بوجهها بعيدا عنه قائلة:

سايقة أنا عليك الرسول تهملني في حالي.. أنا خلاص عايزة أموت يا عبد السلام.. ماطلباش من الدنيا غير الموت..

وبلوعة كبيرة قال لها:

يامنة.. يامنة دا أنت أم النجع كله يا يامنة.. يا يامنة كل دا ليه.. كل دا عشان سليم حيجيب بنت تانية يا يامنة.. بكرة يجيب بدل الولد عشرة يا يامنة الخير كتير وسليم صغير هو ومرته.. ليه يا يامنة تعملي فينا وفي روحك كدا عاد؟

وتحاملت يامنة على نفسها لتجلس في فراشها وهي تغالب دمعها.. لن تبكي.. سليم لن يجعلها تبكي.. يامنة تموت قبل أن تبكي وعادت تلقي رأسها بين كفيها وهي تشعر أن ناراً تشتعل بين ضلوعها وانتفض جسدها وهي تشعر بكف عبد السلام على رأسها لتقول في غضب هائل:

لأ.. كل دا عشان ولدي اللي اتكفيت عليه عمري كله يا عبد السلام ما عاوزش يسمع كلامي.. لو سمع كلامي وما اتجوزش المصراوية دي كان زمانة عنده بدل الولد عشرة.. أمينة ما حتخلفش تاني يا عبد السلام.. الدكتور طلب منها ما تفكرش في خلفة تاني قبل أربع خمس سنين.. دا سليم بيقول يمكن تموت أو حتى تموت البنت اللي في بطنها.

وبعد لحظات صمت رفعت يامنة عينيها لتقول في جنون:

ياريتها تموت.. ياريتها تموت ياعبد السلام..

وانتفض الأخير قائلاً:

استغفري ربنا يا يامنة.. استغفري ربنا.. دي عيلة وعندها بنت صغيرة.. احنا اتحرمنا من أمنا وعارفين اليتم.

ورغم ثورتها وجنونها عادت يامنة تقول:

استغفر الله العظيم.. استغفر الله.. لكن يرضي مين أن سليم عبد المجيد ما يبقاش عنده غير بنت ولا بنتين بس يا عبد السلام.. يرضي مين.. والله البنت دي ساحراه.. أنا من زمان قلت كدا.. فيها إيه أمينة يعني.. فيها إيه زيادة؟!

وعاد عبد السلام يربت على رأس يامنة وهو يشعر أن قلبه يكاد يقع من بين ضلوعه قائلاً:

فيها انه بيحبها.. فيه أنها بتحبه يا يامنة.. فاكرة كيف كنت انتي بتحبي عبد المجيد الله يرحمه. فاكرة؟! أهو سليم بيحبها كيف حبك لأبوه.. قدرت يا يامنة تتجوزي بعده.. قدرت حتى تفكري في غيره.. ما تلوميش سليم يا أم سليم.

وعادت يامنة ترفع رأسها وهي تقول:

طب يتجوز واحدة تانية.. يتجوز واحدة تانية يا عبد السلام مش ربنا اداه الحق يتجوز تاني.. مش ربنا طلب منه يريح أمه.. يتجوز ولا يقتل أمه يعني..

وبعد لحظة صمت عادت تقول في عصبية كبيرة:

سيبني يا عبد السلام.. سيبني الله يسترك.. عايزين مني إيه؟ أنت وأخوك كبرتوا خلاص وسليم كفاية عليه المصراوية.. أنا عاوزة أموت.. سيبوني.

وفي هدوء تركها عبد السلام.. هو يعلم أنه كلما زاد ضغطه عليها زاد عنادها وتصميمها.. هذه هي يامنة لن تتغير حتى تموت ولكن هل يتركها تموت؟

جاز تخبره أنها لا تأكل شيئاً يذكر منذ أيام.. قطرات قليلة من الماء تبتلعها ثم تعود إلى فراشها بعد أن تؤدي صلواتها.. لا شيء آخر تفعله..

ولكن عبد السلام وعلي لن يتركاها.. يامنة ليست أختهما الكبرى.. يامنة أمّهما كما هي أم نجع الحواويش بأكمله.. سليم ليس ولدها وحده.

وهبط عبد السلام درجات المنزل في حزن.. هو يعلم أن سليم يحبّها أكثر مما يحبّها عبد السلام نفسه. ولكنه لا يعلم شيئاً

مما يدور في رأس يامنة منذ أيام.. سليم مشغول بعمله وبزوجته التي تمر بظروف صحية قاسية.

عبد السلام سيأخذ علي ويسافران معاً إلى سليم.. لن يتركا يامنة تموت.. إن ماتت فسيموت سليم أيضاً حزناً عليها بل ربما قتله شعوره بالذنب.. يامنة أم نجع الحواويش وسيدة نسائها يجب أن تعود إلى العقل والصواب.. يجب أن يجد هو حلاً مع أخيه وابنها.

عبد السلام لن يفقد أمه مرتين أبداً.

* * *

في ألم وضعف ألقت أمينة بجسدها على الأريكة الذهبية وهي تنظر إلى باب غرفة المكتب الذي يجلس خلفه سليم.. منذ أصبح سليم قاضياً وهو لا يذهب إلى العمل إلا ثلاثة أيام في الأسبوع ويقضي باقي الأيام في دراسة القضايا خلف باب غرفة المكتب..

وجاءت صاري تحمل إليها كوب النعناع الساخن ثم حملت «بانكيت» ذهبي اللون رفعت عليه أمينة ساقيها المتورمتين في ألم وعادت تغرق في أفكارها.. الطبيب يطلب منها أن تحصل على اجازة من عملها.. هي تعلم أن حملها في خطر.. ضغطها المرتفع وسكر الحمل قد يؤديان في لحظة إلى حدوث تسمم في الحمل.. وأغمضت أمينة عينيها في ذعر.. تسمم حمل قد يعني موت الجنين بل قد يعني موتها هي أيضاً.. أحياناً تظن أنها تريد الموت.. لم تستطع تحقيق حلم سليم.. لم تستطع أن تحقق له حلم عمره.. لكنها أحياناً أخرى يغويها الأمل.. يخبرها أنها قد تفعل في المرة المقبلة.

آهة خرجت من صدرها.. الطبيب يخبرها أنه من الأفضل ألاّ تفكر في الانجاب مرة أخرى. عندما رأى الذعر يكسو وجهها

ووجه سليم، عاد يقول إنها إذا فكرت فيجب ألاّ يحدث هذا قبل أربعة أو خمسة أعوام.

هل تستطيع حقاً أن تحتمل أربعة أو خمسة أعوام أخرى؟ وإن فعلت فمن قال إنها ستكمل حملها القادم؟ وحتى إن أكملته فمن يقول إنها ستنجب ذكراً.

ووضعت أمينة كفّها البيضاء تتحسس بطنها في هدوء.. إنها في بداية الشهر السادس.. الجميع يدعو الله أن تصمد وتصمد ابنتها الراقدة في أحشائها شهوراً أخرى..

كانت تتمنى لو كانت يامنة تحبها مثلما يفعل سليم أو أدهم خالها.. كانت تتمنى لو كانت هذه المرأة أكثر حناناً ورقة.. لمَ يذوب سليم عشقاً في يامنة وهي بهذا الجمود وهذه الصلابة؟!

وعادت أمينة بكوب النعناع الفارغ لتضعه إلى جوارها.. لم يأت سليم ليجلس قربها.. لقد مرت بغرفة المكتب وهي في طريقها إلى هنا وأخبرته أن يأتي ليشرب معها الشاي.. لكنه لم يحضر.. أصبح سليم واجماً صامتاً في الأيام الأخيرة.. هل يكرهها؟! هل حقاً بدأ يملها؟!

ووقفت أمينة في تثاقل ومضت في خطوات عصبية إلى باب المكتب وفتحته بعد طرقة واحدة صغيرة..

رفع سليم وجهه ينظر إليها ووقف ثم تقدم نحوها قائلاً:

إيه يا أمينة فيه حاجة.. تعبانة؟!

وكأن لهفته أثارت دمعها فقالت وهي تكاد تبكي:

ليه ما جتش تقعد معايا يا سليم؟!

وأمسك سليم بكفها في حنان ليخرج بها إلى صالة البيت ويجلس إلى جوارها ثم قال:

أنا آسف.. القضية اللي باشتغل فيها يا أمينة فيها طلاسم كتير..

إنها حزينة.. خائفة.. أمينة خائفة حتى الموت.. خائفة من أن تفقد جنينها.. خائفة من أن تفقد حياتها وخائفة أكثر من أن تفقد حب سليم ورغبته فيها.. ومالت برأسها إلى صدره وتمتمت:

ليه ما بقتش بتهتم بيا يا سليم.. إيه اللي جرالك؟!

وبصوت خفيض أجابها:

أمينة.. أنا تعبان يا أمينة.. الشغل كتير وانت تعبانة قدام عينيا وكمان أمي.. أمي يا أمينة.

وبرنة مريرة لا تخلو من السخرية قالت أمينة:

إيه.. لسه غضبانة؟!

وفي حزم قاطعها سليم قائلاً:

أمينة.. أرجوك.

وبلا وعي.. بلا تفكير اعتدلت أمينة رغم الألم لتنظر حولها في جنون والتقطت عيناها كوب الشاي الذي احضرته صاري لتصفعه أمينة بكفها في جنون وهي تصيح:

أنا أموت.. اللي في بطني تموت.. نولع.. نولع.. نروح في داهية مش مهم.. لكن كله أمي تعبانة يا أمينة.. أمي زعلانة.. حاسبي يا أمينة.. اعذريها يا أمينة.. أمي أمي يا أمينة.. إيه.. إيه يا سليم؟! حرام عليك.. كل حاجة أمينة أمينة.

كان سليم يرقبها مشدوهاً.. لا يعلم ماذا أصابها.. لم تعد أمينة تحتمل ذكر يامنة أمامها. وفي كل مرة يأخذ على نفسه وعداً ألا يذكرها أبداً لكنه دوماً ينسى. ورآها تضع وجهها بين كفيها وتجهش في بكاء مرير. اقترب منها وأمسك بكفيها في تردد ثم قال:

أيوه كل حاجة أمينة لأني ماليش غيرك يا أمينة.. أقول لمين.. أشكي لمين يا حبيبتي؟ أمينة.. كفاية عشان خاطري.

ودفنت أمينة وجهها في صدره وهي تعتذر.. إنها تائهة خائفة.. تشعر بخجل لا تفهم سببه.. خجل من سليم.. خجل من يامنة ومن نفسها.. تشعر أنها تجلد نفسها بذنب لم ترتكبه.. وهدأت أمينة ثم نظرت في عينَي سليم وهمست:

سامحني.. سامحني يا سليم.. أنت وحشتني قوي.. وحشني حضنك يا سليم.

وأخذ سليم يربت على كتفيها.. يجب أن يحتمل.. أمينة حائرة مثله.. أمينة خائفة.. أمينة متعبة.. يجب أن يحتمل.. يجب أن يكون أكثر هدوءاً وعطاء وحبّاً.. في نهاية الأسبوع سيذهب إلى يامنة.. سيذهب ويحاول أن يكون معها هي الأخرى أكثر هدوءاً وحبّاً.. جميعهم متعبون.. الحب والحنان وحدهما سيبقيان دوماً ترياق الخوف والحيرة.

وأقبلت صاري السمراء نحوهما وهي تحمل هاتف سليم، فأخذه سليم وهو يشكرها. وسمعته أمينة يقول:

أيوة يا خال.. أيوة أنا في البيت.. بكره ليه؟

وبعد لحظات صمت سمعته أمينة يقول في ألم:

حاضر بكرة يا خال!

وفي تردد نظر سليم إلى أمينة التي كانت ترقبه في خوف ثم أرخى جفنيه ليقول:

أمي تعبانة.. خالي عايزني أروح.. كان عايز ييجي هو بس خايفين يسيبوها لوحدها.. أمينة أنا حاروح وأرجع آخر النهار.. مش حاغيب عنك أكتر من يوم واحد.

وضمته أمينة إلى صدرها وهي تهمس:

روح وما تخافش أنا كويسة.. خالي أهو جنبي.. أنا آسفة يا سليم.. آسفة قوي.

* * *

ربت عبد السلام في قوة فخذي سليم وهو يقول:

وبعدين يا سليم.. أجمد أمال..

ورفع سليم وجهه وقال:

أنا عملت إيه يا خال؟! دي مارضيتش تدور وشها وتتكلم معايا كلمتين وحتى دلوقت لما قلتلها أنك جيت مارضيتش تنزل معايا.

وقاطعه عبد السلام:

يامنة حتنزل يا سليم.. علي زمانه جاي وحيجيب الشيخ مدكور وانت عارف قيمته وهيبته في النجع.. يامنة لما تعرف أنه موجود حتنزل.

ورفع سليم وجهه في دهشة كبيرة.. الشيخ مدكور من أكثر رجال النجع بهاء وهيبة وأيضاً من أكثرهم تديّناً وتقوى.. منذ طفولة سليم والشيخ مدكور لا يدخل دار أحد.. الجميع يزوره ويطرق بابه لأخذ المشورة والفتوى.. كيف يأتي الشيخ مدكور ومن أقنعه بالمجيء؟ وقبل أن يسأل، ابتسم عبد السلام كأنه يقرأ ما يدور في ذهن سليم ليقول:

أبوك الله يرحمه ما كانش قليل يا سليم.. ولا أمك قليلة في النجع ولا احنا كمان..

وقبل أن يقول سليم كلمة، ركضت جاز تفتح الباب بعد طرقات عدّة ثم هرولت إلى المندرة حيث يجلس سليم وخاله وقالت وصوتها ينتفض:

يا سليم بيه.. الشيخ مدكور.. الشيخ مدكور ومعاه علي بيه..

وأسرع عبد السلام بالخروج من المندرة وسليم يتبعه ليجدا علي خال سليم الأصغر يدخل وإلى جواره الشيخ مدكور، وتقدم سليم يرحب به مع عبد السلام وضم الرجل سليم إلى صدره في حب وهو يقول:

عامل إيه يا ابن الغاليين؟! كدا يا سليم سنين تروح وتاجي على النجع وماتعديش أشوفك ولا مرة..

وقال علي وهو يأخذ طريقه إلى سلالم البيت:

اتفضلوا في المندرة.. أنا حاجيب يامنة وآجي..

كان الشيخ مدكور يتكئ على عصاه رغم قوة خطواته. وتقدم ليجلس على أحد مقاعد المندرة وأخذ سليم ينظر إلى وجهه المضيء ولحيته البيضاء الكثيفة.. كما هو لم يتغير تماماً مثلما يذكره سليم في طفولته.. في وجهه راحة وسكينة كبيرة.. صوته الهادئ أيضاً يشيع في القلوب طمأنينة.. سليم لا ينسى أبداً صوته العذب وهو يتلو القرآن الكريم.

ولم تمض لحظات حتى دخل علي ويامنة تخطو إلى جواره. ورغم دهشتها الواضحة والكبيرة بحضور الشيخ مدكور

كانت تبتسم في سعادة وترحب به ترحيباً كبيراً صادقاً. وقال مذكور في صوته الرخيم:

زي ما أنت يا يامنة. .و الله زمان يا دار عبد المجيد. . حتى داره زي ما هي يا يامنة.

وأجابت يامنة وهي تكاد تبكي:

عهد قديم قطعته قدامك يا شيخ مذكور. . دار عبد المجيد أبو عمران تفضل على حالها وما يتطفيش نورها لغاية ما أموت.

وقبل أن تكمل عاد مذكور يقول بصوته الهادئ:

ماكنش عهد واحد يا يامنة كانوا عهدين ولا نسيتِ؟!

وعاد يكمل وهو ينظر إلى سليم قائلاً ودمعة تترقرق في عينيه. .

يومها يامنة حطت يدها على بطنها وقالت «عهد يا عبد المجيد أربي ابنك وأراعيه لغاية ما يبقى زيك».

وفي حزن قاطعته يامنة:

وأهو بقي. . خلاص يا شيخ مذكور الحكاية خلصت والعهد وفيت بيه ولازم أمشي. .

وقال سليم:

أمي بعد الشر عليك. . ليه كدا بس؟!

وفي حزم قال مذكور:

عايزة إيه يا يامنة من ولدك؟!

وفي غضب قالت يامنة:

عاوزاه يسيبني في حالي. . عاوزاه ما يجيش هنا تاني خلاص ما عايزاش أشوفه لغاية ما أموت.

وفي لوعة قال علي في اندفاعه وبساطته:

يامنة. . ماعاوزاش سليم خلاص أنا أمنعه يدخل دار أبوه ودارك. . لكن يامنة اللي بتعمليه في نفسك حرام. . لا أكل ولا شرب زي الناس ولا نوم عاد.

وعاد الشيخ مذكور يقول:

يامنة. . عاوزة إيه يا يامنة. . الشيخ مذكور ما يتقلوش الكلام دا. . عاوزة إيه من ابنك يا يامنة؟!

وردّ علي في بساطته المعهودة:

عايزاه يطلق مرته يا شيخ مذكور.

وعلا صوت الشيخ قليلاً ليقول:

أعوذ بالله. . حاشا لله يكون طلع الغلط دا من فم يامنة ست ستات النجع. . صح الكلام دا يا يامنة؟!

ونظرت يامنة إلى عينَي سليم الملتاعتين وأدارت وجهها نحوهم وقالت بعد صمت قصير:

لا. . والله عمري ما طلعتها من جوفي. . صحيح أنا ما كنتش عاوزاه يتجوزها لكن عمري برضه ما أقولها. . أنا عاوزاه يتجوز. .مرته خلفتها بنات يا شيخ مذكور.

وقال مذكور:

ربنا قال في كتابه العزيز: «يهب لمن يشاء ذكوراً ويهب لمن يشاء إناثاً». . حنعترض على إرادة ربنا.

وعادت يامنة تكمل:

مرتة ما حتقدرش تخلف تاني.

وسقطت دمعة من عين سليم لترخي يامنة عينيها وهي تقول:

هي قالتلي يا سليم..

وقاطعها سليم:

لا يا أمي.. أمينة ممكن تخلف تاني إن شاء الله بس ترتاح شوية.. يا أمي أمينة عشان ترضيك ما رضعتش بنتها من صدرها عشان تحمل على طول.. أمينة عندها ضغط وسكر حمل.. أمينة ممكن تروح فيها وبرضك ما همهاش عمرها.. برضه عشانك يا أم سليم.. كمان كام سنة يا أم سليم وإن شاء الله نجرب تاني.

ولطمت يامنة رأسها في قسوة وهي تصيح قائلة:

كام سنة؟! كام سنة يا سليم؟! هو عاد في كام سنة في عمري.. قعدت كام سنة تأخر جوازك مرة سنة عشان المرحومة أمها طلبت منك تجهزها.. وسنة عشان ما أعرفش إيه شغلها وسنة تالتة عشان أمها ماتت.. وجاي كمان تقول كام سنة تانيين.. هو أنا باطلب حاجة حرام.. أنا باطلب حاجة غلط.. باقوله يعمل معصية يا شيخ مدكور؟!

وعاد سليم يقول:

لا يا أمي مش حرام بس ظلم.. ظلم يا أمي.. أنت عايزاني أظلم أمينة وأتجوز عليها وأظلم نفسي لما أعاشر واحدة أنا مش عاوزها وأظلم كمان بنت الناس الغلبانة اللي حاتجوزها.

وصاحت يامنة تقول في جنون:

قاضي وما تعرفشي تحكم يا سليم.. قاضي وما تعرفش الظلم من العدل..

انت لو اتجوزت حتعدل وتنصف وأول واحدة حتنصفها

أمينة مرتك.. حتقولها ماتحملش تاني.. ما تعرضش روحها للموت يا سليم عشانك أو عشاني.. لما تتجوز حتنصف أمك وتراضيها.. حتنصف أبوك في تربته وتحيي اسمه.. وبنت الناس اللي بتقول عليها لو رضيت يبقى فين الظلم.. لو عدلت وعاملتها بما يرضي الله تبقى سترت بنت وصنتها فين الظلم يا سليم.. فين الظلم عاد؟!

وفي جنون قال سليم:

قلبي.. قلبي يا أمي.. مش حاقدر أحبها.. أنت يا أمي قدرت تحبي غير أبويا الله يرحمه.. قدرت تتجوزي غيره؟!

وصاحت يامنة:

أنا عشت أربي ابنه.. عشت أرعي داره.. وبعدين رسول الله عليه الصلاة والسلام قال قلبك من حقك ومالناس يد فيه.. مين قال تحبها غصب يا سليم.. احسن معاشرتها.. احسن لإمك يا سليم.. حققلها رغبة عمرها اللي ضيعته عليك.

وفي يأس قال سليم:

وافرضي خلفت بنات يا أمي..

وعادت يامنة تصيح:

يبقى حاولنا يا سليم.. حاولنا.. عملت اللي عليك الخير كتير وبدل العيل تقدر تشيل عشرة..

وكأنه يستغيث التفت سليم إلى الشيخ مدكور الذي قال بعد لحظات:

شوف يا سليم يا ولدي.. بتحب مرتك حقك.. تعيش

معاها أو تسيبيها دا قرارك لوحدك.. لكن تتجوز تاني دا مش حرام ابداً.. ربك أباحه.

وعادت يامنة تقاطع في غضب:

لا.. سليم ماعاوزش يراضي أمه.. ما عاوزش أبداً يريح قلبها..

وقال عبد السلام وهو يربت على كتف سليم:

سليم.. اتجوز يا ولدي.. دار أبوك كبيرة.. مين عارف.. ارضي أمك..

وصاح سليم في ذهول:

أتجوز مين؟!

وعادت يامنة تقول:

شوف يا سليم.. أنا أقولك.. أنا حاجوزك البنت لبني بنت ابراهيم حسنين الله يرحمه.. مالهاش لا عم ولا خال.. مالهاش غير امها وأخوها الولد الخايب وأهي تيجي تعيش معايا هنا في الدار.

وصاح سليم كأنها لا يصدق أن يامنة أعدت كل شيء:

هنا؟! ومراتي وبناتي؟! يتحرّم عليهم دخول دارك؟!

وعادت يامنة تصيح:

مراتك وبناتك؟! هي أمينة وصلت سوهاج ولا دخلتها عاد؟! بناتك لما يكبروا ساعتها يحلها ربنا.. ابقى ساعتها خد مراتك ووديها دار تانية يا سليم..

ونفض سليم رأسه في جنون قائلاً:

وأمينة؟!

وقال علي:

ما تخبّرهاش.. يامنة بتقولك لبني بنت ابراهيم الغلبان.. دا أنت تاخد فيها وفي أمها ثواب.

وعادت يامنة تقول:

دي حتى تونسني في وحدتي بدال كل ليلة ما يتقفل عليا باب الدار بعد جاز ما بتروح يا سليم.. أقله لو مت يا ولدي يبقى في نفس معايا في الدار.

وعاد الشيخ مدكور يقول في هدوء كأنه يعيد ما قاله:

الجواز مش حرام يا سليم.. الجواز مش خطية يا ولدي.

كان سليم يشعر أنه يختنق.. لم يستطع أن يصدق أنه من الممكن أن توجد في أيامه امرأة غير أمينة.. لم يصدق أن أمينة هناك تحمل جنينها منه مع كل ذاك الألم وهو هنا يناقش زواجه بامرأة سواها. ورفع سليم رأسه لتسقط دمعة أخرى من عينيه وقال:

لا يا أمي مستحيل..

ونهضت يامنة عن مقعدها في عنف ثم نظرت إلى الشيخ مدكور وقالت:

شيخ مدكور.. وصية الميت حكمها إيه؟! مش واجب تنفيذها؟!

ونظر مدكور إليها في حيرة وهو يحاول أن يفهم ما تقصده ثم قال:

واجب يا يامنة.. عبد المجيد الله يرحمه كان موصيك بحاجة ما نعرفهاش؟!

والتفتت يامنة تنظر إلى سليم في قسوة وقالت:

لا.. أنا اللي باوصيك وباوصي اخواتي واشهدكم على بعض.. سليم ولدي ما يقفش على غسلي لما أموت ولا يحضر دفنتي ولا ياخد عزايا.. سامعين! عاهدني يا عبد السلام.. عاهدني يا شيخ مذكور.

ووقف عبد السلام ليقترب منها ويضع كفه على كتفها لتصبح هي من جديد:

عاهد أختك يا عبد السلام..

وطأطأ عبد السلام رأسه وهو يقول:

أعاهدك يا يامنة وأرجو أن يجعل يومي قبل يومك.

وقبل أن تغادر يامنة المندرة نظرت في وجه الشيخ مذكور وقالت:

تسلم يا شيخ مذكور.. تسلم.. أنا عارفة جيتك كبيرة قد إيه.. لكن شوف انت الضنا بقت قلوبهم حجر قد إيه؟!

* * *

ضم أدهم أمينة إلى صدره في حنان. رغم متاعبها الصحية، وأحزانها العميقة، جاءت أمينة كما تأتي كل مساء لتطمئن على أنه تناول دواءه ومنحته قبلة المساء.. وخرجت بخطواتها الثقيلة وبطنها الكبير لتلوح له وتدخل بيتها، وبطرف عينيها نظرت إلى غرفة المكتب..

سليم كعادته يدرس قضاياه ويقرأها وهي يجب أن تنام. خلعت الروب الذي ترتديه عند ذهابها إلى خالها.. وبآهة ألم كبيرة جلست أمام السكرتيرة الخشبية وأخرجت دفتر رسائلها اليومية إلى أمها ولم تكتب لحظات طويلة.. كانت دموع كثيفة غزيرة تسقط من عينيها.. لن تنجب عبد المجيد ولن تنجب مدحت.. لن تحقق أمينة حلم سليم ولا يامنة.. لن تحقق حلم أمها أو خالها.

يبدو أن أمينة عزت لا تنجب حقاً سوى البنات.

وعادت تمسك بالقلم ومن خلف دمعاتها كتبت تقول:

أمي:

أشعر أني أحتضر.. أشعر حقاً أني أموت.. قد يكون من الطبيعي أن يصوّب أحدهم بندقية إلى رأسك ولكن من الجنون

أن نمسك نحن بالبندقية بين أصابعنا لنصوبها إلى قلوبنا كل صباح، وبعد صراع طويل ينتصر الأمل في الغد لنضعها إلى جوارنا ثم نعاود في الصباح التالي ما صنعناه بالأمس!

أفعل هذا كل صباح.. كل صباح أذهب إلى العمل وأنا أعلم أن خروجي إليه انتحار.. كل يوم أعود إلى البيت وأنا أعلم أن عودتي إليه أيضاً انتحار.. أعود لأشعر بالألم على شهد صغيرتي التي لا استطيع أن أمنحها سوى القليل من حبي وأمومتي. أعود لأرقب وجه سليم الغارق في بئر حزن سحيق لا أعرف له سبباً.. سليم أخبرني أنه سيضطر إلى الذهاب إلى سوهاج لقضاء ثلاثة أو أربعة أيام مرة أو مرتين كل شهر بعد ولادتي.

أخبرني أن يامنة تمر بظروف صحية ونفسية صعبة وأنه يجب أن يقضي معها وقتاً أطول.. سليم ينتظر ولادتي حتى يخصص لها أياماً يقضيها معها في سوهاج بانتظام كل شهر.

سليم يحاول إرضاءها لأنها كادت تموت حزناً عندما أخبرتها أن جنيني الثاني هو أيضاً أنثى..

ماما:

ما زلت أعشق سليم.. ما زلت أذوب بين ذراعيه شوقاً وحباً كما كنت في ليلتي الأولى. لكنني تعيسة..

كنتِ دوماً تقولين لي إن الحب وحده يزرع السعادة..

كنتِ دوماً تقولين إن كره بابا لك بعد وقوعه في حب تلك السكندرية وحده سر شقائك..

كلاّ يا أمي اليوم علمت وتعلّمت أن الحب يؤلم أكثر..

الحب لوعته أكبر.. الحب سكين نصله دوماً أكثر شراسة وإيلاماً.. الكره دواؤه سهل.. في الكره تحملين نفسك بعيداً عمن تكرهين لتهدأ أنفاسك.. ولكن أين يختبئ العشاق من هواهم.

آه يا أمي هل تذكرين كم كنا سعداء.. حتى في كراهية بابا لحياته كنا سعداء ولكنه أصبح تائهاً ضعيفاً..

بالكره كان أهنأ حالاً..

يوم عاد الحب إلى قلبه.. يوم سكن الأمل عروقه أصبح مثلنا من التعساء!

هناك أمور قد يراها البشر جميعاً تافهة لا تستحق الألم والمعاناة لكنها تبقى وحدها أمل قلوبنا وعذابها..

إن الكره نعمة كبيرة.

الحب وحده هو العذاب الكبير!

* * *

في هدوء نظر أدهم من خلف نظارتيه إلى صاري، خادمة أمينة، وهو يخطو خارج بيتها قائلاً:

لما تصحى مدام أمينة سخني الأكل يا صاري. ولو شهد أو نور صحيت وأمينة تعبانة خبطي عليّ وأنا آجي أقعد جنبها لغاية سليم ما يرجع.

وقبل مغادرته المنزل عاد مرة أخرى يخبرها أن الطباخ سيعدّ لهم الطعام وأنها يجب أن تتفرغ إلى رعاية البنات وجلس أدهم متهالكاً على أحد المقاعد. إنه متعب وعجوز ولكن ما يصيبه بشيخوخة اكبر حال أمينة وحزنها العميق.. لقد كانت ولادتها صعبة بل أصعب من الأولى.. لكنها هذه المرة أكثر يأساً وحزناً.. كانت ستسمي مولودتها مديحة لكنها عادت وعدلت عن رأيها.. طلبت من أدهم أن يختار لها اسماً.. قالت إن اسم مديحة قد يغضب يامنة أكثر.. وتنهد أدهم وهو يتذكر تلك اللحظات التي ربت فيها على كفها في المستشفى وقال لها إنه يقترح تسميتها نور.. قال لها إنه يدعو الله أن تحمل هذه الصغيرة النور إلى قلبَي أمها وأبيها.

سليم أيضاً يتحرك في صمت وكأنه مسجون داخل شرنقة سوداء من الحيرة والظلمة.

ورفع أدهم عينيه فوجد سليم يدخل من باب البيت. وقف ينظر إليه بعينين زائغتين كأنه لا يراه.. إلى متى ستستمر الحال على هذا النحو؟ كان أدهم يظنّ أن سليم سيهدأ بعد ولادة أمينة وكل الظروف الصحية المريرة التي مرت بها.. كان يظن أنه سيهدأ بعد خروج نور ابنة امينة الثانية من الحضّانة وزوال الخطر عن حياتها وعودتهم بها إلى البيت منذ أسابيع.. لكن سليم يزداد قتامة وحزناً كل يوم. ربت أدهم على كتف سليم في حنان وقال:

مالك يا سليم؟ مالك يا ابني..

وأفاق سليم ليضمه إليه وهو يعتذر وعاد يجلسه على مقعده ليجلس أمامه، وسمع أدهم يقول:

البنات نايمين هما وأمينة.. تتغدى.. أقول لصاري تحضر لك لقمة ولا اقولك تعال معايا.. على حيحضر غدايا كمان شوية..

ونظر سليم في عيني أدهم وهو يكاد يبكي.. ليته يذهب معه إلى بيته.. ليته يستطيع أن يخبره بما يدور في رأسه وقلبه.. ليته حقاً يستطيع أن يلقي برأسه على صدره.. أدهم ليس خال أمينة ولا شقيق مديحة رحمها الله.. سليم رأى أدهم وأحبه قبل أن يرى أمينة ويحبها.. سليم يذكر كيف كان أدهم يضمّه ويدلله كلما زار خاله عبد السلام ووجده هناك، أيام كان يعمل في سوهاج.

أدهم وهبي في قلب سليم أب وأستاذ ومعلّم. لقد بقيت صلته به قائمة حتى رأى أمينة في بيته وأحبها.

وعاد أدهم يربت على ركبتيه في حنان وهو يقول:

مالك؟ احكي.. أنا مش خال أمينة بس أنا خالك انت كمان يا سليم وعمك.. يامنة والله في غلاوة مديحة الله يرحمها وعبد السلام خالك أخويا.. يا سليم أنا لما سبت الصعيد كنت باروح كل سنة ازور خالك. وخالك نفسه كان بييجي مصر عشان يشوفني.. دي يامنة ما كانتش تغفل عينها عنك ثانية. وكانت بتخلي عبد السلام يجيبك معاه أحياناً لما كنت أكلمها واقولها ابني واحشني..

وتابع:

سليم.. فيه ايه؟! كل دا عشان خلفت بنتين.. يابني كفاية انك بيهم تدخل الجنة.. انت نسيت الرسول عليه الصلاة والسلام بيقول إيه.. اللي يخلف بنتين ويحسن تربيتهم يبقوا ستار بينه وبين النار.. سليم.. خالتك ثريا الله يرحمها كانت بتحلم بضفر عيل.. عمرها ما قالت ولد ولا بنت.. يابني استغفر ربنا.. انت.. انت يا سليم يا قاضي زعلان من خلفة البنات؟!

وأطرق سليم برأسه لحظات.. ليته يستطيع أن يخبره.. ليته حقاً يستطيع أن يلقي برأسه على صدره ويبكي.. يامنة أعدت كل شيء.. يامنة بانتظاره ليعقد قرانه على لبنى.. لقد أخبرته أنها ستنتظره بعد أربعين يوماً من مولد نور..

وأطلق سليم تنهيدة حارقة من صدره وهو يتذكرها.. لبنى الرقيقة الشابة التي رآها مرتين في دار يامنة في العشرين من

عمرها.. كيف رضيت به؟ لا يعلم. إنها جميلة خجولة.. لم ترفع عينيها لتنظر إليه نظرة واحدة.. لكنها بدت سعيدة.. كل قطعة في وجهها كانت تتورد سعادة وخجلاً.. لكنه ما زال لا يفهم كيف تقبل فتاة في مثل سنّها بزوج يزورها أياماً قليلة كل شهر.. بزوج له زوجة ويعلم النجع وسكانه كم يحبها وماذا فعل سليم لترضى أمه بزواجه بها؟ كيف تقبل فتاة في العشرين بالزواج من رجل له ابناء؟! أبناء!!

ورفع سليم عينيه في ذعر.. سليم عبد المجيد ليس له أبناء.. سليم هو أبو البنات!

ونهض أدهم في تثاقل.. خشونة ركبتيه تجعل قدميه عاجزتين عن حمل جسده. لكنه نهض وهو يرقب عينَي سليم المذعورتين وصمته الثائر وقال:

مش عاوز تتكلم.. يبقى اللي بقوله صح.. موضوع البنات..

وقاطعه سليم وهو ينهض قائلاً:

استغفر الله.. والله أبداً.. لكن أمي؟!

وأطرق أدهم قليلاً ثم نظر إليه وقال:

الأم هي الأم يا سليم.. اعذرها.. أنا عاذرها وأمينة كمان لازم تعذرها.. مع الوقت حترضي.. يامنة ست مافيش زيها.. عنيدة لكن أم وقلبها كله رحمة وحب..

اسمع يا سليم ربنا حيعوض عليكم وحيعوض عليكم بولد ان شاء الله.. بس أمينة ترتاح.. أوعى.. أوعى يا سليم تخليها تحمل بسرعة تاني.. دي كانت حتروح مننا..

وهز سليم رأسه بالموافقة في صمت لم يسمح لأدهم باضافة كلمة أخرى، وسار نحو الباب قائلاً:

أنا راجل عجوز آه.. باتحرك بصعوبة آه.. لكن برضه جدّ وبحب احفادي.. لو أمينة صحيت أو حد من البنات صحي وأنت عندك قضايا اندهولي.

وخرج أدهم وهو يلوم نفسه.. في كل مرة يقول فيها البنات يغضب من نفسه.. لمَ لا يقول الأطفال أو الأولاد مثلاً؟ قد تُغضب سليم كلمة البنات لكنه فتح بيته ودخل..

يجب ألاّ يلوم نفسه أبداً. إنهما بنتان. شهد ونور طفلتان رائعتان.. ما العيب في هذا؟! لا عيب إطلاقاً. البنات سر جمال الأرض وسر سعادة القلوب.

***

وقف سليم لحظات يرقب أدهم وهو يدخل إلى بيته بعد أن لوّح له وأغلق خلفه الباب. بقي سليم ممسكاً بالباب في ذهول كبير.. إنه تائه. لماذا يقف ويده على الباب كالأبله؟ لقد أغلق أدهم باب بيته.. ماذا ينتظر إذن؟ هزّ سليم رأسه كأنه يحاول أن يوقظ نفسه. هذا الذهول لن يعيد حياته إلى سابق عهدها.. حياة سليم عبد المجيد تغيرت.. حياة سليم عبد المجيد ستنشطر نصفين بعد أسابيع قليلة.. سيتزوج امرأة أخرى وينشطر قلبه نصفين وينشطر جسده نصفين ولكن كيف يستطيع أن يتزوج امرأة سوى أمينة؟! كيف يستطيع أن يمنح سواها جزءاً من قلبه؟ كيف يمنح امرأة غيرها جسده؟

كيف يفعل سليم عبد المجيد هذا، برأس تناثر قطعاً صغيرة تحت أقدام قرار يامنة وعنادها؟

وعاد يدق بقبضته على ركبتيه.. لا يصدّق.. سليم ما زال لا يصدّق.

سليم قرأ الفاتحة مع أم لبنى وأخيها وأحد أعمامها.. يامنة أعدت لهما الغرفة الخالية في دارها لتصبح غرفته هو ولبنى.. يامنة حددت له اليوم الحادي والأربعين من عمر نور صغيرته ليكون هو يوم زواجه بتلك الشابة الجميلة.

يجب أن يستسلم.. لن يقاوم.. لقد التقط أنفاسه عندما رأى يامنة تصفح عنه وتأكل وتتحرك ويعلو صوتها من جديد..
إنه يدعو الله ألا تنجب لبنى أبداً.. سيقضي معها شهوراً ويدعو الله ألا تنجب.. بل سيحاول دوماً أن يسافر إليها في تلك الأوقات التي يصعب فيها الإنجاب.

وتنهد سليم.. هل أصابه الجنون.. إنه يظلم المسكينة التي رضيت به.. ما ذنبها في ما ينويه ويتمناه؟ ولكن أي ذنب له هو أيضاً في ما فرضته يامنة عليه.

وعاد يتألم.. لقد قبل سليم.. لن يرغمه أحد.. اختار أن يرضي يامنة.. خاف حقاً أن تموت ويحرم من رؤيتها.. يحرم من تلقي التعازي بها.. خاف أن يقتلها الحزن من عصيانه ويبقى العمر يتلوى تحت سياط الشعور بالذنب.

سليم عبد المجيد قبل الزواج بلبنى.. يجب أن يكون زواجاً حقيقياً ويجب ألا يظلم المسكينة أبداً.. وأيضاً لن يظلم قلبه.. قلبه سيكون دوماً لأمينة.

إن كانت يامنة سيدة القرار فستبقى أمينة وحدها سيدة القلب ونبض دقاته.. لن يدعها تشعر بشيء.. لن يتأخر أبداً عن تعويضها بكل ما استطاع من نقوده، من وقته، من جسده..
ويوماً قد يحكي لها.. يوماً ستسمعه أمينة عزت وتغفر له.. أمينة كانت تحب مديحة بجنون ويوماً ستعلم أن الابناء أيضاً يمنحون أشياء لا يريدونها من أجل إرضاء الأمهات.

أمينة أصبحت أمّاً وستعلم وتفهم وتغفر يوماً!

* * *

وقفت لبنى تنظر إلى شعرها الأحمر الطويل في المرآة وهي تبتسم.. إنها عروس.. اليوم هو يوم زفافها إلى سليم عبد المجيد أبو عمران.. ستصبح لبنى زوجة ابن يامنة سيدة النجع بأكمله..

لم تصدّق أن حلم صباها وطفولتها تحقق.. لم تصدق أن ذاك الشاب الأسمر الطويل الذي كانت تختلق الاعذار دوماً لزيارة بيته لتلمحه عيناها ولو من بعيد.. لأن تتنفس الهواء الذي يمرّ على صدره وشفتيه، سيغفو بين ذراعيها هذا المساء.

وعادت لبنى تحدق في المرآة من جديد.. إنها جميلة.. تشبه أمها الجميلة كثيراً.. لها عيناها الواسعتان المشروطتان بالرموش الطويلة.. لها أنفها الدقيق وشفتاها العريضتان الممتلئتان.. أسنانها جميلة ربما كان هناك فراغ صغير بين الناب الأيمن وباقي أسنانها المجاورة ولكن ألا يدعون هذا «فلجة»؟ وألا تجعل هذه الفلجة ابتسامتها أكثر إثارة؟ وجهها المستدير الصغير ينير إن ابتسمت لبنى.. حتى جسدها جميل طويل.

واستدارت ترقب شعرها الناعم الطويل الذي يقف عند نهاية ظهرها.. كانت تحلم أن يراه سليم يوماً.. أن يرى كم هو طويل وجميل.

هذا المساء سيمشطه سليم بكفّه خصلة خصلة.. آه لو يعلم.. بل هو سيعلم قريباً. وعندما تتحرر من خجلها ستخبره أنها عشقته منذ كان يذهب إلى مدرسته كل يوم قبل انتقاله إلى الجامعة في مصر..

وفي خطى هادئة ذهبت إلى ثوب عرسها الأبيض تتحسسه بأصابعها السمراء الطويلة.. إنه ثوب بسيط من الساتان الأبيض.. كانت تتمنّى ثوباً من الدانتيل لكن هذا ما استطاعت شراءه.. طرحة زفافها من الدانتيل.. كل شيء جميل.. كل شيء رائع..

ترى كيف سيخلع سليم ثوبها عند جسدها؟ هل حقاً يجب أن تطلب منه أن يفتح لها سوستة الثوب كما ترى في الأفلام أم تخلعها هي لترتدي قميص الدانتيل الأحمر الذي اشترته لهذه الليلة؟

وانتفض جسدها وهي تشعر بكف أمها تهزّ كتفيها.. واستدارت تنظر إلى أمّها في خجل من كل ما كانت تفكر فيه. وجاءها صوتها يقول في حزن:

خايفة عليك يا لبنى.. خايفة يا بنتي..

وضمتها لبنى إلى صدرها.. لم يعد للخوف أو الحزن مكان على الأرض.. ما دامت لبنى ستتزوج سليم.. لم يعد على الأرض شيء سوى الفرح. وسمعتها تكمل حديثها قائلة:

يا لبنى.. أصعب حاجة تاخدي واحد من على مرته وأولاده.. صدقيني.. تعالي.. تعالي يا لبنى نكلم الست يامنة وبلاش.

وانتفضت لبنى من جديد وهي تقول:

حرام عليك يا أمي.. سيبيني أفرح.. دا حلم عمري..

وجلست الأم على مقعد صغير من مقاعد البيت المتواضعة وهي تقول:

كل النجع عارف أن يامنة ما كانتش عاوزة سليم يتجوز المصراوية.. كل النجع عارف أنه كان حيموت عشان يتجوزها والنجع كله عارف هو بيتجوز تاني ليه.

وهزت لبنى رأسها في عناد لتقول:

مش مهم ليه.. أنا حاخليه ينساها.. أنا حاخليه يعرف أن أمي يامنة كانت على حق.. افرحي يا أمي.. وخليني افرح.. دا ساعات وييجوا يكتبوا الكتاب عاد.

كم مرة رجتها.. كم مرة تحدثت إليها.. كم قصة حكتها حتى ترفض لبنى.. يامنة كانت تعلم أن لبنى، ككل صبايا النجع، تهيم في سليم حباً.. يامنة حادثت لبنى قبل أن تحادثها.. لبنى ارسلت عبد السلام لخطبتها من أعمامها.. يامنة ذكية.. لم تدع لها فرصة لتقول لا.. كيف تقولها؟! العروس سعيدة وأعمامها طالت أعناقهم السماء يوم علموا أنهم سيصبحون أنساباً لعائلة عبد المجيد أبو عمران.

ونهضت أمها في صمت وقالت:

ربنا يخيب ظني.. ربنا يخيب ظني ويقدرك على اللي حتشوفيه يا لبنى..

* * *

كانت الساعة الثامنة تقريباً حينما انتهى منشد الحفل من تقديم وصلته الغنائية الثانية بعد انتهاء وليمة العشاء الفاخرة التي أقامتها يامنة وإخوتها احتفالاً بزواج سليم.

التفت عندها عبد السلام، الخال الأكبر لسليم، ليربت على فخذه قائلاً:

قوم يا سليم يللا على دارك وعروستك واحنا حنكمل الليلة مع الرجالة.. قوم يا ولدي.

كان الجميع سعداء، يهنئون سليم وأخواله في مندرة العائلة الكبيرة التي خصصوها للمناسبات.

ونهض سليم في هدوء وهو يرتدي جلبابه الجديد الذي اشترته له يامنة من أجل حفل زواجه.. سليم عبد المجيد لا يرتدي القميص والبنطلون في سوهاج أبداً.

ونهض سليم في خطى ثقيلة كأنه في طريقه لأن يصدر حكماً بالإعدام.. ولكن كل شيء انتهى.. أصبحت هذه اللبنى الصغيرة زوجته.. دقائق ويصل إلى دار يامنة التي تشتعل بالأضواء والأناشيد ليصطحب عروسه إلى غرفة مغلقة ويصبح سليم مع امرأة غير أمينة.

وبلا وعي نظر سليم إلى ساعة يده.. ما تراها أمينة تصنع الآن؟ هل تُرضع نور الصغيرة.. هل تلاعب شهد أم هي مع أدهم يتحادثان عن الأطفال والذكريات.. وتنهد سليم.. ليت عزت كان إلى جوار أمينة.. يريد كل من تحبّهم أمينة إلى جوارها ولكن أكثر من تحبهم أمينة ليس معها ولن يكون.. أكثر من تحبهم أمينة يخطو الآن إلى جسد امرأة أخرى.. سليم في طريقة إلى خيانة أمينة.. وانتفض جسده.. لن يستطيع.. لا يتصور سليم أن تضم ذراعاه امرأة أخرى.. أن تمر هذه الكف التي يكتب بأصابعها أحكاماً على رجال ونساء تنتفض أجسادهم في انتظار ما يحدد به مصيرهم، على جسد سوى جسد أمينة.

ورفع سليم رأسه ينظر إلى دار عبد المجيد أبو عمران..

وعاد يستغفر الله.. انها ليست خطيئة.. انها زوجة.. انها عروس في انتظار زوجها.

من قال إن الأوراق تجعل الخطيئة حلالاً. من قال إن تلك الورقة التي وقّع عليها سليم اسمه ستجعله يشعر بأن ما سيفعله حلال.. الزواج في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن أوراقاً.. الزواج كان قبولاً وإشهاراً.. لكنه قبل، وها هو النجع يحتفل.. هذا هو الإشهار ولكن أمينة رفيقة الدرب لا تعلم.

أمينة أم البنات لا تعلم.. بل هو يموت لو علمت ألا يعني هذا أنه أخل بأحد أركان الزواج.. ألا يكفي هذا لأن يكون سليم في طريقه إلى الحرام؟

لا يعلم.. القاضي لا يعلم.. الحَكَم لا يعلم.. لكنه يجب أن يمضي ويكمل.. من أجل يامنة سيكمل..

وصاحت يامنة وهي ترى سليم يدخل الدار وبدا في عينيها أكثر جمالاً وبهاء من كل أيام حياته وصاحت يامنة تستدعي لبنى لتحضر وإلى جوارها أمها التي قالت في صوت هادئ حزين:

مبارك يا سليم.. خد بالك من لبنى.. انت عارف أنا ماليش غيرها هي وأخوها. وأدينا كلنا دلوقت ما بقاش لينا غيرك.. راعي ربنا فيها يا سليم.. حكم عقلك قبل قلبك..

ورفع سليم عينيه ينظر إليها.. في وجهها حزن.. في عينيها رجاء.. أم لبنى ليست سعيدة.. أم لبنى تعلم أن سليم أيضاً ليس سعيداً.. مسكينة لبنى.. هل تراها هي الأخرى تعلم وتشعر ما تشعر به أمها.. وحنى سليم رأسه ليقول في هدوء:

في عينيا يا أم لبنى.

واقتربت السيدة في هدوء لتضع كفها على ذراع سليم وسط دهشة يامنة لتقول:

مش عينيك يا ولدي.. حط لبنى في ضميرك في عدل القاضي ورحمته.. أنا خلاص أيام وحاسيب النجع وأرجع بلدي.. أنا عشت العمر دا كله هنا عشان لبنى.. أخوها راجل ويقدر يتصرف.. ودلوقت لبنى بقت في عصمة راجل.. مش طالبة غير ضميرك وعدلك يا سليم.. أوعدني..

وقالت يامنة:

جرى إيه عاد؟ هو سليم يتوصى ولا إيه..

لبنى من الليلة بنتي أنا كمان.. يللا يا سليم خد عروستك واطلعوا..

* * *

عندما أغلق سليم باب الغرفة التي أثثتها يامنة، استدار ينظر إلى لبنى مستنداً إلى الباب بظهره. كانت تقف في منتصف الغرفة وعيناها لا تفارقان أرضها.. كان واضحاً أنها تنتفض خجلاً لكن كان واضحاً أيضاً أنها سعيدة.. وجنتاها كانتا ترقصان في سعادة كبيرة. وأشفق سليم عليها.. المسكينة سعيدة بزواجها من سليم عبد المجيد ابن يامنة وآل عمران.. سعيدة بزواجها من أصغر قاضٍ في النجع. سعيدة وهي لا تعلم أنه يتمنى الموت له ولها.. لا تعلم أن كل قطعة في روحه وجسده تلعنه لأنه قبل الزواج بها.. مسكينة!! وتذكر سليم كلمات أم لبنى عن الضمير والعدل وخرج صوته هادئاً حائراً ليقول:

اتفضلي يا لبنى.. غيري هدومك.

إنه حائر.. إنهما سجينان في قفص صغير.. غرفة واحدة يجب أن يفعلا فيها كل شيء.. لا مفر.. لا طريق حتى لأن يبدل سليم ثيابه أو تبدل هي ثيابها في مكان آخر..

واقترب سليم وجلس على الأريكة الخشبية أمام فراش الغرفة، ورآها تنحني بثوب عرسها لتجلس تحت ركبتيه وهي

تحمل «البلغة» الموضوعة إلى جوار الفراش لتضعها وتمسك بقدمي سليم لتخلع حذاءه. نظر إليها سليم في اشفاق ثم قال:

لا.. يا لبنى..

إلا أنها قاطعته قائلة وهي تخلع حذاءه:

لا والنبي دا أنا باحلم باليوم اللي اقعد فيه تحت رجليك واخلعلك جزمتك.

ورفعها سليم عن الأرض ليقف بها قائلاً:

أنت بقيت مرتي يا لبنى.. مكانك جنبي مش تحت رجلي.

والتقت عيونهما ورأى سليم في عينيها رجاء ولهفة كأنها ترجوه أن يحبها.. كأنها حقاً ترجوه أشياء كثيرة يعلمها لكنه لا يملكها..

وضمّها سليم إلى صدره.. إنها أطول كثيراً من أمينة. رأسها يقترب من عنقه.. رأس أمينة يرقد على منتصف صدره إن ضمها.. وابتسم سليم ابتسامة صغيرة ساذجة كأنه سعيد.. لا امرأة ستضع رأسها مكان رأس أمينة.. والتصقت به لبنى في قوة كأنها تحتمي به وشعر بها تبكي ثم سمعها تقول:

نفسي اسعدك.. نفسي أعملك كل اللي نفسك فيه.. ورحمة أبويا لو تقولي موتي روحك ما تغلاش الروح عليك ابداً..

* * *

عندما عاد سليم إلى الغرفة بعد أن تركها متذرّعاً بذهابه إلى الحمام، وجدها ترتدي قميصاً من الدانتيل الأحمر. رأى شعرها الطويل الذي يغطي ظهرها بأكمله يرقص حول جسدها.. لم يشعر البتة برغبة تجتاحه.. لم يشعر بجسده يدعوه إليها. لكنه كان يعلم أنه يجب أن يأخذها.. من أجل أشياء كثيرة.. من أجل عادات وتقاليد.. من أجل أنوثتها وكبريائها.. من أجل العدل والرحمة.. من أجل طريق رضي أن يمشيه. أخذها على حذر.. أخذها وهو يرقب وجهها الرقيق وعينيها المغمضتين.. أخذها وهو يعي تماماً ما يفعل.. لم يغب لحظة.. كان واعياً كأنه يكتب مذكرة أو يخط حيثيات حكم ما.. وكانت لبنى مستسلمة.. كانت حريصة على ألا تشعره بأي ألم شعرت به.. بأي خوف دق قلبها.. كانت تريد فقط أن تخبره أنها ملكه.. يصنع بها ما شاء ويفعل ما شاء.. يكفيها أنه إلى جوارها.. يكفيها أنها تتنفس ذاك الهواء الذي يخرج من شفتيه وصدره.

وفي هدوء أخذها سليم على صدره.. كان حريصاً على أن يضع رأسها على كتفه بعيداً عن قلبه حيث تضع أمينة رأسها دوماً.. وأخذ يمشط شعرها وهي غارقة في ذهولها وفرحتها وبقايا ألمها.

لم تكن لبنى تعرف هل تتحرك.. هل تذهب لتغتسل وتبدل ثيابها أم يجب أن تبقى.. لكنها كانت سعيدة بأصابعه التي تربت على رأسها في حنان.. كأنه يعتذر.. كأنه يهدهد إحدى ابنتيه.. وغفت لبنى على صدر سليم دون وعي منها ليعود بها إلى وسادتها حيث عاد ينظر إلى وجهها ودمعاته تسقط على وجنتيه.

إنه حزين.. لم يحزن يوماً كما هو اليوم.. خان أمينة. خان عهداً قطعه لها.. ويخون لبنى وهو يذكر أمينة ويستعيد تفاصيل جسدها قطعة قطعة ويقارنها بها.

المقارنة ليست في مصلحة لبنى.. ليس لأنها أقل جمالاً أو حناناً من أمينة ولكن لأن أمينة وحدها تسكن قلبه..

واستدارت لبنى وهي مغمضة العينين ليحكم سليم حولها الغطاء. وبعد دقائق ظن أنه تأكد من نومها.. نهض عن فراشه ليخرج هاتفه الصغير ويطلب أمينة وسمعته لبنى وهو يقول في صوت خفيض:

آسف إني صحيتك يا أمينة.. كلكم كويسين؟!

لا.. أمي كويسة يا أمينة.

وبعد لحظات صمت قصيرة سمعته لبنى يقول:

مافيش يا أمينة.. أنا بحبك.. بحبك فوق ما تتصوري..

وفتحت لبنى عينيها لترى سليم يجلس على الأريكة الخشبية نفسها ممسكاً بهاتفه. ورأته يضع وجهه بين كفّيه مستسلماً للبكاء.

* * *

ضمّت نهى الصغيرة نور إلى صدرها ونهضت بها لتأخذها صاري. وعادت نهى تجلس إلى جوار أمينة على أحد مقاعد الريسبشن وقالت وهي تنظر إلى ساعتها:

اتأخرت قوي يا أمينة. الساعة داخلة على تسعة.. لازم أروح وفي سكتي كمان عايزة أعدي على ابتسام وممدوح اسيبلهم كروت الفرح مع البوابين.

وصاحت أمينة تقول:

اقعدي احنا ماتكلمناش مع بعض من ساعة ما دخلتي وانت بتلعبي مع شهد وأما نامت مسكت نور..

وتنهدت نهى لتقول:

بحب العيال قوي يا أمينة.. قوي..

أغمضت أمينة عينيها وهي تقول:

خلاص.. كام شهر بعد الفرح وتبقى أم وأحسن أم كمان..

وحاولت نهى أن تعود إلى مرحها فقالت:

بس يا رب يطلعوا حلوين زي باباهم..

وبرنة عاتبة كبيرة قالت أمينة:

لسه برضه.. لسه يا نهى.. أوعي تكوني بتقولي لخالد الكلام دا احسن يصدق أنه أحلى منك..

وبعد لحظات صمت قالت نهى:

عمري ما قلت كدا غير ليك.. تصدقي لو قلتله مرة اني خايفة من.. من أنه يعني احلى مني واني..

وبصعوبة واضحة خرج صوتها ضعيفاً متردداً:

اني يعني مش في حلاوة أي واحدة كان ممكن يتجوزها وتطير بيه من الفرح.. كان يمكن عقدتي انفكت.. تفتكري انا عندي عقدة من الموضوع دا فعلاً يا أمينة..

وباشفاق عادت أمينة تنظر اليها وقالت:

انت اللي عاملة عقدة يا نهى.. والله يا نهى انت حلوة وهو خالد شكري بعد كل السنين اللي عاشها من غير ست أو جواز اختارك انت ليه طيب.. يابنتي كم مرة حلفتلك والله أنا لو راجل كنت اتجوزتك..

ونكست نهى رأسها لحظات.. شهر ويتم زفافها إلى خالد.. كل شيء تم ترتيبه.. كل شيء.. لقد جاءت إلى أمينة اليوم لتمنحها بطاقة الدعوة.. لكنها ما زالت لا تصدق.. ما زالت خائفة.. سؤال كبير يجلدها صباح مساء..

ورفعت رأسها تنظر إلى أمينة وقالت كأنها تطلق سراح مارد كان يطبق على ضلوعها:

أمينة.. هو خالد ليه ما اتجوزش بعد مراته.. هو خالد اصلاً يسيب واحدة زي ليلى عبد القادر ازاي؟ ليه..

وببساطة قالت أمينة:

هو أنت ماتعرفيش؟ معقولة.. ليلى كانت مجنونة بخالد وهو كمان.. لكن اكتشف انها بتخونه ومع صاحب عمره يا نهى.. ماكنش فيه حد مصدق انه بعد كل اللي جراله بعد ما طلقها ممكن يفكر أو يحب ست تانية..

وفي حنان بالغ نظرت أمينة إلى نهى لتكمل قائلة:

أنت بس اللي عرفتي تعملي كدا يا نهى.. أنت بس.. دا خالي كان حزين عليه جداً.. كان دايماً يجيب سيرته ويحكي عن العذاب النفسي اللي اتعرض ليه لغاية ما قدر يجتاز الأزمة.. شفت بقى نهى سليمان حلوة قد ايه..

وعلى عكس ما أرادته أو رمت إليه أمينة بكلامها.. على عكس ما ظنت كلماتها ستفعل بنهى.. رأت أمينة دموعاً هائلة تتطاير من عينيها وكأنها تختزنها منذ طفولتها حتى سقطت في هذه اللحظة كلها.. صاحت نهى بصوت مذبوح:

اسمها.. شفتي نهى سليمان وحشة قد ايه؟! خالد كان بيدور على ست وحشة.. وحشة لدرجة انها ماتخونوش.. وحشة لدرجة ان مافيش راجل يرضى بيها أو يفكر يعاكسها.. وحشة يا أمينة عشان ليلى الحلوة خانته.. خانته.. أيوه هو اللي عنده عقدة مش أنا.. خالد شكري عنده عقدة من الحلوين.. كل السنين دي مالقاش ست في وحاشتي ولا حيلاقي ولا حيلاقي..

كانت نهى تصيح في جنون مزق قلب أمينة عليها.. أمينة وقفت أمامها في ذهول لا تعلم هل أخطأت بما اخبرتها به. ولكنَّ أناساً كثراً يعرفون قصة ليلى عبد القادر وزواجها الأول.

أمينة أرادت أن تخبر نهى أن جمال ليلى وحب خالد الكبير لها لم يمنعاها من خيانته.. أمينة أرادت أن تعلم نهى أن جمال الملامح ليس هو ما يبحث عنه رجل له عقل خالد شكري واتزانه.. أمينة أرادت أن تمنحها ثقة في اختيار خالد لها وفي نفسها.. لكنها ما علمت أنها زرعت في قلبها خنجراً.. كانت نهى ما زالت تصيح في جنون قائلة:

والله العظيم حاسيبه.. الوحشة مش حترضي تتجوزه.. أنا كنت عارفة.. كنت عارفة أن فيه حكاية.. في سبب.. ما هو مش أعمى.. مش أعمى.. لو كان أعمى ما كانش اتجوز ليلى..

واقتربت أمينة من نهى وأمسكت بذراعها وهي تراها تندفع للخروج وقالت:

نهى.. بلاش جنان.. إيه اللي بتقوليه دا.. خالد بيحبك.. خالد لما زار خالي بعد خطوبتكم خالي سأله.. حلف انه بيحبك وسعيد بيك.. نهى..

وصاحت نهى من جديد وهي تنفض ذراعيها من بين أصابع أمينة قائلة:

وكمان خالك سأله؟! عارفة سأله ليه؟ لأن حتى خالك مش مصدق.. مش قادر يتخيل أن واحد زي خالد شكري يتجوز واحدة عانس وحشة عندها حاجة وتلاتين سنة.

وعلا صوت أمينة:

لأ.. سأله عشان كان خايف عليك.. خايف من اللي جراله أحسن يبقى راجل شكاك أو يفقد ثقته في الستات..

وبعدين يعني ايه عندك حاجة وتلاتين خالد فوق الاربعين.. خالد مطلق وعنده ولد.. ايه فيه ايه يا نهى..

ما كانت نهى تسمعها.. كان كل ما يدور في رأسها هو فكرة واحدة.. لقد وجدت السبب الذي كانت تبحث عنه.. نهى علمت لماذا سعى إليها خالد ولماذا احبها وطلب الزواج بها. لكن نهى لن تلعب هذا الدور أبداً..

يوماً ستثبت له أنها هي الأخرى ستجد رجلاً سواه يريدها..

يوماً سيعلم أن نهى لا تقل في شيء عن ليلى عبد القادر..

كان جنونها مجنوناً وصوت بكائها عالياً ونفضت ذراعي أمينة من عليها وركضت نحو الباب وهي تقول:

ماتحاوليش يا أمينة.. ما تحاوليش ولا هو خالد وعقدته أهم عندك من صاحبتك وكرامتها..

ووقفت أمينة ترقبها في صمت وهي تخرج وتصفق خلفها الباب.

إن ثورة نهى ليست وليدة اللحظة أو بسبب ما أخبرتها به أمينة.. إن سبب ثورتها مخاوف في قلبها. مخاوف عمرها أعوام ربما كان من الأفضل أن يحدث ما حدث.. من الأفضل أن تنفجر نهى الآن ولكن ماذا لو جرحت خالد؟ ماذا لو حطمت فرصتها وفرصته في حياة جديدة؟

وألقت أمينة بنفسها على مقعدها الذي كانت تجلس عليه وهزت رأسها في ألم.

فرصتها؟ إذن أمينة أيضاً ترى زواج خالد بنهى فرصة قد لا تتكرر.

إذن نهى على حق.

ووضعت أمينة وجهها بين كفيها وأخذت تستغفر الله في حيرة..

ما الخطأ في أن تقول إنها فرصة.. أدهم خالها أخبرها يوم تقدم سليم لخطبتها منه أنها فرصة.. قال لها إن سليم عبد المجيد فرصة العمر.. أمينة جميلة لكنها لم تغضب عندما قال خالها تلك العبارة. فلماذا تلوم نفسها الآن عندما قالتها عن نهى؟! وأمسكت أمينة بهاتفها.. هل تطلب نهى؟ هل تخبر خالد؟ وهل تكون هي السبب في نهاية قصة جميلة مثل قصتهما معاً؟

ونظرت أمينة إلى الساعة.. إنها العاشرة مساء.. يجب أن تفعل شيئاً تساعد به نهى وخالد.

* * *

كانت لبنى تتحسس صدر سليم بأصابعها السمراء.. إنها الليلة الثانية من عمرها.. نعم.. عمرها بدأ أمس فقط.. بالأمس عندما أخذها سليم عبد المجيد بين ذراعيه.. ولكن سليم ليس سعيداً.. ستبقى صورته وهو يحادث أمينة باكياً في قلبها العمر بأكمله.. كان يبكي كأنها ذنب يستغفر منه الله.. كان يبكي كأن أمينة زوجته إله رمى سليم بنفسه إليه بعد خطيئة كبرى.. سليم لا يضع حتى ذراعه على ظهرها الآن.. إنه يتركها تتحسس صدره دون أن تشعر أنه يشعر بها.. وسقطت من عينيها دمعة صغيرة.

كانت تعلم أنه عاشق.. كانت تعلم أنه تزوجها إرضاء لأمه.. كانت تعلم ولكنها ما كانت تعلم أنها ستتألم كثيراً.. ما كانت تعلم أنها هي التي تتحسس صدره بأصابعها ليبقى هو محدّقاً في سقف الغرفة كأنه يحلم بأمينة البعيدة.. لكنها لن تيأس. قد يشعر بها.. قد يحبها.. لبنى لن تيأس أبداً..

وفي خجل رفعت لبنى رأسها ونظرت إلى وجه سليم ثم قالت في صوت خفيض:

ممكن ييجي يوم وتحبني بجد؟!

وانتفض جسد سليم انتفاضة صغيرة لينظر إليها في إشفاق كبير وأعادها إلى صدره في حنان. وبعد لحظات من الصمت قال وهو يسمعها تبكي:

لبنى.. مين قال إني مش بحبك.. الحكاية بس إني تايه.. في ست تانية كانت حتموت عشاني.. في ست تانية في اللحظة دي نايمة في سريرها بتستنى رجوعي.. ست بتراعي بناتي وبيتي.. ست أنا كمان بحبها.. شوفي هي فين وأنا فين؟! أنا حاسس إني خاين.. إني باظلمها وباظلمك انت كمان يا لبنى.. يومين تلاتة وحارجع واسيبك شهر.. مش من حقك انك تكلميني.. مش من حقك لما تعوزيني تطلبيني.. مش من حقك تاخدي حاجات هي في شرع ربنا حقك.. لبنى.. أنا حاسس إني مش بس خاين لا.. ظالم.. أنا؟! أنا يا لبنى اللي المفروض شغلتي هي العدل يبقى الظلم هو كل اللي باعمله وفي مين.. في أقرب الناس.. فاهمة يا لبنى؟!

وضمت لبنى رأسها إلى صدره ثم قالت:

سلامتك من الظلم يا سليم.. إن كان على أمينة ما فتكرش إن الكام يوم اللي حتقضيهم هنا مع أمك ومعايا حيبقى فيهم ظلم ليها.. وأن كان على ظلمك ليا أنا ما تخافش.. أنا مبسوطة بالدقيقة اللي اقعدها معاك وتكفيني سنين مش بس شهر واحد.. أنا خايفة بس من شعورك بظلمك لنفسك بالجوازة.. خايفة يكرّهك فيا يا سليم!

واعتدل سليم في فراشه ليسمعها تكمل:

أنا الدنيا نصفتني بيك يا سليم..

ورأته ينتفض في جنون ليسرع نحو هاتفه بعد رنينه وسمعته يصرخ قائلاً:

مالك يا أمينة؟ مالك يا حبيبتي..

وعاد سليم يسمعها تقول:

حصلت حاجة يا سليم.. نهى كانت هنا بتعزمني على الفرح وبعدين.. الظاهر اني غلطت.. انا حكيت عن حكاية ليلى القديمة.. نهى اتجننت.. صرخت وعيطت أنا غلطانة؟!

سليم أنا محتاجالك.. محتاجالك قوي..

وبلا تفكير.. وبدون حتى أن يتذكر أو يرى عينَي لبنى المفتوحتين قال سليم:

أنا جي حالاً.. حالاً يا أمينة.

لم يقل سليم كلمة.. لم ينطق حرفاً.. وقف يبدل ثيابه كأنه لا يراها.. كأنه لا يعرفها أو كأنها حقاً ليست معه في غرفة واحدة.

وفي اللحظة التي همّ فيها بالخروج لحقته لبنى وهي تبكي. وعندما أمسكت بذراعه نظر إليها في ذهول كأنه حقاً رآها للمرة الأولى وقال في اعتذار كبير:

لبنى.. لازم أروح.. أمينة محتاجة وجودي جنبها.. صاحبتها.. خطيبها.. عارفة.. مش عارف..

وكأنه شعر بغباء ما يقول.. لبنى لن تفهم رحيله في الليلة الثانية لزواجها لأن صديقة أمينة تبكي..

ولكن سليم لا يذهب من أجل نهى أو قصتها.. سليم

يذهب لأن أمينة تحتاجه وتحتاج وجوده... من حق أمينة أن تجده في لحظات حزنها وخوفها.. سليم لن يشرح من هي نهى أو ليلى أو ماذا تكون القصة.. سليم يريد أن يطير إلى أمينة.. يريدها أن تعلم وتشعر أنها وجدته حين أرادته.. لبنى لن تفهم أبداً وسليم لا يعنيه كثيراً أن تفهم.. ستفهم في وقت آخر..

ورآها تركض إلى غرفة يامنة ولم يهتم.. ركض هو أيضاً على سلالم البيت وقبل خروجه هدر صوت يامنة يناديه وتسمرت قدماه، فاستدار وهو يراها تقف على رأس السلالم ولبنى خلفها تبكي في جنون..

أرخى سليم رأسه وصعد إليها ليقول في صوت مكتوم حزين:

أمي.. لازم أرجع.. أمينة محتاجالي.. صاحبتها في أزمة وانهيار كامل.

وفي تهكم شديد أجابته يامنة:

صاحبتها؟ انهيار؟ تسيب عروستك يوم صباحيتها عشان صاحبتها يا سليم؟ هو أنت حتروح تطبطب على صاحبتها إياك؟!

ونظرت يامنة إلى لبنى وعادت تكمل:

والواقفة قدامك دي مش منهارة عاد؟

ونظر سليم إلى لبنى ليقول وهو يصيح:

مرتي محتجالي يا أمي.. خايفة ومحتارة ولوحدها.. ولازم تلاقيني جنبها.. العروسة مش حيجرالها حاجة.. حارجعلها تاني.. والله العظيم حارجع..

وركض سليم من جديد ليصفق الباب خلفه واستدارت يامنة تنظر إلى لبنى في حزن. وقبل أن تنطق كلمة قالت لبنى وهي تبكي:

حيكرهني.. حيكرهني.. وشي عليه نحس.. مش كدا؟ وكمان حيكرهني أكتر عشان قلتلك..

أنا مش حاعرف أخليه يحبني أبداً.. أبداً!

* * *

كانت نهى تقود سيارتها وهي لا تكاد ترى طريقها. صور كثيرة ترقص مع دمعاتها في جنون.. صور كثيرة تظهر وتغيب وهي تبتسم في مرارة رغم بكائها.. عينا خالد الحنونتان.. شفتاه المستديرتان وهما تحتضنان شفتيها.. الدبلة الذهبية التي تلتف حول إحدى أصابعها.. يدها اليسرى التي لن تلمسها الدبلة أو تنتقل اليها.. ستخلعها نهى.. ستقذفها إلى قلب النيل.. ستعود عانساً كما كانت.. نهى كانت تعلم لكنها استسلمت للوهم..

حمقاء.. لكن لها كرامة.. دميمة لكنها ذكية..

أدركت الحقيقة..

وعادت تغمض عينيها في ألم.. لن ترتدي ثوب الزفاف الذي أعدته.. لن يقال لها يوماً السيدة نهى.. ستبقى دوماً الآنسة نهى..

كل فتاة عندما تتجاوز الثلاثين تخطئ الألسن أحياناً وتناديها «مدام».. بعض الفتيات يغضبن وبعضهن يضحكن ويقلن «يا ريت».. إلا نهى.. إلا نهى.. لم يناديها رجل يوماً أو امرأة «مدام».. هي دوماً الآنسة..

لا أحد يصدق أن هذه الفتاة قد تصبح سيّدة.

وأوقفت سيارتها لتهبط منها وهي تحاول أن ترفع رأسها.. يجب أن تصعد إلى أمها برأس مرفوع.. خالد شكري لن يقطع رأسها بعقدته..

نهى ستعلن أنها لن تتزوّج وأنها ترفض هذا الرجل الذي جاء ينقذها من الوحدة والعنوسة.. وبقدر ما أُوتيت من قوة ابتلعت ما بقي من دمع في عينيها وهي تدخل بيتها.. كانت تظن أنها ستغادر هذا البيت.. كانت تظن أنها قريباً ستأتي إليه زائرة وهي تتأبط ذراع خالد أو تحمل على كتفيها طفلاً منه..

نهى كانت تحلم حتى بتلك اللحظات التي تأتي فيها غاضبة منه وتقرع باب أبيها في غضب لتبقى أياماً ويأتي خالد شكري اليها حاملاً هدية أو باقة زهر ويعود بها إلى بيته مرة أخرى.. تماماً كما يحدث مع نادية أختها..

لكن نهى ليست نادية..

المرأة الجميلة أقدارها تختلف.. حياتها تختلف.

المرأة الجميلة لا تبقى العمر كلّه آنسة..

ورفعت رأسها من جديد ودخلت وهي تنظر حولها..

كان سليمان يجلس كعادته قبالة التليفزيون وأمامه صحن من الساندوتشات ورأت أمها تخرج من المطبخ حاملةً إليه كوباً من الشاي. وحين رأت نهى قالت:

اتعشيت يا نهى ولا تيجي تاكلي معانا؟!

وراحت تنظر إليهما في اشفاق كبير وبقلب الأم التي ترى ما خلف العيون والقلوب قالت اعتدال:

مالك يا نهى؟! فيه حاجة.. أمينة كويسة؟!

وفي هدوء كأنها تعبت من كل الصور والأصوات التي دقت رأسها طوال الطريق، قالت نهى:

كويسة يا ماما..

وعادت اعتدال تقول كأنها تود أن تتسلل إلى رأسها وصدرها لتعلم حقيقة ما تشعر به..

عزمت خالها يا نهى.. أوعي تكوني ماعدتيش عليه واديتيله الكرت بنفسك؟!

ونظرت اليها نهى لتقول وهي تكتم فوهة بركانها الذي ما زال مشتعلاً:

لا ماعزمتوش.. مش حيبقى فيه فرح يا أمي!

وقبل أن تسأل اعتدال، وقبل أن يسأل سليمان مضت نهى تقول:

الفرح اتلغى.. الجوازة كلها مش حتتم.. الناس اللي اتعزموا بلغيهم واللي لسه يبقى خلاص..

وأعاد محمود قطعة الساندوتش التي يمسك بها إلى الصحن بعد أن أغلق جهاز التليفزيون ونهض عن مكانه ليتجه نحوها ويمسك بها قبل أن تصل غرفتها. ونظرت إليه نهى في ألم كبير..

في عينيها رأى تصميماً.. في عينيها رأى نهاية لقصة كان يحلم بها منذ أعوام وجاء صوت اعتدال وهي تبكي:

أنت اتجننتي؟ إيه اللي حصل؟ أحكي..

وقال محمود ودمعة ترقص في عينيه..

حرام عليك يا بنتي.. احكي.. فيه إيه؟!

وبكل ما بقي فيها من قوة.. بكل ما حاولت اختراعه وسكبه على صوتها من هدوء، قالت:

مافيش حاجة احكيها.. أنا مش حاتجوز خالد شكري.. الموضوع انتهى..

وصاحت اعتدال في جنون أكبر:

يعني إيه انتهى؟ بعد إيه؟ دا كل حاجة خلاص.. دي كلها أيام ونستلم آخر حاجة في العفش الجديد. دي أوضة النوم راحت واتفرشت.. دا الراجل دهن الشقة وغير ديكوراتها.. حتى الفستان يا نهى متعلق جوا في دولابك.. فستاني انا.. فستان أختك كل حاجة.. كل حاجة.. يبقي ايه.. ايه؟!

ولم تستطع أن تكون أكثر هدوءاً.. لم تستطع أن تكون أكثر برودةً.. البراكين لا تصمت طويلاً..

وانفجر بركانها هادراً لتصيح:

طز في كل حاجة.. طز في العفش والفستان.. طز في المعازيم وفي نادية.. الفستان اللي جوا حاحرقه والفساتين اللي عملتوها حتلبسوها في فرح ولا حفلة ولا عزومة والعفش يولع.. ماهو لو كان عفش حد تاني ماكنتيش بكيتي.. ماكنتيش شلتي همه.. لكن عشان فستاني أنا وعفشي أنا فأنتي عارفة انه خلاص مالوش استخدام تاني مهما خزّناه أو حافظنا علينا.. أنا مش حاتجوز خالد.. مش حاتجوزه.. خلاص الحكاية خلصت.. خلصت..

وركضت نهى إلى غرفتها وصفقت خلفها الباب. وبعد لحظات من الصمت والألم أمسك محمود سليمان عزمي بهاتفه وأدار رقم خالد شكري وقال:

أزيك يا خالد يا ابني.. هو فيه إيه يا حبيبي.. هي بنات الناس لعبة ومصيرها لعبة ولا إيه؟

* * *

أغلقت نهى خلفها باب غرفتها بالمفتاح وأطلقت بركان نحيبها من جديد.. يؤلمها أن تعلم أن اعتدال تبكي في الخارج.. يؤلمها أن تعلم أنها كانت سبب بكائها ولكن اعتدال أيضاً سبب ما وصلت إليه..

وتقدمت نهى إلى دولاب ملابسها وفتحته لتخرج منه ثوب زفافها الموضوع في حاملته الجلدية الأنيقة.. وشعرت أنه ثقيل. هذه اللآلئ والخيوط والفصوص الماسية الصغيرة الكثيرة جعلت وزنه أثقل من أي ثوب.. يوم تسلّمته وأحضرته إلى بيتها كانت تحمله وهي تعلم أنه ثقيل وكانت تفكر طوال الطريق في شيء واحد. هل تشعر بثقله هذا وهي ترتديه؟ لن ترتديه ولن تبقى ساعات تتجول به في القاعة التي حجزتها هي وخالد في فندق موفنبيك الهرم.. لن ترقص به ولن تصورها العدسات ولن يكون لديها صور كثيرة وهي عروس.. صور كانت تحلم بأخذها إلى البنك بعد عودتها من إجازة شهر العسل.. صور تتناقلها الأيدي بحثاً عن وجوههم إلى جوارها.. نهى لن تسمع كلمة مبروك ولن تقال لها هذه الكلمة أبداً..

وألقت بالثوب الثقيل على فراشها ونظرت إلى إصبعها،

حتى هذه الدبلة الذهبية سيتحرر منها إصبعها. لكن نهى ستعود سجينة.. سجينة لألف سؤال ستسمعه.. ما الذي حدث؟ لماذا تركها خالد قبل الزفاف وبعد أن تحدد موعده.. استعاد الأعمى بصيرته!!

استدارت ونظرت إلى مرآة دولابها في ذهول.. ورغم الدموع التي أطاحت ماكياجها وكحل عينيها الأسود، أخذت نهى تحملق وهي مذهولة.

إنها ليست بالدمامة التي تتخيلها.. هي ليست في جمال ليلى عبد القادر ولا في جمال أمينة عزت لكنها ليست في دمامة صورتها في رأسها.

اعتدال هي التي خلقت هذا في رأسها.. منذ طفولتها وهي تصيح في كل مرة تحاول أن تخرج فيها نهى إلى المدرسة بشعرها حول رأسها صائحة أن شعرها أكرد..

اعتدال تصيح وهي تشرح لها أن نادية بامكانها أن تفعل لأن شعرها ناعم.. ولكن نهى شعرها أكرد.. الشعر الأكرد لا يطلق سراحه أبداً.. الشعر الأكرد يسجن في شرائط وضفائر.. حتى عندما كبرت نهى أصبحت اعتدال تصيح أن رأتها تعبث بقلم أحمر الشفاه.. اعتدال كانت دوماً تصيح أن شفتَي نهى بحاجة إلى لون داكن.. شفتا نادية فقط يمكن صبغهما بالألوان الوردية الفاتحة لكن شفتَي نهى يجب أن تسجنا في إطار داكن حتى تظهرا أكبر حجماً.

اعتدال كانت ترفض أن تشتري لها أثواباً ضيقة لأن الألوان الفاتحة ستظهرها أكثر استدارة وأنوثة.

كانت اعتدال تقول إن نادية وحدها قد تتزوج طبيباً أو مهندساً.. نهى لم تسمعها يوماً تحدد وظيفة من سيخطبها أو يتزوجها..

اعتدال جعلتها ترى نفسها مارداً يخيف الرجال ويهربوا منه لهذا أصبحت نهى وحدها تهرب منهم قبل أن يجرحوها أو يسمعوها..

نهى وحدها ترى نفسها دميمة لكنها ليست كما صوّرتها أمها بداخلها طوال هذه الأعوام..

ونكست رأسها.. إن كانت حقاً ترى نفسها وللمرة الأولى ليست بالدمامة التي تعرفها عن نفسها، فلمَ تذبح نفسها وتلغي زواجها من خالد شكري؟ ورمت بجسدها على فراشها وهي ما زالت تنظر في مرآة دولابها..

آه لو تعلم.. آه لو تعلم نهى هل هي جميلة أم دميمة.

هل ترى نفسها كما تراها اعتدال أم كما تراها أمينة أم كما ترى نفسها الآن في مرآتها؟

نهى سليمان ليست مشكلتها جمالها أو قبحها.. نهى سليمان مشكلتها أنها لم تعرف حقيقة من تراها في مرآة دولابها.. وانتفض جسدها وهي تسمع رنة هاتفها.. إنه خالد..

وضعت الهاتف الصغير في كفها وهي ترقب اسمه وصورته.. هل يختفي هذا الاسم وتختفي هذه الصورة من الظهور على شاشة هاتفها ما بقي من العمر؟

خالد لم يجرحها يوماً.. أحبته.. خالد عانقها وقبّلها.. خالد ما صاح ذعراً يوم رأى شعرها دون تصفيف.. خالد يعانق

ذراعيها ويأخذها إلى أخته ويعرّفها إلى أصدقائه ويقدمها لهم في فرح واعتزاز. . لا يراها كما تراها اعتدال. . ربما كان يراها كما تراها أمينة. .

آه لو تعلم كيف يراها. . بل آه لو تعلم كيف ترى نهى نفسها حقاً. .

وسكت الهاتف بين أصابعها. . وقبل أن تلقي به إلى فراشها رنّ مجدداً. . لم يؤلمها خالد يوماً. . حتى إن كان خالد شكري يداوي بها جرحاً وعقدة تركتهما فيه ليلى بخيانتها. .

نهى لن تعذبه. . نهى لن تؤلمه. . نهى تعلم كيف يكون الألم وماذا تفعل الأزمات والعقد. . ستخبره أن دواءه ليس عندها. . على أرض مصر ألف امرأة سواها. . ليست نهى أقل نساء مصر جمالاً. . نهى ليست دواء. . نهى مثله تبحث عن الدواء!

وفتحت الهاتف وقبل أن تفتح شفتيها سمعته يقول في لهفة:

نهى. . أنا تحت بيتكم. . يا تنزلي يا أطلع. . لازم أفهم فيه إيه. . إيه اللي حصل؟

* * *

كانت تمسح عن وجهها آثار الدمع الأسود، وفي اللحظة التي استدارت لتخرج من غرفتها وتهبط إليه لتلقاه، سمعت جرس باب البيت وتسمّرت قدماها في منتصف غرفتها. . جاء خالد إذن. . لم يحتمل أكثر من خمس دقائق. . يجب أن تفكر. . ماذا تقول له. . ماذا تخبره؟! لا بد أن اعتدال ومحمود يسألانه ألف سؤال. . لا يعلمان أنه مثلهما لا يعلم شيئاً.

وحدها نهى علمت عقدة خالد. . وحدها نهى يجب أن تحدد وفي أقل من لحظة هل تخبره الحقيقة أم تخبره أنها لا تريده لأنها لا ترى أنه يستحقها؟! ولاحت ابتسامة مريرة على وجهها. . لن تؤلم خالد شكري أبداً. . حتى إن كان ما منحها إياه زيفاً فقد كان أيضاً هناء وسعادة.

وسمعت طرقات على باب غرفتها. . لا بد أنها اعتدال. جاءت تعلمها بقدومه. وفي هدوء تقدمت نهى نحو باب غرفتها لتفتحه.

لم تكن اعتدال. . كان هو. . كان خالد شكري.

تركوه يذهب إلى غرفتها. . تركوه وهو ليس زوجها بعد. .

اعتدال تفعل كل شيء حتى ترتدي ثوبها الجديد.. اعتدال تفعل كل شيء حتى يتم زواج نهى.. ولكن كيف تلوم نهى اعتدال؟ هي تعلم أن اعتدال رغم كل شيء تحبها وتتألم من أجلها وتتمنى أن تسعد وتتزوّج.

نظرت إلى وجهه الهادئ الوسيم.. كانت عيناه مفتوحتين في ذهول.. كان واضحاً أنه يتألم.. كان واضحاً أنه حقاً مثلها ومثل سليمان واعتدال. جميعهم يتألمون..

وأرخت نهى عينيها.. لا تحتمل أن تراهم يتألمون.. إنها تحبه وتحبهم ولكن الحب وحده لا يكفي..

هناك أشياء أخرى قد تصبح أهم من الحب والأحلام!!

وبلا استئذان وبلا تفكير دخل خالد إلى غرفتها وقال في هدوء:

لما قررنا نتجوز كان قرار مشترك.. لما اخترنا العفش الجديد والدهانات وحتى اسم الاوتيل والنمر اللي حتغني برضة كان قرار مشترك.. ازاي يا نهى تلغي كل دا لوحدك وفي اللحظة اللي أنا قاعد بحلم فيها بيك تكوني انت بتشطبي اسمي من حياتك.. لوحدك.. ازاي؟!

واستندت نهى إلى الحائط المجاور لباب غرفتها المفتوح وقالت وهي تحاول أن تكون في هدوء خالد:

قرار انفصالنا مش قرار فردي.. قرار مشترك.. انت كتبت القرار. أنا بس اللي قريته بصوت عالي..

لم يكن يفهمها.. لكنه كان يشعر بألمها.. آثار دموعها السوداء كانت واضحة حول عينيها. وقال وهو ما زال هادئاً:

فهميني.. ولا تحبي أطلع برا ونخرج نقعد في حتة ونتكلم أنا استأذنت عمي.. تغيري وننزل يا نهى..

وقبل أن يكمل، قاطعته نهى قائلة في سخرية كبيرة:

عمك سابك تدخل أوضة نوم بنته وممكن يسيبك تنزل بيها في نص الليل.. كل دا وهو عارف انها مش عايزاك.. كل دا عشان الجوازة..

وقاطعها خالد في حسم:

كل دا عشان عارف أنا مين وانت مين.. كل دا عشان رباك كويس وعنده ثقة في اختيارك وثقة في نظرته.. كل دا عشان حرام ننهي حكاية جميلة في لحظة غضب ماحدش فاهمها.. كل دا عشان قدر نزولي من بيتي ووقوفي تحت بيته.. كل دا عشان عارف أنك بتحبيني واني بحبك.. ولا أحنا فاهمين غلط يا نهى؟!

رغم دهشتها من هدوئه فهي تحبه.. تحب كل هذا الصبر والحلم.. لكنها لا تستطيع أن تكون مثله. وقالت في حدة:

أنا اللي ماكنتش فاهمة.. اسمع يا خالد..

واقترب منها خالد ليمسك يديها قائلاً:

اسمعي انتِ.. أنا كلمت أمينة بعدما عرفت أنك كنت عندها قبل ما تصدري قرارك..

أيوه ليلى خانتني.. خانتني مع أعز اصحابي وأهو النهاردة بيخونوها.. أيوه كرهتها وكرهت كل الستات، كل الستات يا نهى.. سنين وأنا باقول الست عايزة ايه. حب.. كنت بحبها والأهم هي كمان كانت بتحبني.. اهتمام؟! كنت باهتم بيها زي

ما بيهتموا بالزهور النادرة وهي كمان.. فلوس.. ليلى ما كانتش فقيرة ولا أنا فقير ولا بخيل.. شوفي مافيش سبب مادورتش وراه.. لكن يوم ما واجهتها وعرفت خيانتها قالتلي حاجة أنا يمكن في السنين الأولى ماقدرتش اقبلها ولا استوعبها لكن يوم ما شفتك في فرح أمينة وقعدنا شهور نتكلم ونتقابل بعدها فهمتها..

وابتلعت نهى انفاسها ويداها ما زالتا تحت كفه وسمعته يقول:

ليلى يوم ما اكتشفت خيانتها قالتلي.. فيه حاجات أكبر مننا.. حاجات مانقدرش نشرحها أو نبررها أو حتى نمنطقها.. شخص يسيطر على تفكيرك.. يملا روحك.. يسرق عقلك شخص ممكن مايكونش عنده أي شيء مختلف وممكن ماتكونيش انت محتاجة أي شيء منه.. لكن في لحظة بترمي كل شيء في ايدك وتبقي عايزاه.. ليلى يومها قالت انها في لحظة لقيت حتة الصوف اللي خلتها ترمي الحرير اللي كانت عايشة فيه.. أنا يوميها قلتلها الصوف حيشوكها.. حيخنقها.. لكن أهو جوزها بيخونها وهي عارفة وسعيدة.. يوم ما شفتك عرفت أنك ممكن ماتكونيش اجمل ست لكن تغنيني عن كل ست.. يكفي اني معاك حسيت وسامحت ورضيت إيه يا نهى فيه ايه تاني؟!

وحرّرت كفيها من تحت يده وقالت:

فيه اني حتة صوف.. فيه اني مش حرير.. حبيبجي يوم واشوكك وتكرهني..

وفي حزن قال خالد:

نهى.. احنا بنختار اللي يسعدنا واللي يريحنا من غير ما

نخون مبادئنا ولا نفسنا.. اللي بيحصل بعد كدا دا غيب.. دا قدر.. انا بحبك.. انا عايزك شوفي انت عايزة ايه واعمليه.. بس تبلغيني انا.. تقوليلي انا.. عشان دي حكايتنا احنا الاتنين انت وأنا..

وفي تصميم وألم كبيرين انتزعت نهى من إصبعها قيد الذهب الصغير وشعرت أنها تقتلع روحها وهي تمدّ يدها إليه قائلة:

هو دا قراري يا خالد.. هو دا..

ونكس خالد رأسه واستدار ليغادر غرفتها وهو يقول:

مش باقولك.. مافيش حد على الارض ممكن يعرف الست عايزة ايه؟! قعدنا شهور شهور نتكلم.. شهور عشان ترضي تخرجي تقابليني.. وشهور تانية عشان نتخطب وشهور عشان نحدد عفش ونمر وفرح.. مع إن كل الحاجات مابتاخدش وقت في حدوثها يا نهى ولا بتدوم.. الفرح ساعات والعفش بنستعمله شوية ونغيره.. سنتين تقريباً من ساعة فرح أمينة.. سنتين عشان نعمل حاجات مؤقتة.. لكن في ساعة واحدة لغيت الشيء اللي كان حيدوم العمر كله..

وعلى باب غرفتها وهي تنظر إليه في ألم، وما زال قيدها الذهبي الصغير معلقاً بين أصابعها، رأت دمعة تسقط من عينيه وهو يقول:

بعد سنين عرفت يا نهى تأكدت إن فعلاً كل الستات زي بعض.. ربنا يسعدك!

ومضى خالد خارج غرفتها وسمعت نهى اعتدال تستبقيه

وشعرت بقلبها يكاد يسقط على الأرض ليتبعه ويسمع أي حوار يدور بينهما وأغلقت باب غرفتها.

لماذا تريد أن تسمع؟! لماذا تريد أن تعلم هل سيبقى أم يرحل؟ لماذا تتمنى أن يعود إلى غرفتها من جديد؟! لماذا تريد أن تصرخ وتخبره أنها ليست مثل ليلى عبد القادر؟! لو كانت نهى مثل ليلى لما انتظرت شهوراً قبل أن تدعوه إلى بيتهم.. لو كانت نهى مثل ليلى عبد القادر لما انتظرت ما يقارب العام قبل أن تمنحه شفتيها.. ولو كانت نهى حقاً مثل ليلى لكانت زوجة وأمّاً منذ أعوام ولما كان خالد التقاها أو رآها يوماً..

خالد شكري رجل. وكل الرجال حمقى لا يعلمون حقاً ما تريده النساء!!

الرجال لا يعلمون أن المرأة عندما تقول لا قد تكون هذه هي أكثر اللحظات التي تقصد فيها نعم!!

وضمت الدبلة الذهبية بين أصابعها وأغلقت كفّها عليها.

نهى ستعيد إلى خالد كل شيء.. هداياه.. خاتمه الإلماسي لكنها لن تمنحه هذه القطعة الصغيرة.. ستدّعي أنها ضاعت. ستدعي أن سألها أو سألتها أمها عنها، أنها ألقت بها في قمامة البيت.. ستحتفظ نهى بالقطعة الصغيرة التي أحيتها وخلقتها أياماً كثيرة.. نهى سليمان عندما خلعتها من إصبعها وقالت لا تريدها لم تكن تريد شيئاً على الأرض مثلما تريد الاحتفاظ بها..

وحده خالد شكري لم يكن يعلم.

كل الرجال لا يعلمون ما تريده النساء حقّاً!

* * *

جاوزت الساعة منتصف الليل حين وقف خالد أمام باب فيلا هشام سعد زوج أخته وداد. يعلم أنهم ناموا ولكنه بحاجة كبيرة لصدر وداد.. بحاجة كبيرة إلى أذنيها.. لقد حادثها عند خروجه من بيت نهى وأخبرته عندما اعتذر عن إيقاظها، أنها ستذهب هي إلى بيته إن لم يأتِ هو إليها.

ولدى بلوغه الباب، وجدها تفتحه له وهي بقميص نومها. اقتربت وداد من الخمسين لكنها ما زالت جميلة وأنيقة. لم تنتظر حتى يدخل إلى البيت.. ضمّته في حنان. ورغم حزنه ارتسمت على وجهه ابتسامة صغيرة..

لا شيء كالحنان تواجه به الأحزان والحيرة.

ودخل معها إلى بهو الفيلا الصغيرة التي تسكنها مع ولديها وزوجها ونظر حوله قائلاً:

هو هشام صحي يا وداد؟!

وسارت به نحو أقرب أريكة لتجلسه عليها وهي تقول:

لا يا حبيبي.. أنت عارف هشام لما ينام لو الصحرا دي كلها ولعت هو ما يصحاش. ما تخافش..

وألقى خالد بنفسه على الأريكة وجلست وداد إلى جواره

تربت على فخذيه في حنان. وبعد لحظات من الصمت قالت في تردد:

إيه اللي حصل؟! نهى عملت حاجة.. فيه حاجة؟!

وارتسمت على وجهه ابتسامة أخرى صغيرة لكنها كانت ابتسامة مريرة.. وداد تسأل ما الذي صنعته نهى.. هل تفترض وداد أن نهى أيضاً فعلت ما فعلته ليلى منذ أعوام؟ ولكن لماذا يفسر سؤالها على هذا النحو.. لأن ليلى خانته منذ أعوام.. لأنه يوم علم بخيانتها جاء إلى وداد يبكي وهو يسأل لماذا؟! لماذا تخون امرأة رجل يحبها وأيضاً تحبه؟

نعم ليلى كانت تحبه حتى وهي تخونه.. ما زال يذكر عناقها له يوم طلاقهما.. ما زال يذكر كيف كان يحاول ان يبتعد عن ذراعيها يوم جاءت بعد أن أرسل لها وثيقة الطلاق..

لم تكن ليلى يومها امرأة تعتذر أو تعلن ندمها أو توبتها ولم تكن غاضبة أو سعيدة بانتصار حبها وتحررها من زوجها الذي خانته.. كانت امرأة تحتضن رجلاً تحبه.. خالد شكري يعلم ما هو الحب؟

ولكن ليس هذا هو ما يدق رأسه الآن.. ما يشعل في رأسه مطارق الألم أنه يعذر نهى على كل ما فعلته.. إن كان هو برجولته وعقله تألم عندما سألته وداد عما فعلته نهى.. إن كان هو تذكر خيانة ليلى له وتصوّر أن وداد تظن أن نهى هي أيضاً على علاقة ما، فهو ما زال واقعاً تحت تأثير عقدته الأولى، فكيف يلوم نهى وهو يعلم أنها منذ لقائهما الأول تشعر أنها ليست أهلاً له. خالد لا يلوم نهى بل يلوم نفسه لأنه لم يستطع

مصارحتها أو اقناعها باقتناعه الكامل بها وبكل قطعة في جسدها وروحها..

وعادت وداد تقول في إلحاح:

خالد.. إيه اللي حصل؟!

وأطرق مفكّراً ثم قال:

إيه رأيك في نهى يا وداد؟!

هل جاء بعد منتصف الليل يسألها عن رأيها في نهى؟!

وقالت وداد في ألم وصدق:

بنت هايلة يا خالد.. كفاية قوي انها خرجتك من أزمتك.. كفاية..

وقاطعها خالد قائلاً:

تفتكري ليه نهى اللي قدرت تطلعني من أزمتي؟! ليه نهى بعد ست سنين من عزلتي وطلاقي خلتني أقبل ست وبيت وحياة وأحلم بأطفال.. له نهى يا وداد؟!

وعاد ينظر إلى عينيها الخائفتين ثم قال:

أنا مارحتش لواحد صاحبي ولا قعدت مع نفسي.. أنا حيتلك انت يا وداد.. عشان انتي حتكوني صريحة معايا.. عشان أنت مش حتداري ولا تخدعيني بكم كلمة وعشان كمان أنت ست.. ست يا وداد.. ليه نهى؟!

وبعد تنهيدة صغيرة خرجت من صدرها قالت:

وليه علية؟ ليه فريال ولا ليه ماجدة؟ ليه أي حد وليه مش أي حد.. وليه كان ليلى زمان.. أنا فاكرة كويس إن لا بابا ولا ماما كانوا بيحبوا ليلى يا خالد.. عشان كانت حلوة.. عشان

كانت صاروخ زي ما كانوا بيقولوا عليها.. لأ يا خالد.. لو هو دا السبب كان مليت حلاوتها بعد سنة ولا اتنين.. لكن انتوا كنتوا سعدا جداً وعشان كدا كانت الصدمة كبيرة لما حصل اللي حصل..

وعادت تربت على فخذيه في حنان أكبر وهي تكمل:

لما أنت جبت نهى أول مرة أنا حبيتها.. حقيقي حبيتها.. بنت هادية لطيفة.. عندها ذوق وبتحترمك وبتحترم اختيارك ليها.. يمكن مش في حلاوة ليلى وعشان أكون صريحة معاك يمكن ما يتقالش عليها صاروخ ولا جميلة لكن أنت شفت فيها اللي شفته في ليلى زمان.. يا خالد احنا لما بنحب حد مش بنشوف فيه غير فرحتنا وراحتنا.. دا اللي بيخليه هو.. هو بس دون البشر كلهم مع انه ممكن يكون أقل منهم في كل حاجة..

وفي حزن قال خالد:

طيب هي ليه ما فهمتش كدا؟! ليه ما شافتش أنا شايفها ازاي.. نهى متخيلة إني عايز اتجوزها عشان بقى عندي عقدة من الستات الحلوة.. متخيلة اني عايز ست أضمن أنها ماتخونيش.. لأن الست الحلوة ما تقدرش تبقى وفية ولا مخلصة لخالد شكري؟! تصوري الظاهر إن خالد شكري ما يستاهلش!!

وقاطعته وداد قائلة:

يعني أنت شايفها فعلاً ست؟!

وسقطت من عينيه دمعة وهو يقول:

والله أبداً.. أنا يوم الفرح يا وداد اللي شدني ليها انها قاعدة لوحدها في هدوء.. حسيت قد إيه جميل أن الست ما بتصرخش

بجمالها على كل اللي حواليها وكأنها بتتحداهم وكأنهم مش حيقاوموها..

لما اتكلمت معاها حسيت إني عايز أكمل كلامي.. حسيت أنا بهدي.. أنا كل السنين اللي فاتت ماهديتش.. نهى في عيني حلوة يا وداد.. ما تقلش أبداً عن شكل ليلى في عيني يوم ما قابلتها وارتبطت بيها زمان.

وقالت وداد في هدوء:

اسمع؟! من حق نهى أنها تفكر كدا لأي أسباب ومن حقها عليك انك تفهمها وأنك توصلّها اللي قلته يا خالد.. ما تخسرهاش.. لو اتكلمت معاها حتفهم وحتصدق..

وصاح خالد في حدة:

تفهم وتعذر إيه؟! أنا دلوقت حاسس اني أنا اللي مجروح.. أنا اللي في نظرها راجل ماعندوش ثقة ولا إيمان بنفسه.. مش قضيتي أبداً أنها شايفة نفسها أقل من ليلى عبد القادر.. مشكلتي مع نهى أنها شايفة خالد شكري لا يستحق اخلاص ست زي ليلى؟! وعشان كدا بس ارتبط بيها..

أنا مجروح يا وداد.. مجروح.. إذا كانت ليلى قتلتني يوم بخيانتها.. نهى النهارده قتلتني اكتر بنظرتها مش لنفسها لأ بنظرتها ليا أنا!!

* * *

دخلت يامنة المندرة مرحّبةً:

أهلاً يا أم الغالية.. ما طلعتيش فوق ليه هو أنت غريبة عاد؟!

وجلست أم لبنى وهي تبتسم ابتسامة صغيرة لتقول:

تسلمي يا ست يامنة.. أنا جاية اشكرك على اللي عمله عبد السلام بيه.. دا الولد كان بيحلم بالسفر وماعارفش وأهو الحمد لله سافر واشتغل كمان.. الواحد مش عارف يودي جمايلكم فين.

وعادت يامنة تقول:

ليه سفرتيه يا أم لبنى.. كان يشتغل هنا معانا.. الخير كتير احنا بقينا أهل..

وفي هدوء رفعت أم لبنى عينيها البنّيتين الجميلتين لتنظر إلى يامنة في خجل.. يامنة نقية رغم صلابتها.. حنون رغم جمودها.. أربعة أشهر منذ زواج لبنى واقامتها مع يامنة.. أربعة أشهر ولبنى تعشق يامنة كل يوم أكثر.. عندما أخبرت لبنى يامنة أن أخاها يتمنّى السفر إلى إحدى البلاد العربية للعمل لم تتأخّر يامنة لحظة في تحقيق طلبها. لقد عرض عليها عبد السلام إلحاق

ابنها بالعمل لديه في إدارة الأراضي لكنها رفضت.. رفضت لأنها تخشى حدوث المشاكل.. إنه أهوج متسرع.. السفر أفضل الطرق.. هو بحاجة إلى الغربة والسفر.. الغربة تخلق الرجال وتعلّمهم ما فشل فيه الآباء والأمهات.

وابتسمت السيدة لتقول في صدق:

كدا أحسن الله يباركلك.. الواد مجنون وطايش خليه يتعلم ويركز.. هي لبنى فين؟!

وابتسمت يامنة وهي تقول في شيء من المرارة:

سليم جاي النهارده.. بتوضب مطرحها وحالها.. هو انت ماخبراش بتك عاد.. يوم وصول سليم ويوم سفره ماحدش يعرف يكلمها.. نفطر ونشرب الشاي واطلعيلها..

وبعد رشفات صغيرة قالت أم لبنى في تردد:

أنا حاسافر يا أم سليم..

لم تسألها يامنة.. وعادت السيدة تكمل في خجل:

راجعة بلدي.. خلاص بنتي معاكي حاعوز إيه أحسن من كدا..

وقالت يامنة:

بلدك هي دي.. بلد عيالك وجوزك الله يرحمه..

ولاحت دمعة في عينَي المرأة الجميلة لتقول:

الله يرحمه.. رجعني لذمته عشان أخلف العيلين ويموت هو.. ولولا خيرك وخير اخواتك والله ما كنت عرفت اربيهم.. حتى أمي الله يرحمها لحقته.. حتى اخويا الوحيد مات هو

كمان.. أروح بقى أشوف عياله وأموت أنا كمان في البيت اللي بحبه.

وعادت يامنة تقول:

الأيام بتدور يا أم لبنى.. البنت الصغيرة اللي كانت على كتفك بقت مرة ولدي والله كأني خلفتها من بطني.. ربيت أحسن تربية.. عاوزة فلوس؟!

وسقطت الدمعة الحائرة لتقول في صوتها المتهدج:

الله يباركلك عندي.. أنا حاطلع أشوف لبنى..

* * *

عندما فتحت لبنى باب غرفتها وقفت أمها تنظر إلى فراشها لتجد عليه أكثر من أربعة قمصان نوم حريرية، كان واضحاً أن لبنى وضعت هذه القمصان لتختار أحدها عند حضور سليم. وابتسمت في خجل وهي ترى أين تنظر أمها وقالت بصوتها الهادئ:

أصل.. أصل...

وقاطعتها أمها وهي تضمّها إلى صدرها قائلة:

ربنا يسعدك يا بنتي.. اقعدي يا لبنى عاوزة أتكلم معاكي..

وجلست لبنى على حافة فراشها بعد أن طوت قمصانها الحريرية لتسمع أمها تقول:

أنا خلاص حارجع بلدي يا لبنى..

واقتربت منها لبنى لتقول في لوعة:

ليه؟! خليكي معايا..

وربتت أمها على كتفيها في حنان لتقول:

أنا ماعدش عندي حاجة هنا يا لبنى.. أخوكي وسافر ربنا يفتحها عليه ويهديه.. وانت.. انت في الدنيا اللي اخترتيها..

وقاطعتها لبنى مجدداً:

أنت لسه مش مبسوطة من جوازتي مش كدا؟!

وبصوت حزين أجابت:

يا لبنى انت بتحرقي قلبك بصوابعك.. شفتي كيف سابك سليم يوم صباحيتك وراح.. أربع شهور يا بنتي جالك فيهم كام يوم؟! حط إيده على قمصانك اللي قاعدة ترصيها دي كام مرة؟! يا لبنى.. ناري نارين يا بنتي.. دي حتى أم سليم موجوعة عليك..

وسقطت دموع لبنى وهي تتحسس قمصانها المطوية إلى جوارها وقالت:

أنا غلطت إني حكيتلك اللي بيحصل؟!

وقاطعتها أمها في لهفة:

لا.. غلطتي عشان انت اللي اخترتي أنه يحصل.. عارفة اللي كاسر قلبي إيه وحرقه.. انك حتتجنني على سليم وهو ولا هو هنا.. كأنك قرص دوا مر بيغصب على روحه ويبلعه لما الألم يقطع أوصاله.. والألم دا إيه.. أمه.. يا بنتي.. أمه هي اللي جابته المرتين اللي جالك فيهم..

ونكست لبنى رأسها وقالت بعد لحظات:

بحبه.. لما يدخل الدار.. لما يدخل البلد قلبي بيتنفض.. روحي بتصحي.. مش بيدي..

وأجابتها أمها في حزن:

ولا بيدي.. أنا عارفة اللي تاخد راجل غيرها ما تاخدش في عمرها غير الوجع والبكا.. اقولك إيه.. ربنا يخيب ظني ويحببه فيك.. مافيش أخبار عن الحمل؟!

وقالت لبنى في ألم أكبر:

لا.. وكيف حايحصل إذا كان مرة ما قعدش غير ليلة ومرة كان زعلان ومتضايق على مراته والمرة اللي فاتت أنا.. أنا يعني.. ما كنش ممكن ييجي ناحيتي.

ونهضت أمها وهي تجذبها من يدها في حنان قائلة:

ربنا يرزقك ويهديك يا سليم يا ابن يامنة للبنى بنتي.. يللا يا بنتي ننزل تحت عند أم سليم مش عاوزاها تفتكر أن عندنا أسرار.. يللا ياحبيبتي.

* * *

أغلقت أمينة حقيبة سليم الصغيرة وهي تنظر إلى وجهه في حيرة. منذ ولادة «نور» وسليم يكاد يبكي في كل مرة يذهب فيها إلى سوهاج.. في كل مرة يذهب إليها تشعر أمينة أنه يكره ذهابه كما لم يكرهه يوماً من قبل. وأيضاً ككل مرة ذهبت أمينة لتجلس إلى جوار سليم على حافة فراشهما حيث كان يجلس ووضعت ذراعها حول كتفيه لتقول في حنان:

حتغيب يا سليم؟!

وأسرع سليم إلى الرد:

لا يا أمينة.. يومين.. يومين اتنين.. حابيت الليلا دي والجاية وأكون عندكم بعد بكرة إن شاء الله..

وأطلقت أمينة نفساً عميقاً وهي تقول:

سليم.. كل مرة أقول مش حاسألك لكن كل مرة تسافر فيها عند طنط وترجع أحس إنك موجوع.. مدبوح يا سليم.. فيه إيه؟!

وألقى سليم بوجهه بين كفيه ليلتاع قلب أمينة أكثر فأكثر، وفي حنان حاولت فك كفيه وهي تقول:

فيه إيه يا سليم؟ طنط يامنة مش كدا؟! مش كدا؟! سليم؟!

وحينما أبعدت كفّيه عن وجهه رأته يبكي.. رأت أمينة في عينَي سليم ما لم تره يوماً.. رأت دمعات تسقط من عينيه وسقطت أمينة عن سريرهما إلى الأرض ومدت ذراعيها تمسك بوجهه بين كفيها لتسمعه يجهش في البكاء وينتحب في جنون. جذبها سليم إليه ليجلسها على ركبتيه ويلقي برأسه على صدرها.. كان يبكي وكانت أمينة أيضاً تبكي لبكائه.. وعندما شعر سليم بدمعها عاد بها إلى فراشهما وهو يقول:

أموت ولا دمعة من عينيك يا أمينة.. أموت ولا دمعة..

وجذبته أمينة إليها ليسقط فوق جسدها ملقياً برأسه على صدرها وهي تتحسس شعره في حنان بالغ لتقول وهي تبكي:

سليم.. لا عشت أنا ولا كنت في يوم تبكي فيه.. اطمن يا سليم.. اطمن يا حبيبي.. إن شاء الله كل حاجة حتبقى كويسة.. صدقني..

وبأصابعه السمراء الطويلة أخذ سليم يعود بخصلات شعرها البنية حول رأسها واقترب بشفتيه يقبّلها ويقبّل كل قطعة في جسدها.. لم تقاومه. كيف تقاومه وهي لا شيء سوى كتلة حب وشوق إليه.. لا شيء كان في رأسها سوى أمل جديد ومحاولة جديدة ستقوم بها.. أمينة ستحاول أن تحمل طفلاً من جديد.. سليم لن يبكي حزناً على حزن يامنة وأملها الدفين..

أمينة تعلم أن نور لم تكمل الأشهر الخمسة.. تعلم أن حملها قد يكون فيه موتها لكن الموت أرحم من أن تحيا لترى سليم يبكي مرة أخرى..

وضمّته إلى جسدها في جنون كأنها تتمنى لو تحمل أحشاؤها منه جنيناً. عند عودته من زيارة يامنة ستتخلص أمينة من موانع الحمل التي تستعملها. . عند عودته ستقدم له واحداً من اثنين: عبد المجيد أو روحها.

* * *

كانت أنفاس عزت تتلاحق في جنون وهو يفتح باب التاكسي.

إن كورنيش الإسكندرية مزدحم والسيارات لا تكاد تتحرك. . لقد قرر في لحظة أن يهبط من التاكسي أمام نصب الجندي المجهول ويركض. . هالة هنا. . هالة هنا. . هذا هو ما أخبره به ممدوح قبل أقل من ساعة. . أخبره أنه رآها في الصباح.

هالة طلبة هنا. . عزت لا يصدق. . لا يصدق أبداً. .

كان يركض في جنون حتى أن كثيراً من المارة كانوا يلاحقونه بعيونهم كأنهم لايصدقون كيف يركض رجل في سنه وأناقته بهذا الشكل؟!

وفي دقائق كان عزت يركض على سلالم البيت ليقف بعد لحظات أمام بابها المغلق ومد أصابعه المرتعشة ليضغط جرس الباب. وقبل أن تلمس يداه الجرس تجمدت مشاعره كأن صاعقة كبرى عصفت به. .

ماذا لو كان زوجها معها بالداخل؟! إن عودة هالة تعني عودة عائلة. . أم وأبناء وزوج.

ماذا يقول له؟! بل ماذا لو رآها هي أمامه ثم ظهر زوجها ما تراه سيقول له أو لها؟!

كيف لم يفكر؟! كيف ركض دون أن يفكر؟! وهو هنا، بينه وبين هالة قطعة من الخشب الأصم..

وطأطأ عزت رأسه.. الحب ليس جنوناً.. الحب ليس أنانية.. إن كان يحبها يجب أن يعود.. يجب أن يعود من حيث أتى.. سينتظر حتى الغد ويحادث ممدوح مرة أخرى ليسأله عنها وعن ابنائها وزوجها..

الحب ليس أنانية.. ونكس عزت رأسه وما إن اجتاز درجات سلم بيت هالة حتى عاد من جديد ليدق الجرس في إصرار كبير..

من قال إن الحب ليس جنوناً.. من يدعي أنه أقوى من الحب ليس عاشقاً وعزت عبد الرحيم عاشق..

وعاد دبيب قلبه يعلو. وفي أقل من لحظة كانت هناك سيدة تفتح له الباب.

وتفحّص عزت أرجاء صالة البيت ثم نظر إليها وقال:

مدام هالة موجودة؟! أو جوزها.. جوزها من فضلك..

ما زال في رأس العاشق بقايا عقل.. إن جاء زوجها فسيختلق له أي قصة، وإن لم يكن موجوداً فهو سيعلم أن هالة هنا وحدها.

ودون اكتراث قالت المرأة التي كانت تحمل في يدها أدوات التنظيف وهي تستدير إلى الداخل:

يا ست هالة.. حد عايزك على الباب..

ورآها تخرج من إحدى الغرف.. نعم إنها هي..

هي هالة.. هالة طلبة.. حلم العمر..

وقفت هالة بثوبها المنزلي وشعرها الجميل المختبئ خلف منديل ملون تنظر إليه في ذهول كبير..

كما هي.. نعم هالة طلبة كما هي.. بالعينين العسليتين الواسعتين.. والأنف الدقيق والشفتين الخمريتين الجميلتين.. شيء ما في عينيها تغير.. شيء آخر في وجهها ظهر ربما. لكن هي هالة طلبة.. وشعر عزت بدمعات تسقط على وجنتيه وهو يرى كفّها تخلع ذاك المنديل الملون عن رأسها وكأنها ترفض أن يراها تخفي أجمل ما كان يحبه فيها.

وتقدمت هالة نحوه وهي ما زالت تحمل المنديل الصغير بين أصابعها ورأى شعرها يسقط على كتفيها.. شعيرات بيضاء كثيرة ترقص بين طيات شعرها الأحمر.. شعيرات بيضاء وافرة لكنها أقل كثيراً من شعيرات رأسه البيضاء.. وتمنى لو يركض إليها.. تمنى لو أن هذه الخطوات الصغيرة التي تفصله عنها كانت أميالاً لترى هالة كيف يقطعها ركضاً إليها ولكن لما تسمّرت قدماه مكانهما.. ووقف كعصفور جريح خلف دموعه.. واصبحت هالة أمامه لا شيء بينهما سوى طبقة من الدمع تكسو عيناه وطبقة أخرى تكسو عيناها..

وطارت تلك البقايا الصغيرة التي كان يدعوها العقل ومد عزت أصابعه ليضعها في طيات شعرها وهو يغمض عينيه لتسقط دمعات جديدة منها. وقبل أن يقول حرفاً شعر بها وقد حرّرت رأسها من أصابعه وهي تقول في صوت ضعيف محشرج:

عزت؟ عزت عبد الرحيم؟!

وفتح عزت عينيه ليقول وهو ينظر إليها:

أيوه يا هالة.. أنا رجعت..

ورفعت هالة يديها لتمسح بها دموعها حيث رأت ذاك المنديل بين أصابعها وعادت تتحسس رأسها وشعرها كأنها لا تصدق أنها بعد حجاب الأعوام كشفت رأسها وشعرها في اللحظة التي رأت فيها عزت عبد الرحيم.. وفي صمت افسحت له الطريق وهي تقول:

اتفضل.. تعال نقعد جوا في الصالون..

تبعها عزت في صمت عالي الصخب.. تبعها ليدخل وتغلق خلفه هالة باب الغرفة في هدوء..

كانت تحاول أن تستعيد في خيالها الثوب الذي ترتديه. كانت تمسك بمقبض الباب وتنظر إليه وظهرها نحو عزت، فلم تعرف أي مقعد اختار أو على أي مقعد جلس.. كان كل ما يشغل رأسها هو أن تتذكر أي ثوب ارتدته وهي تواصل تنظيف البيت للمرة الأولى بعد أعوام من الأتربة.

وهزت رأسها في هدوء.. إنها ترتدي جلباباً قطنياً من اللون الزهري المائل للون زهرة البنفسج. وفي ذعر كبير نظرت إلى قدميها لتراهما في شبشب أبيض بسيط.. لكن قدميها جميلتان وأصابعهما نظيفة.. حتى إنها لا تستطيع أن تفكر في حضور عزت كل ما يشغلّ رأسها هو كيف تبدو وماذا ترتدي؟! وسمعته يقول في رجاء:

هالة.. هالة فيه إيه؟!

استدارت هالة فرأته يجلس على الأريكة نفسها التي اعتاد أن يجلس عليها يوم كان يأتي كثيراً إلى هنا.. وتنهدت هالة وهي تمضي نحوه في صمت لتراه يربت على الجزء الخاوي من الأريكة كأنه يدعوها إلى أن تجلس إلى جواره. وبلا وعي منها وجدت نفسها تهز رأسها في عنف كأنها ترفض أن تجلس إلى جواره لتعود وتجلس على مقعد أمامه منكّسة رأسها لحظات.. تريد أن تلتقط أنفاسها.. تريد أن تستوعب ما تراه وما يحدث.

عزت عبد الرحيم أمامها. عزت عبد الرحيم بعد كل هذه الأعوام.. وعادت تنظر إلى كفيها وذاك المنديل ما زال بينهما وانتفض جسدها وهي تتذكر.. إنها مشعّثة.. لا ترتدي أفضل ثيابها.. إن شعرها ليس مصبوغاً. وشهقت هالة في ذعر.. هل رأى عزت شعيراتها البيضاء ورفعت عينيها تنظر إليه لتراه ينظر إليها في حنان ولهفة..

ما زال عزت وسيماً.. هو أيضاً غزا الشيب رأسه.. بل ربما لم يبق في رأسه سوى القليل من الشعيرات السوداء. لكنه وسيم.. أنيق.. وأغمضت عينيها في خجل.. وسمعته يقول من جديد:

هالة.. هالة؟!

اسمها بين شفتيه.. اسمها بصوته يدغدغ عروقها.. هالة جسدها يتحرك.. هالة جسدها ينبض.. هالة لا تصدق أن كل هذا يحدث لمجرد أنها سمعت اسمها يصحو بين شفتيه..

وفي لحظة وجدت عزت أمامها يجلس على ركبتيه تحت مقعدها واضعاً كفيه حول وجهها وهو يقول:

هالة..

رفعت هالة كفيها ليسقط ذاك المنديل الصغير من بين أصابعها.. وفي اللحظة التي أبعدت فيها كفّي عزت عن وجهها سقطت زخات دمع كثيرة من عينيها لتقف وتبتعد عنه قائلة:

عزت.. أرجوك.. تشرب إيه؟

ولحق بها عزت ممسكاً بذراعها وقال:

عطش السنين يا هالة ما يرويهوش أي حاجة غيرك في الدنيا.. هالة أنا رجعت.. رجعت أحقق وعدي.. هالة.. جوزك فين؟!

والتفتت هالة إليه في دهشة، وسمعته يكمل:

خلاص يا هالة.. الحق لازم يرجع لصحابه.. أنا حاتكلم معاه لازم يرجعّك ليا يا هالة.. هالة..

وعادت دموعها تسقط وقالت في ذهول:

جوزي مات من خمستاشر سنة يا عزت..

كان ذراعها ما زال معلقاً بين أصابعه حين هدأت أنفاسه وهو يسمعها تتحدث وجذبها عزت إلى صدره في حنان بالغ. لم تقاوم. وضعت رأسها على صدره كأنها تختبئ من أعوام مرت وكأنها تتمنى لو لم تكن.. تختبئ من خجلها لأنها ليست على زينتها.. تختبئ من خجلها من هذا القلب الذي انتفض وهذا الجسد الذي نبض. وسمعت عزت يقول بصوت دامع:

جوزك ما متش.. جوزك رجع.. رجع يا هالة.. رجع ومش حايسيبك عمره أو اللي فاضل من عمره.

* * *

أكثر من أربعة أشهر مرت على فراقه. أكثر من أربعة أشهر مرت منذ آخر مرة رأته فيها في غرفتها..

منذ تلك الليلة لم تر نهى خالد شكري مرة واحدة. أُلغي حفل الزفاف.. التقاه والدها سليمان أكثر من مرة.. استعادوا قطع الأثاث التي دخلت بيته وخزّنتها اعتدال في بيت جدها القديم..

كانت الشهور الأولى صعبة.. تمزّق قلبها وهي تعلن للجميع أن الزواج لن يتم.. تمزّق قلبها وهي ترسم الجمود واللامبالاة على وجهها كلما رأت دموع أمها وتسمع لوم نادية أختها ولوم أبيها.

لا أحد يستطيع أن يسمع منها كلمة واحدة تقدم فيها سبباً لقرارها.. لا أحد على الأرض يعرف ما حدث سوى هي وأمينة وخالد الذي سألته اعتدال وسأله سليمان كثيراً، وكان جوابه أنه مثلهم لا يعلم لكنه يحترم قرار نهى كثيراً.

كان خالد كريماً معهم.. عرض عليه سليمان أن يسدد الدفعة التي أدّاها إلى الفندق وقد علموا أنهم لن يستردوها لكنه رفض.. سليمان أخبرها أنه بالكاد قبل بأخذ الشبكة.. سليمان

قال لها إن خالد ابتسم في مرارة حين أخبره أن نهى أضاعت الدبلة . .

صعبة جداً كانت الأيام الأولى للفراق . . لكن كل شيء عاد طبيعياً . . أمينة ما عادت تحاول فتح هذه القضية وكأن خالد أخبرها أنه هو أيضاً ما عاد يريد نهى . . زملاؤها في البنك ما عادوا يرمقونها بتلك النظرة الفاحصة كأنهم يبحثون عن آثار دمع أو دخان حرائق . .

اعتدال ارتدت الثوب الذي أعدته لزفافها وذهبت به إلى زفاف ابنة صديقتها الاسبوع الماضي وكأنها إن لم تفعل فلن ترتديه أبداً . .

ورفعت نهى عينيها ونظرت في مرآة سيارتها . . نصف عام تقريباً عاد فيه كل شيء كما كان إلا هي . . ما زالت تمرّ بسيارتها كثيراً تحت بيته . . ما زالت تقف بجوار سور حديقة الحيوان وترفع عينيها إلى شرفته . . ما زالت تنظر إلى مدخل العمارة وتتمنى لو ترى شادية تخرج من بيتها أو تراه هو يخطو خارج البيت ولكن لا شيء كأنها ما عرفته ولا عرفها يوماً . .

ونكست نهى رأسها في صمت وهي تنظر إلى ساعة يدها . يجب أن تتحرك من مكانها . . بقي على موعدها مع الطبيب نصف ساعة . .

أدارت محرك سيارتها في هدوء . . اليوم ستذهب . . ثلاثة أشهر وهي تؤجل الموعد . لكنها اليوم ستذهب . . وفي أحد شوارع المهندسين وقفت نهى بسيارتها تحت فيلا صغيرة وأغلقت سيارتها لترفع عينيها وتنظر . .

هل تصعد . . هل تصعد أم تعود؟!

هزت رأسها في عنف . . لن تعود . . ستصعد . . نهى سليمان ستصعد إلى مركز الدكتور نور الدين شريف للتجميل . . لن تهرب هذه المرة بعد أن وصلت إلى بابه .

العيادة أنيقة كبيرة . وبعد أن دفعت نهى بدل المعاينة الكبير الذي طلبته الممرضة ، جلست وراحت ترقب وجوه النساء وأجسادهن حولها في ذهول . . هناك وجوه تثير الرعب ووجوه تثير الدهشة لحضورها وجمالها . وسمعت نهى ألف قصة وألف حكاية عن ألف امرأة جاءت أو ستأتي . . وشعرت بالحرج عندما نظرت إحداهن إليها ونهضت عن مقعدها قبل أن يسألنها أو يحادثنها وعندما سألت الممرضة عن موعد دخولها أجابتها :

أنا آسفة . . حضرتك بعد اللي جوا يا مدام . .

وهدأت نهى . . لم تهدأ لأنها ابتعدت عن نظراتهن لكنها ابتسمت لأن الممرضة قالت لها «مدام» . . وابتسمت أيضاً لأنها أدركت أنها أجمل من ألف ألف امرأة أخرى . . ابتسمت لأنها علمت أنها قد لا تكون جميلة لكنها ليست مشوهة أو مجنونة . .

نهى بخير . . نهى حقاً بخير . . نهى ليست أمينة عزت ولا ليلى . . ولكنها أيضاً ليست مشوّهة!

وأرخت رأسها وهي تقف لتتبع الممرضة إلى غرفة الطبيب حيث وقف وصافحها بابتسامة عريضة وأشار إلى المقعد المقابل لمكتبه قائلاً :

اتفضلي يا هانم؟!

وجلست نهى في صمت لتسمعه بعد لحظات:
أؤمريني..
وابتسمت نهى قائلة:
زي ماحضرتك شايف.. نقدر نعمل إيه؟!
وابتسم الطبيب من جديد وقال:
ولا حاجة.. مش أنا دكتور.. مش أنا حاقبض لكن حتبقى ولا حاجة.. حضرتك متضايقة من إيه؟!
قالت بعد تردد:
سناني.. مناخيري.. شعري.. صدري.. كل حاجة.. كل حاجة..
لقد اعتاد ما يسمع. ردّ في هدوء:
بصي حضرتك.. أنا حاقولك رأيي كطبيب وبرضة كراجل.. شعرك حلو.. لو خشن دا مالوش علاج.. نص ستات مصر شعرهم مش ناعم.. أمال احنا عندنا كل الكوافيرات دي ليه؟! سنانك.. مش مرعبة لكن أنا ممكن اديكي اسم دكتور تقويم هايل.. أما مناخيرك وصدرك فعلاجهم بسيط ستة أو سبعة كيلو زيادة في وزنك حيفرقوا.. حضرتك عندك أولاد؟!
وهزت نهى رأسها بالنفي ثم أكمل:
متجوزة؟!
وبلا وعي قالت:
مخطوبة!!
وعاد يقول:
عال جداً.. بعد كام شهر جواز وأول عيل حتلاقي كل

حاجة اتعدلت بس يا رب يا آنسة.. ونظر إلى الكارت الملقى أمامه وأكمل:
يا آنسة نهى يارب ماتجيش تقعدي هنا وتعيطي وتطلبي تخسي وترجعي زي دلوقت... صدقيني أنت هايلة!!
في طريق عودتها إلى بيتها كانت نهى تنظر إلى الكارت الذي يحمل اسم طبيب الاسنان وعنوانه في ذهول.
أعوام وهي تحلم بالذهاب إلى طبيب التجميل لكنها كانت تخشى أن يكون هذا اعترافاً منها لكل من حولها بأنها ليست جميلة. وعندما ذهبت كانت تدعو الله أن يخبرها أنه لا يملك شيئاً يقدمه من أجلها. وحين فعل خرجت غاضبة حزينة..
وعادت تنظر في ذهول إلى حيث قادت سيارتها دون أن تعلم.. جاءت إلى شارع مراد مرة أخرى ونظرت إلى شرفة خالد شكري من نافذتها وأرخت عينيها في ألم.
خالد كان على حق.. ليس هنالك امرأة تعلم ماذا تريد حقاً!

* * *

أمي:

أصبحت نور الآن في شهرها السادس.. ستة أشهر وهي ترضع صدري وفي كل مرة أضعها على صدري أشعر بالفخر والخجل..

أشعر بالخجل من شهد ابنتي التي حرمتها وحرمت نفسي متعة إرضاعها.. متعة كبيرة أن تشعر أمّ بشفتَي طفلة صغيرة تضم صدرها لتأخذ منه ما لا يمنحه لها أحد آخر على الأرض.. متعة فريدة أن تشعر أم بأصابع صغيرة تضم نهدها لتستبقيه أو تلاعبه في حنان..

أصبح لنور سنّة واحدة وحين تطبقها على صدري وتخرج مني آهة ألم صغيرة أحبها أكثر وأعلم أن الألم يصبح متعة كبيرة حُرمت منها وحرمت شهد منها.

لكنني أشعر بالفخر لأن حرماني لنفسي ولابنتي كان سببه عشقي المجنون لأبيها.. أشعر بالفخر الكبير أن لي قلباً يضم كل هذا الحب..

أمس ذهبت إلى الطبيب لأتخلّص من مانع الحمل الذي أستعمله، لكنه رفض وطلب مني الانتظار حتى نهاية العام..

حادث الطبيب سليم وأخبره..

آه يا أمي لو رأيت كيف بكى سليم وهو يرجوني ألا أفكر في الحمل أبداً..

قال سليم في لوعة إن الحياة بدوني ليست حياة.. الحياة بدون حب ليست حياة.. سأنتظر الأشهر الستة القادمة.. سأستمتع فيها بإرضاع نور.. سأستمتع فيها بتدليل شهد.. لكنني لن أتوقف أبداً عن المحاولة.. لو أصبح عندي عشر بنات سيأتي يوم وأهدي إلى سليم ولداً..

أمي:

ما زال الصبر يا أمي دواءنا جميعاً.. وسيبقى الحب والأمل عكازنا!

* * *

أطلقت لبنى شعرها الأحمر الطويل لتدور حول نفسها في غرفتها وهي في منتهى الفرح. سليم سيصل اليوم.. سليم سيصل في أي لحظة.. سليم سيأتي ليأخذها بين ذراعيه.. وألقت بنفسها على فراشها في سعادة.. إنها سعيدة كما لم تشعر بالسعادة يوماً.

كل مرة يأتي فيها سليم تشعر لبنى أنها تولد من جديد.. وفي كل مرة يخرج فيها تشعر أنها تموت.. ولكن إن كان الموت ثمناً لهذا الشعور الذي يجتاحها عند عودته، فهي لا تبالي به.

أصبح سليم وحده يمدّ ذراعيه إليه ليعانقها كلما عاد.. أصبح سليم يربت رأسها عندما تضعه على صدره.. أصبح سليم يجيبها عن بعض الأسئلة إن هي سألته عن عمله أو ابنتيه.

وأغلقت لبنى عينيها في شيء من الألم.. ولكن ما زال سليم أيضاً ينتفض إن هي سألته عن أمينة.. ما زال سليم يهرب من شفتيها إن حاولت تقبيله.

لبنى تعلم أنه يحتفظ بشفتيه لأمينة.. لبنى تعلم أنه يحب أمينة أكثر ويشتاق إليها أكثر.

ما زال سليم عبد المجيد بعد قرابة ستة أشهر من زواجه بها يبكي في بعض الليالي كأنه ما زال يشعر أنه يخون أمينة..

ونفضت لبنى رأسها في إصرار.. يكفيها منه أنه يأتي.. يكفيها أنها زوجته وإن يكن لليالٍ معدودة كل شهر.

لبنى إن لم يكفها شيء يسعد قلبها أن تخلع حذاءه في كل مرة يحضر فيها وتتحسس قدميه اللتين حملتاه إليها. يكفيها أن تمر بكفها على جسده قطعة قطعة وهي تربت عليه كأنها تتحسس كنزها الغائب.. يكفيها أن تمسح بشفتيها على قدميه وساقيه كلما غفا إلى جوارها.. سليم عبد المجيد هو كنز عمرها واليوم ستخبره أنها حامل.. نعم لبنى حامل.. لا أحد يعلم بعد سوى يامنة.. يامنة حادثت سليم وأخبرته أنه يجب أن يحضر قبل موعده الشهري.. سليم رفض وتذرّع بالعمل. لكن يامنة أخبرته أن أمراً هاماً في انتظاره.

وعادت لبنى تعضّ شفتيها في ألم.. تشتهي يوماً يحضر فيه سليم دون أن تذكره يامنة.

لبنى تشتهي يوماً يأتي فيه سليم وحده ليرى كيف تحبه وتنتظره وتحلم به حتى وهي مفتوحة العينين.

وسقطت دمعات صغيرة على جنبات وجهها وأخذت تتحسس بطنها في هدوء وتمتمت قائلة «يا رب».. يا رب.. ليكن هذا الجنين ذكراً.. يا رب أنت تعلم أنها لا تريده ذكراً ليحبها سليم أو ليكره أمينة.. لبنى لا تريده ذكراً حتى ليأتي سليم دون إلحاح ومطاردات.. يا رب اجعله ذكراً وإن كان في مولده

موتها.. لحظة واحدة تعرف فيها لبنى أنه ذكر ولتمت بعدها.. تريده ذكراً لتسعد به قلب الرجل الذي ما عشقت يوماً حياتها إلا بعد أن غفت بين ذراعيه.

كيف تخبره أنها حامل؟! لا تعلم.. هل تفعلها في اللحظة التي يأتي فيها أم تنتظر حتى يأتي المساء ويأخذها؟ ولكن سليم لا يأخذها أبداً إلاّ إنْ تمرّغت بين ذراعيه.. سليم عبد المجيد ما زال لا يأخذ لبنى إلاّ لأنها تريده.

وهزّت لبنى كتفيها في حزن.. ما الفرق إن كانت هي التي تريده أم هو الذي يريدها؟

ترى كيف يأخذ سليم أمينة؟! وهل هناك فرق حقاً؟!

لبنى لا تشتهي حضور سليم دون إلحاح فقط ولكنها تشتهي لحظة يبدأ هو بالاقتراب من جسدها.. تشتهي أن يراها كما تراه.. لكنها أيضاً تشتهي رؤية أمينة ولو لحظة..

كيف تبدو تلك الأمينة.. حتى يامنة ليس لديها صور لأمينة.. ولكن هل يعقل أنها لا تحتفظ بصور زفاف سليم عندها.

يامنة لا تريد لبنى أن تراها.. لا بد أن أمينة أجمل منها.. يامنة لا تريد أن تُحزنها.. يامنة تشعر بها.. يامنة تحبها ولا تحب أمينة.. ألا يكفيها هذا ويرضيها؟!

وعادت لبنى تغلق عينيها في ألم..

لا شيء على الأرض يعنيها.. لو أحبها سكان العالم أو حتى لو كرهوها أو ذبحوها أو صلبوا جسدها عارياً.

لبنى لا يعنيها سوى أن يحبها رجل واحد..

لبنى لا تحييها سوى أصابع رجل واحد.. رجل هو الأرض وهو السماء.

رجل اسمه سليم عبد المجيد.

* * *

بعد طرقات خافتة على بابها، قالت يامنة في صوت خفيض:

أدخل..

ودخل سليم ينظر إليها في شيء من الخوف والقلق. رفعت يامنة عينيها لتقول في ثورة ساكنة تحاول أن تخبئها بقدر ما تحاول أن تعلنها:

حمدا لله على السلامة.. هو لازم كل مرة اقعد اتحايل عليك ساعة عشان ترضى تاجي يا سليم.. فيه إيه؟!

وأقبل سليم عليها لينحني ويضع قبلة على رأسها. اعتدلت بعدها يامنة لتنهض عن فراشها وتجلس على حافته لتكمل:

هي اللي جوا دي مش مرتك ولا إيه يا سليم؟! فهمني.. لو أنا مت ما حتجيش تشوفها ولا حترميها ياسليم؟!

وقال سليم في هدوء:

بعد الشر عليك يا أمي.. فيه إيه بس.. أول ما قلتيلي تعال جيت.. بس أنا كمان عندي شغل..

وقاطعته يامنة:

تلات أيام في الأسبوع يا سليم وعارفاهم وعارفة إيه هما..

وقاطعها سليم:

وبقية الأسبوع برضة شغل.. مش بادرس الورق؟

وقالت يامنة في صوت أكثر حدة:

والورق اللي بتدرسه ما قالش حاجة عن العدل عن الرحمة.. البنت اللي جوا دي نفسها ما بتتكسرش لما تشوفني كل شهر اتحايل عليك عشان تاجي..

وفكّر سليم لحظات ثم قال:

آسف.. عندك حق..

وهدأت يامنة قليلاً لتقول وهي تزفر زفرة ضيق من صدرها:

كيف بناتك يا سليم؟ وكيف أمهم؟!

وتمتم سليم:

بخير.. عارفة يا أم سليم.. أمينة من يومين راحت للدكتور عشان عاوزة تخلف.. ابقي اسألي عليها يا أمي.. مرة واحدة اطلبيها أو كلميها.. أمينة حاسة أنك زعلانة منها.. يا أمي.. أمينة بتحبك..

وفي صوت مرير وعيناها تنظران إلى قدميها قالت يامنة:

شفت عاد قد إيه مر إن الناس هي اللي تشحت حبك وتفكرك بالواجب.. طب أنا حماتها يبقى مرتك بتحس بإيه عاد؟! شفت لبنى يا سليم؟!

وقال سليم:

أنا من تحت عليك أنت يا أمي.. يعني صح أدخل عندها قبل ما أسلم عليك.

ونهضت يامنة من فراشها وهي تقول:

يعني بتعرف اللي يصح واللي ما يصحش.. اللي يصح أنك تندهلها أول ما تدخل الدار وتيجي معاها عندي.. قوم يا سليم روح عند مرتك على ما أنزل أحضر أنا الأكل ولا جاي واكل كمان؟!

ونهض سليم في هدوء وهو يقول:

الحقيقة أصل.. لا.. لأ طبعاً مش واكل حاجة..

حين خرج الاثنان من باب غرفة يامنة، كانت لبنى تقف بباب غرفتها.. كانت ترتدي جلباباً أبيض من الحرير المزركش بأزهار ملونة كثيرة.. كان شعرها الأحمر الطويل ملقى على ظهرها وحول جبهتها السمراء. وابتسمت في خجل حين رأته يخرج إلى جوار يامنة.. لقد شعرت بدخوله إلى الدار منذ اللحظة الأولى. بل وقفت تنظر إليه من خلف باب غرفتها وهو يتجه إلى غرفة يامنة.. كانت تقف في انتظار خروجه من غرفتها لتركض إليه. ولكن خروج يامنة معه جعلها تقف مكانها في ذلك الخجل الكبير. وقالت يامنة:

أدخل أقعد مع مرتك شوية ولما الأكل يخلص حاخلي جاز تطلعلكم نصيبكم فوق.. أنا ما عاوزاش آكل.

وكعادتها في كل مرة يأتي فيها سليم ويدخل غرفتها أسرعت لبنى تحضر له «بلغته» النظيفة لتجلس تحت ركبتيه وتخلع حذاءه.. لم يعد سليم يعترض على ذلك كما كان يفعل.. لبنى لا يسعدها شيء سوى أن تخلع حذاءه وجوربيه، ربما لأنها تظن أن أمينة لا تفعل ذلك.. لبنى فقط هي التي تفعل له هذا..

ومدت أصابعها السمراء تتحسس قدميه في حنان ثم رفعت وجهها تنظر إليه وقالت:

حمدا لله على السلامة يا سليم.. وحشتني..

أرخى سليم عينيه ليقول في شيء من الاعتذار:

أنت كمان يا لبنى.. عاملة إيه؟!

ضمّت ساقيه بذراعيها ووضعت رأسها على ركبتيه وقالت في لهفة:

أنا حامل.. حامل يا سليم..

سكتت كأنها لا تصدق أنها قالتها.. لقد قررت أن تخبره بحملها وهما على فراشهما.. قررت أن تخبره بحملها ورأسها على صدره. لكنها لم تستطع الانتظار. رفعت رأسها تبحث عن فرحة عينيه، فرأتهما مفتوحتين في ذهول.. لا شيء فيهما سوى فراغ يبدو حزيناً كأن سليم تائه لا يعلم بماذا يشعر.. وانقبض قلبها في لحظة كأن ريحاً باردة أطفأت تأجج النبأ الذي أسعدها وأشعل عروقها بالفرح.. وأرخت رأسها لتسقط من عينيها دمعة.. سليم ليس سعيداً.. سليم لا يريدها أن تحمل في أحشائها منه شيئاً.. ووضعت جوربيه في قلب حذائه لتقف وهي ما زالت تبكي واتّجهت نحو باب الغرفة لتفتحه بعد أن وضعت حذاء سليم إلى جواره. وقبل أن تخرج جاءها صوته المتقطع:

لبنى؟! رايحة فين؟!

وقفت مكانها ولا تزال ممسكة بالباب ودمعها يتساقط على وجنتيها وقالت:

عاوزة أبعد عنك.. أنا حملتك هم جديد على همك الكبير.. عاوزة أمشي من وشك يا سليم.

ونظر إليها في دهشة كأنه لا يفهم ما تعنيه.. وقالت وقد بدأ صوتها يتلون بالبكاء:

جوازتك مني هي همّك الكبير يا سليم وكمان أزودك عليه بخبر حملي.. مش كده يا سليم.. مش كده؟!

وأجهشت في بكاء حاد ينزف ألماً وخجلاً.. كيف ظنّت أنها ستسعده.. كيف نسيت أنه لا يحبها؟! كيف حلمت بابتسامة وضحكة وعناق؟! هذه كلّها ملك لأمينة وحدها.. كيف نسيت أنها لبنى؟! كيف نسيت أنها لم تكن أمينة يوماً ولن تكون؟

نهض سليم عن مقعده واتّجه نحوها وأخذها بين ذراعيه وضمها إلى صدره في حنان وإشفاق.. لِمَ يقسو عليها دون أن يعلم أنه يفعل؟ لِمَ لا يعلم ويتعلم كيف يكون أكثر رحمة بها؟! إنه لا يكرهها أبداً.. إنه يعلم أنه يظلمها كثيراً.. ربما لهذا يهرب منها.. نحن نهرب دوماً من خطايانا وذنوبنا.. لكنها ليست خطيئة ولا ذنب.. إنها رقيقة.. إنها تحبه.. خطيئة سليم أنه لا يعلم كيف يخبرها أنه يحبها.. إنه حقاً يتمنى لو يسعدها.. ولكن هذا هو اللاحب بعينه.. أنت عندما تعشق تعلم كيف تقول وتعلم كيف تصرخ وتغني وترقص.. أنت عندما تحب لا تفكر في كلمة كيف..

عندما تحب، كل سكناتك هي كيف.. كل أنفاسك هي طريق.. كل حروفك صلوات.. كل صوتك غناء.. كل روحك كلمات..

أنت في العشق موجود لأنك تحب ولكي يصل حبك دون قيود أو تفكير إلى من تحب.

في اللاعشق نفكر.. في اللاعشق نخطط ونحاول أن نتذكر..

وعاد يهدهدها ويضمّها أكثر فأكثر وهو يقول:

آسف.. آسف يا لبنى.. يا حبيبتي ما تفهميش غلط ألف مبروك.. ألف مبروك يا لبنى..

* * *

لم تكن هالة طلبة يوماً بهذا الجنون.. لم تكن يوماً بهذا التهور.. ما الذي حدث؟ ما الذي أصابها في هذا العمر؟ إنها في الخامسة والخمسين من عمرها.. كيف تتصرف كما كانت تفعل وهي في العشرين؟

صبغت شعرها.. لم يعد فيه شعرة بيضاء واحدة.. اشترت أثواباً ملونة جديدة وزهوراً بيضاء وضعتها في غرفتها.. وها هي تقف لتطهو طعام العشاء الذي دعت إليه عزت عبد الرحيم..

إنها تقاوم.. تقاوم في جنون لكن جنونها أكبر من جنون مقاومتها..

تقاوم وهي تغتسل.. تقاوم وهي تتعطر.. تقاوم وهي ترتدي ثيابها وتخرج إلى لقائه.

كم مرة خرجت إلى لقائه منذ عودتها إلى الإسكندرية ودخوله بيتها في الصباح التالي لوصولها إليه.. أكثر من عشر مرات..

أخذها إلى المنتزه.. أخذها إلى السينما والمعمورة.. دعاها إلى العشاء في فندق فلسطين وشيراتون.. وفي كل مرة تعاود القَسم أنها ستحادثه في الصباح التالي وتخبره أنها لن تلقاه

مرة أخرى ولكنها تصحو على مكالمته اليومية وهو يهمس في أذنها قائلاً:

«صباح الخير»..

أيّ خير تفعله سيدة في الخامسة والخمسين مع رجل كان يوماً حبيبها؟ أي خير تفعله وقد أوشكت أن يصبح لها حفيد؟

وفي هدوء مدت يدها إلى فرن مطبخها لتغلقه.. مشت إلى غرفتها وفي مرورها بصالة البيت رمقت بطرف عينيها الساعة.. لقد تجاوزت السابعة.. عزت سيأتي في الثامنة. لقد أخبرها أنه يتمنى أن يتناول معها العشاء.. أخبرها أن حلم عمره أن يطهو لها.. لكنها هي التي دعته.. هي التي تريد أن تطهو له.. ماذا اصابها؟! هل هذه هي المراهقة المتأخرة التي يتحدثون عنها..

ومن خلف آهة كبيرة خرجت من صدرها أغلقت هالة باب غرفتها لتنظر إلى فراشها.. أعدت جلباباً من الحرير الأخضر عليه فروع زهرات وردية تقف على صدر الجلباب..

وعادت تنظر إلى فراشها.. إنها لم تدعُ عزت ولم تعدّ له الطعام ولا الجلباب الحريري الجميل فقط ولا حتى لونت شعرها.. هي أيضاً تشتهيه!!

رغم أعوامها الخمسة والخمسين تشتهي عزت عبد الرحيم وتتمنى لو يشاركها في وسادتها..

شعرت بجسدها ينتفض خجلاً ومضت في هدوء إلى حمام بيتها وهي تحمل منشفة بيضاء جديدة كي تستحم قبل حضوره..

تحت الماء وهي تتحسس جسدها وتدعكه.. سقطت منها

دمعة صغيرة.. عمر الأجساد لا يقاس بالأعوام التي عاشتها.. عمر الأجساد يقاس بنبضها.. بحرارتها.. بشوقها.

هالة طلبة جسدها دافئ ينبض شوقاً واحتياجاً وحباً لرجل ما أختارت أن تلقاه وما أختارت أن تهواه ولا اختارت أن يعود إليها وهي في الخامسة والخمسين.

لماذا تعذب نفسها ما دام عزت لم يصبح زوجاً بعد؟ إنه مثلها أرمل وحيد.. ما الخطأ إذن في أن تلتقيه أو... أو تتزوجه؟

وعاد جسدها ينتفض من جديد وهي تضعه في منشفتها البيضاء الكبيرة..

هالة تتزوج؟!

ماذا تقول لابنها الشاب.. بماذا تعلل لابنتها وزوجها سيظنها الجميع جنت؟!

هل أصابها الجنون حقاً؟!

ووقفت أمام مرآتها وسقطت منشفتها عن جسدها الأسمر..

ما زال جسدها دافئاً ينبض.. ما ذنبها هي في كل هذا؟

وأطلقت شعرها الأحمر ليقف على كتفيها ثم ارتدت جلبابها الزاهي وبأصابعها المرتعشة وضعت قطرات من قارورة عطرها البسيط على عنقها الجميل..

كفاها لوم وتعذيب لنفسها.. إنها المرة الأولى التي يأتي فيها عزت إلى البيت بعد ذاك اليوم.. إنها المرة الأولى التي يرى فيها شعرها دون شعيرات بيضاء كالتي رآها سابقاً.. في كل مرة خرجت هالة فيها معه كانت ترتدي حجابها..

ورفعت عينيها تنظر إلى المرآة في دهشة.. ستخلع حجابها أمامه؟!

عزت ليس غريباً.. عزت يعرف كل قطعة فيها منذ أعوام.. وابتسمت في مرارة ساخرة..

هل تغطي رأسها وهي التي دعته إلى بيتها؟!

هل تغطي رأسها وهي تحلم به على وسادتها وبين ذراعيها؟!

هالة ليست نعامة حمقاء.. هالة ستستمتع بوجوده. إنه العشاء الأول له معها وحدهما..

وفي سذاجة الأطفال هزت رأسها.. ليس العشاء الأول فحسب ولكنه أيضاً العشاء الأخير..

بعد أن ينتهيا من العشاء ستخبره أن يبتعد عنها.. ستتوسّل إليه أن يساعدها..

لم يبق في العمر الكثير.. فليبتعد ويتركها ما بقي من أعوام عمرها في سلام واحترام..

لن تهز صورتها أمام ولدَيها.. لن تمنحهما الفرصة لأن يظنّا أنها فقدت عقلها..

عشاؤها الليلة مع عزت هو الأول والأخير.. حتى إن لم يفهم عزت.. حتى إن لم يقتنع.. هالة تقسم أنها ستغلق البيت وتعود من حيث أتت.. هالة لديها بيت آخر تهرب إليه. لن تهرب ربع قرن هذه المرة.. ما بقي من العمر ليس طويلاً..

فلتهدأ ولتستمتع به مرة واحدة فقط..

انتفض قلبها وهي تسمع جرس الباب يناديها.. جاء عزت.. جاء عزت عبد الرحيم إلى العشاء الأخير..

كان يرتدي قميصاً من اللون «البيستاج» وبنطلوناً كحلياً.. رائحة عطره كانت رائعة.. إنه يعلم كيف ينتقي كل شيء.. ربما هي كانت وحدها أبشع ما انتقاه.

وابتسمت هالة وهي تراه يخرج بيده من خلف ظهره باقة كبيرة من زهرات التوليب الحمراء ليمنحها لها وهو يدخل وينحني قائلاً في ابتسامته الرائعة:

وحشتيني!!

لا يسعها إلا أن تبتسم. ومن لا يبتسم في وجه الزهر والحب؟

وأغلقت خلفه الباب وهي تقول:

ورد يا عزت؟! ورد!

ومد عزت يده إلى جيبه ليخرج بلفافة صغيرة أنيقة من اللون الأحمر وقال:

مش بس ورد؟! وبرفان يا روح عزت وعمره..

وابتسمت هالة في خجل كأنها عذراء صغيرة ناداها حبيبها وهي في شرفة غرفتها ومدت يدها تلتقط قارورة العطر وتسمع صوته يقول من جديد:

أمينة بنتي بتحب البرفان دا قوي يا هالة.. كل ما كانت تخرج مع خطيبها تحطه وكنت أتمنى أشمّه عليك.. يا رب يعجبك.. أنا حاحط الورد في فازة.. افتحيه يا هالة عشان خاطري وقوليلي رأيك.

واختفى عزت بزهراته بعد أن حمل فازة كبيرة كانت على إحدى طاولات الصالة..

ووقفت هالة تتبعه بعينيها.. إنه يتحرك ببساطة كأنه في بيته.. هي أيضاً تشعر أن البيت بيته.. عزت هو رجل البيت الذي عاد.. لكنه عاد متأخراً.. عاد ليرحل.. عاد لترحل هي إن أصر هو على البقاء..

وتنهدت في حزن وهي تتحسس بأصابعها قارورة العطر ورأته يعود ليضع الفازة المحملة بالزنابق الحمراء على طاولة الطعام الصغيرة قائلاً:

أنت لسة واقفة؟! افتحيها يا هالة..

وفتحتها هالة لتخرج يدها بزجاجة رقيقة جميلة لها غطاء تعلوه كرة زجاجية تلتفّ على عنقها خيوط مذهبة دائرية.. ونزعت الكرة وخيوطها الذهبية لتضع زخات حول عنقها.. لم تفكر في أن تشمّها لتعرف رائحتها.. لا يهمّها.. يكفي أن عزت يحبها.. يكفي أن عزت أحضرها لتغتسل هي بها.. فلترضِه.. فلتفعل هذه الليلة كل ما يسعده.. يكفيها أنها بعد العشاء ستغمد سكين قرارها في صدره وصدرها.. وتسللت الرائحة إلى أنفها وأغمضت عينيها في نشوة كبيرة لتقول:

الله يا عزت.. حلوة قوي.. اسمها إيه؟!

وفي حنان بالغ أجاب:

جادور يا هالة.. جادور.

اقترب منها عزت في حنان ليأخذ قاروة العطر من يدها ثم يضعها على أحد المقاعد وعاد يقول هامساً:

عارفة بحبها ليه.. مش بس عشان ريحتها حلوة يا هالة..
لأ.. عشان اسمها.. جادور.. بعبدك.. أكثر من الحب يا هالة.. أكثر من الحب.. شعور في روحانية في توحيد.. عايزة أقولها لك يا هالة.. أنت وحدك.

سقطت دمعة صغيرة على خدّ هالة. وشعرت به يأخذها بين ذراعيه واستسلمت في انكسار.. في احتياج كبير.. وهدأت على صدره.. آه لو يعلم عزت عبد الرحيم أن رجلاً بعده لم يأخذها على صدره.. آه لو يعلم عزت عبد الرحيم أنها بعد رحيلها من هنا ورغم زواجها وانجابها لم تضمّها سوى ذراعيه.. وبكت هالة.. بكت في رقة وضعف لا حدود لهما.. وضمها عزت في حنان.. مع هالة طلبة يشعر أنه رجل.. مع هالة يتنفس الأنوثة..

ضعف المرأة أنوثتها.. بين ذراعَي مديحة كان يشعر أنه قطّ صغير يلعق صحن الحليب خوفاً لا جوعاً أو حباً..
آن له أن يهدأ.. آن له أن يشعر أنه رجل وليس قطّاً صغيراً..

ورفع كفّه يمسح بها على شعرها الناعم.. ما زال في جعبته هدايا كثيرة.. ما زال يخبئ لها هدية كبيرة سيفتحها بعد العشاء ودسّ شفتيه يقبّل رأسها وشعرها قبلات كثيرة صغيرة ثم قال وهو يحاول أن يبدو صوته مرحاً:
عملت أكل ولا أدخل أنا أطبخ.. أنا جعان يا هالة؟!
ومن بين دمعها ابتسمت وابتعدت عنه قائلة:
ياه يا عزت.. الأكل حيبرد..

ومضت نحو المطبخ وهو يتبعها ليسمعها تقول في خجل:
عزت.. أنا ما أعرفش أعمل حاجات زي اللي ممكن تكون بتحب تاكلها.. بس أنا عملت حاجة أنت زمان كنت بتحبها من ايديا..
وقبل أن تنحني لتفتح باب الفرن الصغير أمسك بها عزت بين ذراعيه لينظر في عينيها قائلاً من خلف دمعة:
عملت رقاق يا هالة.. مش كده؟!
وبلا وعي ألقت برأسها على كتفيه لتقول:
أيوه كده يا عزت.. أيوة كده.. لسه فاكر؟!

* * *

وحده عزت رفع أواني المائدة.. وحده عزت أعد أكواب الشاي ليعود بها إلى الصالة منتظراً خروجها من المطبخ ليشرباه معاً.

في طريق عودتها إليه سمعت رنين هاتفها الصغير. ركضت إلى غرفتها. كيف نسيت أن تغلق هاتفها؟! قلّما تتركه مفتوحاً لدى خروجها مع عزت.. لن تجيب أبداً على ابنتها الآن.. لا تستطيع أن تفعل وعزت معها.. هالة تشعر أن ابنها أو ابنتها سيسمعان صوت عزت.. سيريان وجهه على شاشة هاتفها الصغير. تشعر أنهما حتى إن لم يرياه أو يسمعاه فسيريان في صوتها صيحة عشق وفي كلماتها ترنيمة غرام.. لن ترد أبداً وهو قربها..

وانتظرت حتى سكت رنين الهاتف وأغلقته في هدوء.. عندما يذهب عزت ستحادث ابنتها التي طلبتها.. ستخبرها أنها كانت نائمة.

وكسا الحزن وجهها.. ترى كيف ستبدو هالة عندما يخرج عزت.. كيف ستكون عندما يعلم قرارها؟!

أطلقت من صدرها نفساً عميقاً.. يجب أن تخبره. يجب أن

تتوسّل إليه.. وذهبت إليه لتجده على أريكة الصالة يربت بكفه لتجلس إلى جواره.. ففعلت. مدّ ذراعه حول كتفيها وبلا وعي وجدت رأسها ملقى على كتفه وأغمضت عينيها كأنها تفكر أي كلمات تنتقيها لتعلن بها قرار الإعدام الذي أصدرته عليه وعليها. وقبل أن تجد الكلمة المناسبة فتحت عينيها في ذعر وهي تسمع عزت يقول:

نتجوز أمتى يا هالة؟!

نظر إليها في لوعة وهو يراها تنتفض بعيداً عن ذراعه وأكمل:

إيه يا حبيبتي؟!

شعرت هالة في تلك اللحظة أن جسدها يرتجف كأن ثلوجاً غزيرة سقطت عليه وقالت بصوتها المتهدج:

عزت.. أنا مش حاتجوز.. أنا حارجع البلد.. حارجع أعيش هناك.. مش ممكن نتجوز.. إحنا.. إحنا..

وابتلعت انفاسها الضائعة لتقول في ألم كبير:

إحنا يا عزت مش حنشوف بعض تاني.. دي آخر مرة تشوفني وأشوفك فيها.

واعتدل عزت في طريقة جلوسه وقال:

أنا عارف إني مرة وعدتك ورحت مارجعتش.. لكن والله يا هالة أنا رجعت..

وقاطعته في ألم كأنها تنهار:

الزمن ما بيرجعش.. العمر ما بيرجعش.. في حاجات

خلاص ما تنفعش يا عزت.. أنت عارف أنا عندي كام سنة.. خمسة وخمسين.. عارف؟!

وأمسك عزت بيدها ليجدها تنتفض. لكن هالة سحبت يدها لتكمل في جنون كأنها تصيح في وجه مرآتها قائلة:

عارف.. عارف أنا حطيت قزازة صبغة بحالها في شعري.. لأ ولسه.. لسه في شعر أبيض جوا.. بص أوريك؟! عارف أنا بقيت عجوزة.. رجلي بتوجعني.. ما بقتش حتى أقدر أمشي كتير.. عارف إيه كمان؟! أنا بنام على روحي وأنا باتفرج على التلفزيون. أنا خلاص بقيت عجوزة.. لكن مش حاسيب نفسي.. عجوزة آه مش بأيدي.. لكن عجوزة مجنونة.. لأ.. إيه؟! هو مافيش مرايا؟ مافيش مرايا ولا إيه؟!

كانت هالة تصرخ كأنها تصفع قلبها بكف حقائق ظنت أنها تهرب منها.. كانت تصرخ كأنها تستغيث بعزت لتوقظ عقله النائم. وعادت تصرخ:

أنا بنتي حامل وابني لو كان فلح واشتغل بدري كان زمانه عنده عيل ولا اتنين.. أنا في البلد بيقولولي يا حاجة.. بيقولولي يا أم عزت.. لما حد بيدعيلي بيقولي ربنا يحسن ختامتك..

أنا مش مجنونة.. مش عيلة..

ونظرت هالة حولها في جنون لتتطاير دمعاتها حول وجهها الأسمر الجميل وتصيح:

ورد وبرفان.. واشتري هدوم ملونة وأصبغ شعري والنهارده قعدت أسمع أغاني فايزة ونجاة.. يا خبر أسود.. لأ.. أنا اتجننت.. اتجننت يا عزت.. فوق يا عزت وفوقني.. الحاجات

دي مش بتاعتنا ولا بتاعة سننا يا عزت.. إحنا خلاص.. خلاص.. اللي راح ما بيرجعش واللي اتكسر ما يتصلحش.. العمر راح.. راح يا عزت!!

ونهضت هالة عن مقعدها كأن ناراً اندلعت في جسدها.. نهضت كأنها هي تلك القطة التي أشعل طفل أحمق حريقاً في ذيلها الصغير وركضت في جنون إلى ذاك المقعد الذي ألقى عزت عليه بقارورة العطر لتمسكها بين أصابعها وتعود مرة أخرى إلى طاولة الطعام تجمع الزهر بين كفيها. وقد رجعت إليه لتجده يترك مقعده ليقف أمامها وقد ألقت بالزهر إليه وقالت:

خد الورد وخد القزازة بتاعتك وامشي.. امشي يا عزت.. قتلتني مرة زمان لكن مش حاسيبك تضّحك أولادي والناس عليا.. امشي يا عزت أرجوك.. أنا خلاص ما فضليش حاجة.. أنت عجوز يا عزت وأنا عجوزة.. فاهم؟! عواجيز.. ما فضلناش حاجة.. غير الموت!

وانحنى عزت في هدوء يجمع بعض زهراته الحمراء التي وقعت أرضاً ليضعها ويضع قارورة العطر إلى المائدة. واستدار فوجد هالة تلقي بجسدها المرتعش على أحد المقاعد حيث أجهشت في بكاء حاد. اقترب عزت منها، جثا كما فعل أول مرة جاء فيها وأخذ ينظر إليها في حنان وهي تبكي ثم قال:

عندك حق.. عندك حق يا هالة.. إحنا كبرنا.. عجّزنا؟! ممكن.

أرخى رأسه وهو يربت على فخذيها ثم عاد يكمل:

لأ فعلاً.. عجزنا.. بس عارفة؟ حتى لو اللي فضلنا أيام..

ليه ما ألاقيش اللي يمسك إيدي وأنا بموت.. ليه ما ألاقيش إللي يقعد جنبي ويقفلي عيني يا هالة.. لو الموت هو بس اللي فضلنا ليه ما يجيش يلاقي إيدي في إيدك بتقويني وأقويك عليه.. خلي الموت يا هالة لما يجي ياخد حد عجوز يلاقي حواليه حب كتير يا هالة؟! كتير عليا ولا كتير عليك؟!

نظرت إليه في ذهول كأنها لم تفكر يوماً في ما قال. وبعد لحظات قالت في مرارة وقد بدأ صوتها يهدأ:

الحب مش بتاعنا.. الحب لبنتك وجوزها.. لبنتي وجوزها.. للعيال الصغيرة.. الحب للشباب يا عزت..

ضمها عزت وهو ما زال على الأرض وقال في ألم كبير:

تصدقي يا هالة؟! الحب ما ينفعش غير للعواجيز.. الشباب عندهم أحلامهم اللي يعيشوها.. عندهم مستقبلهم اللي يبنوه.. الشباب عندهم رياضة وأغاني وأفلام وأصحاب ونوادي.. عندهم الحياة كلها لكن العواجيز اللي زيّنا مالهمش غير الحب.. ما يقدروش على حاجة غيره.. بيبقوا عرفوا الحقيقة.. عرفوا إن العمر بيضيع وإن الإحلام مابتتحققش وإن الفلوس وهم والشهرة والنجاح مالهومش لزمة.. ما يفضلهمش غير الحب يا هالة.. العواجيز سنانهم بتقع حتى اللقمة ما بيقدروش يمضغوها.. وكل حاجة في بقهم ما بيقلهاش طعم وكل اللي يعوزوه ويتمنوه هو الحب.. يا هالة.. بنتك فين؟! في حضن جوزها.. ابنك فين؟ بيشتغل وبيحلم بكل حاجة وبأي حاجة إلا أنت.. بيبني مستقبله علشان يجي يعمل اللي الشباب بتعمله.. أولاد وبيت وفلوس.. بتيجي كام مرة على بال بنتك؟! ابنك بيحوش كام عشانك إنتِ؟

بتمثلي مساحة قد إيه من أحلامه وتخطيطاته؟! طب أنا؟ أنا يا هالة كام مرة أمينة بتكلمني وتسأل عليا؟!

يا هالة.. العواجيز مالهمش إلا الحب.. ليه تسيبيني أموت لوحدي؟! يا هالة امبارح راح وبكرة مانعرفوش.. العواجيز ليهم النهارده بس يا هالة.. خلينا نعيش.. بدال ما ييجي يوم تشحتي بنتك تزورك أو أنا أقول يا أمينة الحقيني وديني للدكتور.. خلينا نشيل هم بعض ونشيل عنهم همنا..

وتابع:

هالة إحنا ما عشناش.. كل حاجة خدها الزمن مننا.. شبابنا.. صحتنا.. جمالنا.. الحاجة الوحيدة اللي ماقدرش عليها هي الحب.. ليه نضيعه؟ ليه ما يخدش حقه الكام يوم ولا الكام شهر اللي فاضلين.. أنا بحبك.. بحبك يا هالة.

كانت هالة تسمع وهي تتخيل أنها تموت وحدها في شقة الإسكندرية.. ابنها مسافر وابنتها مشغولة ببيتها وابنائها.. وأخذت تتخيل أن تموت وعزت إلى جوارها ممسكاً بكفها بين أصابعه..

كانت هالة تتخيل ولديها يتعجلان دفنها ليعود كل منهما إلى حياته ومسؤولياته. وتخيّلت عزت يذهب إلى قبرها ليزورها.. تخيلت عزت وهو يذكرها كل صباح ويترحّم عليها كل مساء..

حتى الموت بين ذراعي الحب له مذاق أجمل.

ورفعت عينيها تنظر إليه من خلف دموعها.

عزت على حق.. المسنّون لا يبقى لهم سوى الحب.. هالة طلبة تريد أن يموت عزت عبد الرحيم بين ذراعيها.. أو

تموت هي بين يديه.. وألقت بنفسها على ذراعيه كأنها تنهار بين يديه ليجلسا معاً تحت قدمي المقعد وقالت:

عزت.. أنا بحبك..

وأغمض عزت عينيه ليقول:

أنا كلمت أمينة امبارح وقولتلها إني لقيتك.. قولتلها إني حاتجوزك وعزمتها على الغدا بكرة في بيتي.. في بيتك يا هالة وهي جاية..

وانتفضت هالة بين ذراعيه وسألت:

أمينة عرفت إني أنا؟! هي أمينة عارفة أنا مين؟!

ابتسم عزت وقال وهو يضمها ودمعة تسقط من عينيه:

مافيش حد يعرف عزت ما يعرفش هالة.. وعزت عمره ما قال إنه يتجوز ست غيرك.. أمينة عارفة من زمان وجاية بكرة يا هالة.. حتتغدي كلنا في بيتك اللي في سيدي بشر..

وأغمضت هالة عينيها وهي بين ذراعيه، في صمت رهيب..

أمينة.. أمينة ابنة مديحة تأتي من القاهرة لتلقاها وتبارك حبها وزواجها من عزت!

لا تصدق.. لكنها تشعر أنها سعيدة!!

* * *

ضمّت أمينة شهد ثم أخذتها صاري وأغلقت باب غرفة أمينة التي قالت وهي تنظر إلى سليم الذي يرقبها في حنان:

سليم.. أنا حاخد التوربيني بتاع الساعة ١٠ حاوصل إسكندرية على الساعة ١٢ وحارجع إن شاء الله في توربيني سبعة بالليل.

واقترب منها سليم وضمّها ثم قال:

أنت مش مبسوطة يا أمينة..

وأطلقت أمينة آهة كبيرة من صدرها وردّت:

لأ يا سليم.. مش مبسوطة.. مش قادرة أتخيل إني حاشوف الست اللي كسرت قلب أمي الله يرحمها.. الست اللي كانت حتسرق منها أبويا.. الست اللي فعلاً سرقته مننا كلنا.. بابا طول السنين دي ما كانش معانا. كان معاها يا سليم..

وأبعدها سليم عن صدره لحظة ونظر في عينيها الدامعتين ثم قال:

حبيبتي.. دا حقه..

وانتفضت أمينة معلّقةً:

لأ مش حقه يا سليم.. مش حقه أبداً.. عذب أمي بيها وهي عايشة وبيعذبني أنا بيها دلوقتي بعد ما أمي ماتت.. أنا أحط إيدي في إيد الست اللي شوهت العلاقة بينهم حتى وهي بعيدة.. أمال حتعمل إيه بعد ما رجعت؟! حتخلي بابا يلعن أمي ويفرح أنها ماتت ولا حتخليه يطلعلها لسانه ويقولها شفتِ يا مديحة أنت متِ وأنا حاعيش معاها..

وبعد تردد قصير وبصوت متهدج تابعت أمينة:

أنا بس مش عاوزة أزعله.. ومش عاوزة أخسره يا سليم دا لما كلمني ما كانش بياخد رأيي.. كان صوته بيزغرد.. كل اللي قاله.. أمينة أنا حاتجوز وعايزك تيجي تقابلي هالة وتشوفيها.. تخيل؟ بالبساطة دي؟! هالة تاني.. هالة.. كابوس يا سليم.. كابوس..

ما زال غضبها يؤلمه.. ما زال حزنها يقتله.. حتى وإن كان سليم لا يرى أنها على حق، فقد كره هالة لكره أمينة لها.. وعاد يضمها في حنان وهو يقول:

سيبيه يعيش يا أمينة.. سيبيه يتجوزها.. يمكن لما يتجوزها ويعاشرها يعرف أنه غلط في حق طنط مديحة وفي حقك.. يمكن يعرف أنه كان عايش في وهم وإن مامتك هي الحقيقة.. هي الحب.. يا أمينة.. صدقيني.

ورفعت أمينة حاجبها كأنها لم تفكر في ما قاله سليم وابتسمت ثم أجابت:

عندك حق.. تصدق؟! فعلاً عندك حق.. أنا متأكدة أنها

ست أي كلام.. من حواري المنشية.. بابا حيعرف الفرق بينها وبين مديحة لما يعاشرها.. ساعتها ممكن يبكي على أمي زي ما بكّاها وبكاني عليها.

وقفت أمينة أمام دولاب ملابسها تنتقي ما ترتديه. يجب أن تكون أنيقة.. يجب أن ترى تلك الهالة من هي أمينة ومن كانت أمها. وأخرجت قميصاً من القطن الوردي من رالف لورين مع بنطلون جينز في لون موج بحر إسكندرية، وعلى إحدى ساقيه فراشة صغيرة لها نفس لون القميص.. ووقفت تخلع قميص نومها الحريري وقبل أن ترتدي ما أعدت، اقترب منها سليم ليحتضنها من خلف ظهرها في حب كبير. وألقت أمينة برأسها على كتفيه ثم استدارت ليضمها من جديد وهو يقول:

حتوحشيني يا أمينة.. حتوحشيني قوي..

وضغطت أمينة نفسها إلى صدره في أكبر قوة استطاعتها.. من صدر سليم عبد المجيد تستمد قوتها.. من رائحة جلده تعطّر أنفاسها.. رفعت عينيها ونظرت إلى عينيه الجميلتين في حب ولهفة وقالت:

مش أنا أهو في حضنك لكن واحشني يا سليم واحشني..

وقبّل شفتيها قبلة طويلة فارتمت أمينة على فراشهما.. كانت تعلم أن سليم في طريقه إلى سوهاج وعليها هي أن تستعد للحاق بالقطار. لكنها تريده.. تريد أن يسكب سليم في روحها وجسدها حباً، حباً قد يجعلها تصفح عنها أو قوة تقتلها بها أمينة في هدوء وذكاء.

لا شيء على الأرض يجعل من أمينة قديسة تغفر الخطايا إلا حب سليم عبد المجيد.. لا شيء على الأرض يجعل من أمينة الرقيقة فارساً أو مارداً، تشعل حروباً وتطيح شعوباً وتسجل أهدافاً وانتصارات إلاّ حب سليم عبد المجيد وجسده!

* * *

انتفضت هالة فيما عزت يضمّها من خلف ظهرها صائحاً في مطبخ بيتها:

خلاص يا قمر.. الأكل كله جاهز.. أنا حانزل أجيب أمينة من المحطة على انتي ما تغيري هدومك..

واستدارت هالة تنظر إليه في حب ورجاء وهي تقول:

عزت.. مش عارفة ليه خايفة..

وضمّها عزت إلى صدره في قوة وهو يقول:

الخوف خلاص انتهى.. عارفة الخوف دا عمل إيه؟! الخوف رعب الحزن والدمع والوجع اللي في حياتنا وهربوا برا أيامنا يا هالة..

ورفع وجهها لينظر إلى عينيها ثم انحنى يطبع قبلة على جبهتها وقال:

سبتك تخافي كتير.. خايفة تيجي البيت عندي عشان ماحدش يتكلم عليك.. خايفة تروحي معايا المحطة نجيب أمينة أحسن تفهم غلط.. أدينا عزمنا أمينة هنا في بيتك.. لكن خلاص انت وأنا خارج الخوف وحياخد كل الحاجات اللي خوفتنا سنين عمرنا ويمشي يا هالة..

تبعته هالة إلى خارج المطبخ وقال وهو يخطو إلى الباب:

أمينة حاترجع النهاردة بيتها بالليل.. بكرة حنسافر البلد عندك نقابل بنتك وجوزها..

واستدار فجأة وسأل:

هي بلدهم فين؟!

وقالت هالة في صوت خفيض:

سوهاج يا عزت.

ابتسم وهو يقول كأنه يعتذر:

أنا عمري ما سألتك عن البلد ولا عن بنتك.. بس عارفة إحنا عشنا سنين ما بنتكلمش غير عن ولادنا ومانفكرش غير فيهم.. كفاية كدا.. مش حنتكلم عنهم أبداً.. لما يحتاجونا حيلاقونا بحبنا وقوتنا معاهم.. لكن غير كدا الدنيا دي كلها ما فيهاش غير عزت وهالة..

وابتسم من جديد وهو يحتضنها قائلاً:

عزت أنا مش عزت ابنك..

وضمّته هالة إليها في خجل.. لماذا تشعر أنها شابة صغيرة وأن أمينة هي تلك الحماة التي ستأتي لمعاينتها.. وعادت تفيق على صوت عزت وهو يفتح باب البيت صائحاً:

لا إله إلا الله.

وتمتمت هالة:

محمد رسول الله.

وأغلق عزت الباب. جلست هالة على أحد مقاعد الصالة وهي تلتفت حولها.. كل شيء في البيت نظيف.. ربما كان

الأثاث قديماً ومتواضعاً، إلا أن كل شيء مرتب. وعاد جسدها ينتفض وهي تقف لتدخل غرفتها ونظرت إلى الثوب الذي اختارته للقاء أمينة. اختارت جلباباً من القطن الأسود المطرز بالرسوم البدوية البنية.. إنه جميل فيه وقار.. يجب ألاّ تشعر أمينة أن هالة سيدة ماجنة متصابية. ولكن ألا يكفي أنها امرأة تفكر في الزواج وهي في هذا العمر، لتكون ماجنة متصابية؟

وارتدت جلبابها ووقفت تمشط شعرها الأحمر الذي يقف على كتفيها ونظرت إلى مرآتها.. هل ستستطيع هالة حقاً أن تصطحب عزت وتسافر إلى سوهاج؟! ماذا ستقول لابنتها؟! أحضرت معها «عريسها». لا تجرؤ على هذا أبداً.. إن كانت حقاً ستتزوج عزت فهالة ستذهب وحدها لتعلن الخبر أو ربما حادثت ابنها عزت لترى ما سيقوله قبل أن تقلب سوهاج ومن فيها على رأسها..

إن كان عزت مجنوناً فهو رجل. لكن هالة امرأة وأمّ لشاب وشابة من صعيد مصر..

وأمسكت بقارورة العطر التي أهداها إليها عزت..

«جادور».. وتنهدت.. جادور معناها الحب حتى العبادة..

هكذا أخبرها عزت وهكذا تشعر هي..

نزعت هالة غطاء القارورة لكنها لم تستطع أن تضع قطراتها على ثوبها أو جسدها.. أخبرها عزت أن أمينة تحب هذه الرائحة.. ستعرفها أمينة وستعلم أن عزت هو الذي أهداها إليها.. أو ربما ظنّت أنها تستغل عزت وتستغل نقوده.. من السهل جداً أن تكتشف أمينة فقر هالة.. بيتها.. أثاثه.. حتى

ثيابها.. هالة لا تعلم كيف ترتدي تايير أو جوب أو حتى بنطلوناً..

امرأة مثلها في بيت كهذا أنّى لها أن تعرف عطراً كهذا..

وأعادت القارورة إلى العلبة وقبل أن تضعها على سطح تسريحة غرفتها القديمة أمسكت بها لتفتح أحد الأدراج وتخبئها فيه..

من يعلم؟ فقد تدخل أمينة غرفتها لأي سبب كان.. لا تريد أن ترى أمينة الزجاجة أبداً..

وأمسكت هالة بقارورة عطرها الوحيدة.. إنها حتى لا تعرف اسمها.. بل حتى لا تستطيع قراءة اسمها.. إنها رائحة اشترتها من «زنقة الستات» لمجرد أن سعرها رخيص ورائحتها هادئة..

وراحت تنظر إلى المرآة وهي تفكر:

ترى بكم يبيعون عطر الجادور؟

* * *

كل شيء في وجه عزت عبد الرحيم يضحك. كل قطعة في جسده ترقص.. أمينة لا تصدق حقاً أنه أبوها.. لا تصدق أنه أصغر من كل أعوام عمره الماضية.. أصغر حتى من صورته في رأسها عندما كانت طفلة صغيرة تلهو مع خالها وزوجته..

ضمّته أمينة على رصيف محطة القطار في ذهول وهو يتمايل بها كأنه يراقصها ثم قال ضاحكاً:

ما جبتيش البنات معاكي ليه يا أمينة؟! ولا سليم حتى؟

وابتسمت أمينة وهي تخطو إلى جواره قائلة:

البنات مع صاري وخالي.. وسليم زمانه عالطريق رايح سوهاج يومين عند حماتي..

ووضع عزت ذراعه حول كتفيها ليخطو بها خارج محطة «سيدي جابر». وما إن دخلت أمينة سيارته حتى رأت صندوقاً كبيراً مغلفاً بورق مذهب أنيق على المقعد المجاور لمقعد القيادة.. وابتسم عزت وهو ينقله إلى المقعد الخلفي لتجلس أمينة إلى جواره. وقال:

اشتريتلك حاجة تاخديها لهالة للبيت.. مش برضه يصح؟! عشان دي أول مرة تدخلي بيتها؟!

وردّت مبتسمةً:

آه.. أنا نسيت أجيب حاجة.. هي إيه دي بقي؟!

وفي صفاء ملحوظ قال عزت:

كيتشن ماشين؟!

وفي ذعر كبير نظرت أمينة إليه وقالت:

إيه؟! لأ طبعاً.. أنا ماروحش واخدة كيتشن ماشين.. شوف مكان اشتري منه حاجة كريستال ولا فضة..

ونظر عزت إلى أمينة بطرف عينيه وهو يحكم حزام مقعده حول جسده، وقال:

أمينة.. هالة مالهاش في فضة ولا كريستال.. دا حيساعدها في شغل المطبخ.

ونظرت أمينة إلى كفّها الملقاة على ركبتيها في تأفف واضح..

كان عزت سعيداً مرحاً يسأل ويتحدث ويطلق النكات وأمينة لا تعلم كيف تجاريه ولا تملك القدرة على أن تصدّه أو تشعره برفضها وكرهها لهالة.. كانت سعادة عينيه أكبر حتى من رغبتها في إيلام هالة أو إذلالها.

حمل عزت الصندوق وهو يهبط من السيارة التي أوقفها على رأس الشارع الذي تقطنه هالة.. كان سعيداً لأنه يدخل بيت هالة طلبة ومعه ابنته.. كان يتمنى أن يراهما الجميع ليعلموا أن عزت لا يزور هالة وحده.. بل جاء ومعه ابنته الشابة يحملان إليها صندوقاً كبيراً.

لم تستطع أمينة أن تقيد لسانها فقالت وهي تصعد سلالم البيت الضيقة:

إيه دا؟! هي ساكنة هنا؟!.. أنت إزاي كنت بتجيلها في الحتة العجيبة دي زمان؟!

وفي حنان قال عزت:

المكان بسكانه يا أمينة مش بحيطانه.. يعني انتي لو رحت الصعيد ودخلت بيت سليم ولقيتيه مش حلو حتضايقي ولا حترجعي تاني ولا حتشوفيه قصر وحتة من الجنة؟!

وأطرقت أمينة برأسها.. عزت عاشق من رأسه حتى قدميه!

فتحت هالة الباب لتنظر أمينة في عينيها كأنها حقاً تتفحصها.. حارت هالة في ما يجب أن تفعله.. هل تمد كفها لتصافحها أم تفتح ذراعيها وتحتضنها؟! بعد ثوان من الصمت صاح عزت وهو يدخل من خلف ظهر أمينة حاملاً الصندوق:

إيه.. ادخلوا.. أمينة جابتلك هدية يا هالة..

استدار ينظر إلى أمينة وتابع:

آه صحيح أنا ماسألتكيش.. هي العلبة الكبيرة دي فيها إيه؟!

لم تجب أمينة.. كانت ما زالت تنظر حولها في دهشة.

اقتربت هالة منها خطوة لتمدّ كفّها إليها قائلة:

أهلاً وسهلاً يا مدام أمينة.. اتفضلي.. أهلاً وسهلاً..

صافحتها أمينة دون أن تحاول عناقها أو تقبيلها ثم تبعتها إلى غرفة الصالون لتجلس على أحد مقاعدها في صمت..

جلست هالة كطالبة أمام لجنة اختبارات كبرى واختفى عزت

بعد أن أخبرهما أنه سيعدّ المائدة.. وطأطأت أمينة رأسها من جديد.

إن عزت يتحرك في بيت هالة كأنه يحيا معها أو ربما كان حقاً يحيا معها.. من يعلم ربما تزوجها وأمينة لا تعلم..

وانتفض جسدها لفكرة زواجه لتنظر إلى وجه هالة في ذعر كأنها تبحث فيه عن قسيمة الزواج.. وبعد لحظات من الصمت قالت هالة:

أنا عارفة إنها حاجة كبيرة أنك تيجي من مصر وتزوريني وتسيبي بيتك وأولادك.

وتنهدت أمينة لتقول:

أنا جيت عشان خاطر بابا..

شعرت أمينة بلوعة ظهرت في عينَي هالة فقالت في خجل:

وعشان خاطر حضرتك طبعاً..

واشتبكت أصابع هالة العشر وقررت أن تختصر الوقت والانتظار، وكأنها تطلق سراح السؤال الكبير الذي تجلد به نفسها كل لحظة ودون أن ترفع عينيها إلى وجه أمينة، قالت في وجوم:

بتكرهيني يا أمينة؟!

شهقت أمينة شهقة صغيرة.. هل فاجأها السؤال أم شقّت الشفقة قلبها على المرأة الجميلة الهادئة التي تجلس أمامها؟ لا تعلم. لكنها تعلم أن هالة شعرت برفضها وكرهها لها وأطلقت أمينة نفساً عميقاً وبصوت صادق حائر قالت:

مش عارفة.. حقيقي مش عارفة.

لمحت أمينة دمعة صغيرة تسقط على خدّ هالة ثم قالت في صوت حزين:

لو مستغربة يا أمينة من اللي بيحصل تأكدي إني أنا كمان زيك مستغربة ومش مصدقة.. أنا ماعرفش حد يا أمينة وماليش حد حتى أتكلم معاه.. أنا ست بسيطة فقيرة ما اتعلمتش في مدرسة ولا جامعة.. جوزوني وأنا عيلة صغيرة راجل من سوهاج.. عشت معاه شهور ومقدرتش استحمل قسوته.. هو كمان مقدرش يستحملني ولا يستحمل صغر سني وبكايا لما خدني من هنا على بيت طين في الصعيد.. أمه الله يرحمها قالتله طلقها وأرميها عند أمها يا اتربت ورجعتلك يا غارت في داهية.. لما رجعت اسكندرية أبويا مات من قهره على طلاقي مات.. قابلت عزت في الضرايب وأنا وأمي بنجري على معاش أبويا.. ساعدني وساعد أمي.. معرفش إزاي لقينا نفسنا بنعزمه في البيت دا وماعرفش ازاي لقيتني بحبه.. ماعرفش حتى امتى قاللي إنه بيحبني.. مرة واحدة لقيتني زي العيلة الصغيرة اللي تتعلق في إيد أمها ولو بعدت عنها دقيقة تموت من الخوف.. شفت راجل غير الراجل.. شفت إيد غير الإيد.. سمعت كلام غير الكلام.. دنيا غير الدنيا.. عارفة يا أمينة؟!

ورفعت هالة وجهها لتسقط زخات كثيرة من دمعها، وأكملت:

عارفة لما تشربي مية طعمها مر حادق.. بس لازم تشربي لأن كل الناس بتشرب مية ولأنك لو ماشربتيش تموتي ومرة واحدة تلاقي قزازة مية طعمها حلو.. عارفة الإحساس لما

تكتشفي إن هي دي المية اللي بتحيي وبتروي وأن كل الناس بتشرب مية حلوة بس إنتي اللي ماكنتيش تعرفي.

ودون وعي قاطعتها أمينة:

بس دي مية مسروقة.. قزازة مش بتاعتك.. قزازة لما حطيتي بقك فيها غيرت طعمها وريحتها وحرمت صحابها منها.

وسكتت هالة لحظات مسحت خلالها وجهها ثم قالت:

من عطشي.. من خوفي ومن لهفتي مافكرتش في اللي انت بتقوليه.. حتى لما عزت قاللي إنه أب وأنه متجوز ماحاولتش أفكر.. كان كل همي إني أرتوي..

وسألتها أمينة في انكسار:

كان بيحكي عن أمي؟!

وأومأت هالة رأسها بالإيجاب قائلة:

أيوه.. ويا ريته ما حكى عنها.. لما حكى عنها حبيته اكتر شبطت فيه أكتر.. جوزي الله يرحمه كان لما حد يسأله عني.. كان يرد ويقول مقلب ابن كلب وشربته.. لكن عزت لما كان يتكلم عن أمك الله يرحمها كان يقول إنها ست كاملة.. ست شايلاه وشايلة بيته.. ست عمرها ما حسسته إنها أحسن منه.

وفي مرارة كبيرة قالت أمينة:

عشان كدا كافئتها؟!

وابتلعت هالة كلمات أمينة في هدوء وقالت:

أنا اترميت عليه بجرحي.. حبيته يا أمينة.. يمكن هو حب ضعفي.. حب خوفي.. يمكن حس أنه معايا بيحمي وبيدي..

لكن لما راح ومارجعش أنا فقت.. فقت لما بقيت أدور عليه وما أقدرش أكلمه.. فقت لما بقيت أقعد افتكره وأغمض عيني وأشوفه في حضنك وحضنها.. فقت لما كلمني مرة ولقيت صوته خايف تايه بعد ما كان صوته هنا يجلجل ويهز البيت ويهزني أنا كلي.. فقت لما ماعرفش يرجع ولما هي كمان حكمت عليه يسيبني.. ذل يا أمينة.. ذل.. عندك حق المية المسروقة حتى لو طعمها حلو لكن بتبقي زي السم اللي يقتل الروح والكرامة.. أنا بعدت يا أمينة.. قبلت أرمي نفسي في حضن الراجل اللي بهدلني وذلني.. كلمته ورجعت عشت معاه وأخذت معايا أمي.. عشت خدامة ليه ولأمه لحد ما كلهم ماتوا.. بنتي اتجوزت وابني سافر.. رجعت لقيت عزت.. هو كمان بنته اتجوزت ومراته ماتت.. بعد كل العطش دا يا أمينة ممكن تكرهيني عشان مديت إيدي وحاولت أشرب بق مية حلو؟!

وشعرت أمينة بشيء كالإشفاق يجتاح روحها على هالة.. شعرت بشيء كالحنان وهزت كتفيها..

لا يمكنها أن تلوم عزت لأنه نسي مديحة أو عشق هالة.. عزت ليس سليم عبد المجيد.. لا رجل على الأرض في وفاء سليم وحبه.. من تلوم إذن ولِمَ اللوم؟

وقبل أن تقول إحداهما كلمة أطل عزت وهو يبتسم:

يللا يا هوانم مش فاضل غير الرز يتشرب.. آه صحيح خدي يا هالة تليفونك ما بطلش رن يا حبيبتي..

ومدت هالة أصابعها في خجل تلتقط منه الهاتف الصغير وهي تقف قائلة:

استريح انت.. أنا حاروح أغرف وأكمل..

انطلق عزت إلى خارج الصالون ودعاها إلى الجلوس، وقال:

أنا اللي حاعمل كل حاجة.. مش كفاية انت من الصبح بتطبخي.. شوفي تليفونك يا هالة..

وعاد هاتفها يرن وأجابت هالة:

ازيك يا بنتي؟! معلهش.. أصل عندي ضيوف..

رأت أمينة علامات الارتباك والخجل على وجهها وهي تقول:

لأ.. معرفة قديمة.. طمنيني انت عاملة إيه؟! سليم جاي النهارده؟ طيب يا بنتي ربنا يسعدك..

وسمعتها أمينة تقول:

طب لو الست يامنة جنبك هاتيها اسلم عليها..

وفتحت أمينة عينيها في دهشة.. سليم ويامنة!!

وسمعت صوت هالة ينطلق من جديد:

لبنى بنتك يا ست يامنة أنا عارفة والله.. وربنا يعلم أن سليم كمان ولدي.. أمال أنا سايباها وقاعدة هنا إزاي لو ماكنتش مطمّنة.

كانت أمينة تتابع كلماتها وهي تتعجّل إنهاء المكالمة لتسألها من هو سليم ومن هي يامنة. وكأن هالة رأت دهشة أمينة واتساع

عينيها فقالت في صوت خفيض بعد أن وضعت هاتفها الصغير على الطاولة القريبة:

دي بنتي لبنى ودي حماتها..

وابتسمت أمينة وقالت:

أصل أنا كمان حماتي اسمها يامنة.. مين سليم؟!

وبشيء من الزهو والفخر قالت هالة:

جوز بنتي.. قاضي..

وبلا وعي قالت أمينة:

قاضي؟!

ردّت هالة في تلعثم:

أيوه قاضي.. ولا مستشار مش عارفة.

شيء لا تفهمه أمينة.. شيء لا تستطيع أبداً تفسيره يدق صدرها ورأسها. وعادت تقول كأنها تحادث نفسها:

أنا كمان جوزي اسمه سليم وقاضي وأمه اسمها يامنة..

رفعت هالة عينيها في ذعر كأنها تذكرت أمراً لم تحاول يوماً أن تفكر فيه.. تذكرت اسماً اعتادت يامنة ولبنى ترداده.. اسماً لامرأة تقف بين ابنتها وزوجها.. وعادت تنظر إلى وجه أمينة في ذعر كبير.. هل يعقل؟! هل يعقل أن تكون هذه هي أمينة التي تبكي لبنى حب سليم لها ليل نهار؟

وأرخت هالة عينيها وهي ترتجف.. لِمَ جاء عزت بالهاتف؟! لِمَ لم تغلقه هي كما اعتادت؟!.. لِمَ ردّت؟! لقد خشيت ألا تفعل فتظن أمينة أن لديها أسراراً أو علاقة تريد إخفاءها. وعاد صوت أمينة يسأل:

هي بنتك عايشة فين؟!

وفي صوت خفيض قالت هالة:

سوهاج؟!

انتفضت أمينة كأن ناراً أمسكت بجوارح صدرها، وقالت كأنها تحتضر:

اسمه سليم إيه؟!

ودخل عزت وهو يبتسم صائحاً:

يللا الأكل جاهز..

وقفت عيناه على وجه أمينة الباهت وعاد ينظر إلى وجه هالة المنكس ليسمع الأخيرة تقول:

سليم عبد المجيد أبو عمران..

وعلا صوت أمينة:

مجنونة.. مجنونة.. مريضة يا بابا.. عايز تتجوز واحدة مريضة؟! مريضة؟!

وصاح عزت في ذهول:

أمينة.. اسكتي يا أمينة.. إيه يا هالة فيه إيه؟!

انتِ تعرفي سليم منين؟!

وعادت أمينة تصيح وهي تنظر حولها في جنون وعيناها لا تستقران على مكان لتقول:

سليم عبد المجيد جوز بنتها.. سليم جوزي ابن يامنة متجوز بنتها..

وتسمّرت عينا أمينة على الهاتف الصغير ثم التقطته بلا استئذان.. دون تفكير أخذت تبحث في ارقامه وقد استوقفها

الرقم الذي حادثته هالة منذ لحظات.. إنه هو.. هو رقم منزل سليم في نجع الحواويش.. إنه رقم يامنة.. وعادت تنظر في وجه عزت وهالة ورفعت ذراعيها وقذفت بالهاتف في فضاء الغرفة فسمع الجميع صوت سقوطه على الأرض وصاح عزت:

اهدي يا أمينة.. اهدي أرجوك.. فيه غلط.. فيه غلط أكيد..

نظرت هالة حولها في ضيق ونظرت إلى وجه أمينة وشعرت بخوف وحزن فقالت وهي تبكي:

يامنة هي اللي غصبته يتجوز بنتي يا أمينة.. صدقيني.. عشان خلفة البنات.. أمينة.. سليم بيحبك.. دا يوم دخلته ما بطلش بكا.. أمينة.. بنتي مالهاش ذنب يا أمينة..

كانت هالة خائفة.. خائفة من عينَي أمينة المفتوحتين.. كانت هالة خائفة من غضب أمينة ومن خوف سليم وحبه لها..

لا شيء في قلب هالة سوى خوفها على لبنى.. لو هدأت أمينة.. لو هدأت لربما رحمتها ولكن هل ترحم أمينة لبنى أم تقتلها كما قتلت مديحة هالة يوماً ومحت اسمها من قلب عزت ما يقارب الربع قرن؟

وأجهشت هالة باكية وهي لا تعلم هل تبكي لبنى أم تبكي نفسها؟

وخطا عزت نحو هالة وسألها:

هالة.. هالة.. هو أنت من سوهاج.. من سوهاج يا هالة.. سليم؟! طب معاك صور لسليم يا أمينة..

وصاحت أمينة كما لو أنها غريقة أشعلت في جسدها ناراً علَّ قارباً عابراً يراها.. وقالت:

أيوه صورة.. أنت ما عندكيش صورة لبنتك والقاضي جوزها.. معقولة؟! أنا عايزة صورة.. صورة.

وفي حنان ورجاء قال عزت كأنه ما سمع ما قالته:

أيوه يا هالة.. أكيد مش هو.. إلا سليم.. إلا سليم.. قومي يا حبيبتي والله ما حيطلع هو.. والله يا أمينة مش هو.

ونهضت هالة تخطو في هدوء.. لديها.. أحضرت معها صورتين.. كانت تنوي شراء إطارين لهما.. لكنها تعلم أن سليم عبد المجيد زوج لبنى هو زوج أمينة.. لكنها لم تتصور يوماً أن تكون زوجته أمينة هي أمينة عزت عبد الرحيم.

كان عزت يخطو إلى جوارها وأمينة تتبعهما في جنون. دخلت هالة غرفتها وفتحت دولاب ملابسها. وضعت أصابعها المرتعشة في حقيبة سوداء قديمة لتخرج منها بصورة أطبقت أمينة عليها كنسر جائع أطبق على عصفور. وصاح عزت:

وريني يا أمينة.. وريني؟!

والتصقت هالة بدولاب ملابسها وهي ترقب وجه أمينة.. لم تكن بحاجة لسماع إجابة.. لم تكن بحاجة لأن يقول عزت أو تقول أمينة حرفاً.. كل شيء واضح.. كل شيء واضح.

وبعنف دفعت أمينة ذراع عزت وغادرت غرفة هالة التي ما زالت ملتصقة بدولاب ملابسها وجاءها صوت عزت من بعيد:

أمينة.. رايحة فين؟! أمينة.

كل قطعة في جسد هالة كانت تئن وترتجف. كل عرق في

جسدها كان يصارع رغبته في الانفجار.. كل قطرة دم داخل عروقها كانت تولول وتلطم كرامتها..

كانت هالة طلبة تنظر إلى قدميها من خلف أنهار دموعها وتتمنى لو تتمكن من تحريك إصبع واحدة فيهما لكنها شعرت أنها مشلولة مصلوبة إلى دولاب ملابسها كأنها ما عادت امرأة.. هالة بأعوامها التي جاوزت الخمسين أصبحت لا شيء سوى سحابة تنتفض دمعاً ساخناً لا ترى من خلاله شيئاً.

مسكينة لبنى.. سيتركها سليم كما تركها عزت يوماً ليعود إلى مديحة..

مسكينة لبنى.. ستمزّق أمينة ضلوعها كما مزّقت مديحة يوماً أضلع هالة وعروقها..

مسكينة أمينة أيضاً.. يوماً ذبحت هالة أمها واليوم تذبح لبنى ابنتها قلب أمينة..

لِمَ يتوارثون القتل؟! ولكن من منهم القاتل ومن منهم المذبوح.. أربع نساء مقتولات وقاضٍ مذبوح..

وزاد بكاؤها وعلا صوته وأفاقها صوت عزت:

هالة.. يا هالة.. أمينة مشيت حتى ما معهاش شنطتها..

كان يبكي هو أيضاً.. كان يبكي في ذهول ومن أمام قطعة الخشب التي التصق بها جسدها نظرت إليه هالة من خلف دموعها وبصوت يئن قالت:

انزل ورا بنتك يا عزت.. ما تسيبهاش لوحدها.. روح يا عزت روح..

ورقصت قدماه لحظة لكنه لم يتقدم نحوها خطوة..

استدار عزت عبد الرحيم وركض بعيداً عنها. سمعت هالة صوت باب بيتها يغلق في حدة كأنه صفعة على وجه كيانها.. وانتفض جسدها من جديد..

عزت تركها يوماً تنتفض من أجل مديحة وعاد بعد أكثر من عشرين عاماً، ليتركها مرة أخرى مصلوبة وحدها على دولاب ملابسها وراح هو يعدو خلف أمينة.

ما كان عزت يوماً لها.. ويبدو أنه لن يكون.

* * *

كان عزت يركض في جنون وهو يحمل حقيبة أمينة. كان يلتفت حوله بحثاً عنها.. ما زال لا يفهم.. ما زال لا يعي.. لا شيء في رأسه.. لا شيء في عينيه سوى أمينة.. أمينة وهي تتزين للقاء سليم.. أمينة وهي تضع دبلة الخطبة في إصبعها.. أمينة وهي تغني وتضحك في انتظار مكالمة سليم.. أمينة وهي عروس ليلة زفافها.. أمينة وهي تبكي لأنها ستنجب فتاة وسليم يريد ذكراً.. أمينة وهي لا تبالي بالموت وترمي بنفسها بين ذراعي خطر لقائه من أجل عينَي سليم..

الخائن؟! كيف يتزوج؟! كيف يتزوّج بعد كل هذا الحب.. وبعد كل هذا الوفاء والعطاء؟!

خدعهم سليم عبد المجيد.. خدعهم.. حفر في قلب ابنته جرحاً وسكب فيه ناراً من الألم والعذاب.

إنه يكره سليم عبد المجيد.. يكرهه عزت..

ووقف عزت يلتقط أنفاسه وهو ينظر في كل الوجوه حوله بحثاً عن وجه أمينة..

وصرخ صرخة حادة كأنه جريح.. لو كان سليم هنا لقتله..

لو كان سليم عبد المجيد هنا لوضع عزت سكيناً حاداً ساماً في قلب قلبه..

الخائن!!

وعاد يركض حتى وصل إلى طريق كورنيش الإسكندرية وعاد يلتقط أنفاسه وهو يبحث عنها..

أمينة.. الرقيقة.. الجميلة.. كيف يفعل بها سليم عبد المجيد ما فعله؟!

وأمام أصوات السيارات، أمام هدير البحر والمارة فتح عزت عينيه في ذهول.. يوماً كان هو سليم.. يوماً ترك مديحة..

ما كانت أخطاء مديحة ليعشق هو هالة طلبة؟

كانت جادة.. كانت قوية.. وهل هذه عيوب تستدعي أن يذهب إلى غيرها؟!

كانت تعمل كثيراً.. تتحدث قليلاً.. وهل يجب أن تكون المرأة ضعيفة ثرثارة ليخلص لها الرجل؟!

كانت مديحة جميلة ناجحة.. لم تلق يوماً عليه هموماً أو أعباء.

عزت لا يتذكر أنه وقف يوماً حائراً يفكر في تدبير مصاريف دراسة أمينة أو مستلزماتها.. بل لم يحمل يوماً هماً لأي أعباء مهما يكن نوعها. كل شيء كانت توفره مديحة.. حتى ملابسه الأنيقة وأحذيته المستوردة.. ورغم هذا تركها وذهب إلى هالة طلبة لينثر حولها حباً وعطاء.

الحب هو السبب؟! ربما!!

إذا كان ما دفعه حقاً لترك زوجته وابنته الصغيرة حباً.. إذا

دخل عزت عبد الرحيم يوماً على مديحة وصرح لها بحبه لامرأة أخرى وزهده فيها وفي أنوثتها دون اشفاق باسم الحب، فلماذا يدعو ما فعله سليم عبد المجيد اليوم خيانة؟!

إما أن يكون سليم عاشقاً مثله لابنة هالة طلبة أو يكون عزت عبد الرحيم خائناً مثل سليم..

وعاد يركض في لوعة وهو يصرخ ودمعاته على وجهه.. إنه يتألم.. يتألم كما لم يعرف الألم يوماً حتى في أيام فراقه عن هالة وبحثه عنها. ألمه على ابنته أكبر.. ألمه على أمينة أعمق.. ألمه من سليم أكثر بشاعة من كل ألم..

كانت السيارات على الكورنيش تهدر وعزت يركض بينها ليعبر إلى جوار الشاطئ، بحثاً عنها. رآها.. رآها تقف في مواجهة البحر على رمال الشاطئ.. وقفز فوق سور كورنيش وسط الإسكندرية وركض نحوها.

كانت أمينة تقف على الرمال تنظر إلى البحر، وسمعت صيحات عزت التي لا كلمات فيها واستدارت نحوه لتراه من خلف دمعها يركض وحقيبتها الصغيرة معلقة بين أصابعه. ضمّها إلى صدره وهو يبكي. وحين ألقت برأسها على كتفه صاح:

عارف إنك بتتألمي.. أنا السبب. سامحيني.. سامحيني يا مديحة!

* * *

فتحت أمينة باب بيتها في السابعة مساء. دخلت ونظرت حولها في ذهول كبير.. إنها لا تعلم كيف عادت.. لا تذكر أي كلمة قالتها أو قالها لها عزت.. كل ما تذكره وكل ما تعلمه أنها وضعت نفسها في أول قطار متّجه إلى القاهرة.. كل ما تذكره أن عزت كان يبكي كثيراً.. كل ما تذكره أنها استحلفته برحمة أمه وأمها ألا يخبر أحداً بما حدث وألا يحادث سليم ليخبره أو يسأله.. أقسمت له برحمة مديحة أنها ستقتل نفسها إن أخبر سليم. وعدها وطلب منها المبيت عنده أو أن يذهب هو معها لكنها رفضت. ورغم كل هذا ما زالت تشعر أنها لا تذكر شيئاً.. لا تذكر كيف صعدت القطار.. كيف مرت عليها ساعات الرحلة أو ماذا رأت من نافذة القطار. لا تذكر حتى كيف حضرت إلى بيتها؟! لا شيء في رأسها.. لا شيء في عينيها.. كأن الأرض والتواريخ واللحظات وقفت بها عند تلك اللحظة.. حتى إنها لا تعلم أي لحظة تلك هي التي وقفت عندها الأرض.

وانتفض جسدها وصاري تناديها سائلةً عن سبب حضورها المبكر. لم تجب أمينة. كل ما قالته هو أنها تريد كوباً من القهوة بعد عشر دقائق. كل ما قالته أمينة هو أنها لا تريد أحداً في

غرفتها حتى ابنتيها.. قالت أمينة كل هذا وما زالت لا تعلم كيف قالته وبأي لغة خرج وبأي حروف صاغته. إنها لا تعرف شيئاً من أي شيء..

وأغلقت باب غرفتها لتنظر إلى فراشها في هدوء.. على حافته طوت صاري تلك البيجاما التي كان يرتديها سليم هذا الصباح.. البيجاما التي خلعتها أمينة عنه ليأخذها قبل أن تذهب إلى الإسكندرية.. خلعها سليم وتركها ليذهب إلى امرأة أخرى.. ذهب ليخلع ملابسه ويأخذها هي الأخرى.. وخرجت من صدرها آهة كأنها صرخة.. كأنها أنين لترفع عينيها في جنون.. لا بد أنه وصل الآن.. ربما كان في هذه اللحظة بين ذراعيها.. هل يأخذها كما يأخذ أمينة؟ هل يقبلّها؟! هل يأخذ رأسها على صدره؟! هل يمشط شعرها بأصابعه السمراء الطويلة؟! هل يصلي فوق جسدها صلاة حب كتلك التي كانت تشعر هي بقدسيتها في كل مرة يأخذها إليه؟!

ورمت حقيبتها في جنون.. أمينة تختنق.. أمينة تموت.. أمينة تحترق. وصرخت ثم خلعت ملابسها كأنها تمزقها عن جسدها.. وانحنت تخلع حذاءها ثم قذفت به في فضاء غرفتها..

ركضت أمينة إلى حمام غرفتها لتقف أمام مرآته الكبيرة عارية. وراحت تنظر إلى جسدها.. هنا كانت أصابعه تقف.. هنا كانت تخطو شفتاه. هنا كانت هي تستبقيه لحظات.. أصابع سليم تحمل بصمات امرأة أخرى.. شفتا سليم عليهما أنفاس امرأة أخرى..

لوّثها سليم عبد المجيد.. لوّثها.. في كل مرة أخذها فيها

لم يكن وحده يفعلها.. كانت معه امرأة أخرى.. امرأة تقبلها وتضاجعها..

وقفزت أمينة إلى حمامها تغتسل.. ستمحو آثار أصابعه وشفتيه.. ستمحو أمينة آثار أصابعها وشفتيها من على جسدها.

ابنة هالة طلبة ضاجعت أمينة ابنة مديحة مئات المرات!!

وجاء صوت صاري بعد عشر دقائق من خلف حمام أمينة تخبرها أنها أحضرت القهوة لتنكس أمينة رأسها في انكسار كبير خرجت به من تحت الماء دون حتى أن تجفف جسدها.. لا تريد أن تستعمل شيئاً مرت عليه أصابع سليم ولبنى.. خرجت عارية لتقف في غرفتها وجسدها يتصبب ماءً وذلاً وفتحت دولاب ملابسها وهي ترتجف.. حتى «مناشفها» النظيفة تراها ملوثة.. وبعينيها أخذت تبحث عن قميص لم يلمسه سليم بأصابعه الملوثة.. وراحت تقذف بكل ما تلمسه على الأرض. سليم عبد المجيد لم يترك قميصاً لم يلمسها فيه.. كل ملابسها مرت على أصابعه.. كل ملابسها حتى القطع الصغيرة غفت بين أصابعه يوماً.

نادت أمينة صاري التي فتحت الباب بعد لحظات لتشهق وهي ترى أمينة عارية تماماً أمامها. وعندما حاولت الخروج صاحت أمينة:

صاري.. هاتيلي قميص نوم من بتوعك.. أرجوك يا صاري وفوطة من بتوعك كمان..

واختفت صاري لتعود بعد لحظات تحمل أحد قمصانها..

كانت أمينة تقف هذه المرة خلف باب حمامها حيث التقطت الملابس التي أحضرتها صاري وتحسست قميصها الأصفر في انكسار..

قميص خادمتها وحده أكثر نظافة من كل قطعة قماش مرت عليها أصابع سليم عبد المجيد..

حينما خرجت إلى غرفتها وجدت صاري تنحني في ذهول وهي تحاول أن تجمع عشرات قطع الملابس التي بعثرتها أمينة في أنحاء الغرفة. إلا أن أمينة قالت:

سيبيهم يا صاري.. بكرة الصبح لمي كل هدومي في شنط اللي عاوزاه خديه واللي مش عايزاه احرقيه..

وفي خوف نظرت صاري إليها ثم قالت:

مدام.. فيه إيه؟!

وأغمضت أمينة عينيها ثم قالت:

القهوة بردت.. أرجوكي هاتيلي واحد تاني..

خرجت صاري بقهوة أمينة الباردة وفي لحظة انتفضت أمينة وكأن أفعى كبيرة التفت حول عنقها الأبيض الجميل..

سليم في أحضان امرأة أخرى.. سليم ينتشي وهي تبكي.. سليم يخون وهي تموت.. سليم ذبحها ولوثها وهي هنا تنتفض وتنكسر وترتدي ثياب خادمتها!!

وعادت أمينة تستعيد كل كلمة قالتها هالة.. كل حرف.. ووقفت عند تلك اللحظة التي قالت فيها إن سليم كان يبكي يوم زواجه بابنتها.. وقفت طويلاً عند تلك الكلمات التي قالت فيها أن يامنة وحدها أرغمته على الزواج من أجل إنجاب البنات..

سليم عبد المجيد القاضي الأسمر ما هو إلا طفل أحمق ترغمه امرأة لا تعرف كيف تكتب اسمها، على الزواج.

سليم عبد المجيد الذي يكتب أحكاماً وبجرة قلم يضع رؤوساً على حبل المشنقة وينقذ رؤوساً أخرى منها، تأخذه أمه كطفل صغير لتضعه على جسد امرأة غير زوجته.

سليم عبد المجيد الذي يقرأ ألف كتاب ويكتب ألف حكم يتزوج رغماً عنه لينجب ذكراً لأن أمينة عزت لا تنجب إلا البنات..

ووضعت أمينة رأسها بين كفيها كأنها تتمنى لو تسحق جمجمتها بين أصابعها..

الأحمق؟!

يريد ذكراً.. يريد رجلاً.. من قال إنها لم تحلم بذكر.. من قال إن أمينة عزت لم ترد هي الأخرى رجلاً.. من قال إنها هي التي لا أخ لها ولا عمّ غير مشتاقة إلى طفل، إلى رجل صغير يكبر بين ذراعيها..

الأحمق.. من قال له إن النساء هن اللواتي يحملن الذكور أو يخلقهن..

وشعرت أمينة بأمعائها تنتفض في غثيان كبير..

أمينة لم تعشق رجلاً.. أمينة لم تتزوج رجلاً..

أمينة عشقت وتزوجت وضاجعت فأراً قبيحاً كريهاً.

أمينة لن تبكي.. أمينة لن تستبقي هذا الفأر في حياتها لكنها أيضاً لن تتركه قبل أن يرى نفسه على حقيقتها.. لن يطهر جسدها إلا بعد أن يبكي سليم كما بكت.. لن يشفي روحها إلا

حين يقف أمام مرآته ويرى فأراً أسود كريهاً يطل منها.. لن تهدأ أمينة عزت إلا عندما يعلم سليم عبد المجيد أنه ليس رجلاً.. وأن أمينة عزت وحدها هي التي تلفظ فأراً ابتلعته زمناً..

أمينة عزت لن تكون مديحة أخرى تحيا مع خائن.. بل إن عاشت مديحة مع خائن فلربما لأن عزت عبد الرحيم كان رغم خيانته، رجلاً أعلن حبّه. وحدهم الرجال يتحدثون!!

أمينة لن تحتفظ بكاذب جبان يتجول بين أجساد النساء..

أمينة عزت لا تضاجع الفئران.

* * *

بعد طرقات خافتة دخلت منى إلى غرفة مكتب خالد شكري وقالت وهي تعتذر:

أنا آسفة جداً.. بس في واحدة برا عايزة تقابل حضرتك..

رفع خالد رأسه قائلاً:

منى.. أنت عارفة إني بقالي اسبوع مسافر ومانزلتش المكتب وعندي ورق كتير متعطل.. لو قضية جديدة خديها أنت أو خليها تقابل الأستاذ مجدي أو حتى اعتذريلها.

لكن منى قالت في هدوء:

حاولت والله.. لكن هي مصرّة. بتقول اسمها أمينة عزت.

وتنهد خالد في صمت.. لا بد أنها جاءت من أجل نهى.. هل حدث لها شيء!

نهض خالد عن مقعده وقال:

خليها تتفضل..

قبل أن يصل إلى باب مكتبه لاستقبالها، دخلت أمينة. كانت ترتدي جوب سوداء قصيرة، عليها قميص من الكاروه الأسود مع النبيتي الداكن.. كان شعرها البني يقف على كتفيها ووجهها هادئاً باهتاً كأن كل شيء مات فيه.

وأسرع خالد نحوها وقلبه يدق بين ضلوعه.. هل حدث شيء لنهى؟ ومدّ كفه يصافحها قائلاً:

اتفضلي.. اتفضلي.. أهلاً وسهلاً.. مالك يا مدام أمينة؟!

كان يرى في خطواتها إعلاناً لا يحب رائحته.. كان يرى في ثيابها دخاناً يتسلل إلى أنفه.. صافحته أمينة ثم جلست على المقعد أمام مكتبه. وجلس خالد على المقعد المواجه لها ونظر إلى منى التي أدخلتها إلى مكتبه قائلاً:

منى.. اقفلي الباب وأجلي أي مواعيد لغاية أمينة هانم ماتمشي..

وعاد ينظر إليها في دهشة وترقب.. هل ارتكبت نهى حماقة ما؟ هل أصابها مكروه؟! ما زال يفكر فيها.. ما زال حقاً يفكر فيها رغم طول الفراق وانقطاع الأخبار والاتصالات.. شيء ما في زيارة أمينة إلى مكتبه.. شيء ما في ملامح وجهها يخبره أن هناك أمراً جللاً وحاول أن يبدد الصمت فقال:

ازاي الدكتور أدهم.. وازاي سليم والبنات..

رفعت أمينة وجهها تنظر إليه.. تكره أن يقول أحدهم «البنات» لكنها أغمضت عينيها في ألم وقالت:

بخير..

لم يستطع خالد أن يقاوم.. أمينة امرأة والنساء لا يتحدّثن بسهولة. فقال كأنه يأخذ بيدها:

نهى ازيها يا أمينة.. فيه حاجة؟!

وبهدوء قالت أمينة:

نهى بخير. . رغم أن شهور طويلة عدت لكن أنا حاسة أن حكايتكم ما خلصتش. . أستاذ خالد أنا جاية عندي قضية يمكن تكون بعيدة عن تخصصك وشغلك لكن أنا ما عنديش ثقة في حد غيرك. .

وقاطعها خالد في صدق:

أنا آخد أي قضية أنت عايزاني آخدها. . أنا ألغي قضايا المكتب كلها واشغل كل الزملا اللي معايا في قضية أنت عايزاني امسكها. . الدكتور أدهم ليه فضل كبير عليا يا أمينة. .

وتابعت أمينة:

الدكتور أدهم ما يعرفش حاجة ومش حايعرف حاجة. . دي أمانة ودا شرف مهنة. . مش عايزة مخلوق يعرف حاجة. . خالي دايما بيقول أنك محامي حقيقي مش بس محامي شاطر. . وأنا هنا مش أمينة بنت أخته. . لأ أنا موكلة عادية ومستعدة لدفع أي اتعاب من ألف لمية ألف. . أوعدني بشرف المهنة. .

وقاطعها خالد في خوف:

طب أفهم فيه إيه؟!

أجابت أمينة:

أوعدني يا أستاذ خالد. .

وأرخى خالد عينيه لحظة ثم قال:

أوعدك بشرف مهنتي. . اتفضلي. . اتكلمي. .

ونظرت أمينة إلى خالد نظرة سريعة بلا روح أو إحساس وقالت:

أنا وقع عليّ ظلم كبير. . ظلم عايزة أتحرر منه. . ظلم عايزة العدل والقانون يرفعه عني. .

وسكتت لحظات حتى تهدأ ثم أكملت:

أنا عايزة أخلف ولد. .

وشهق خالد شهقة صغيرة كأنه شعر أن أمينة أصابها مسّ من جنون. . هل تضخمت عقدتها من عجزها عن منح سليم مولوداً ذكراً إلى هذا الحد؟ من تظن خالد شكري وما عسى رجل قانون أن يفعل في أمر كهذا. . إلا أن أمينة استأنفت الكلام:

ربنا خلق الست عشان تكون أم. . أم للبنت وللولد. . مافيش شيء في تكوينها الفسيولوجي يخليها تحمل في بنات بس أو أولاد بس. . البويضة اللي جسمها بيطلقها محايدة فيها بس كروموزوم (xx) أما الراجل فهو اللي حيوانه المنوي فيه كروموزوم (x) مع كروموزوم y.

لو كان الـ(x) حيتحد مع الـ(x) بتاعة الست حيبقى (xx) وتبقى أم لبنت ولو كان (y) حيتحد برضة مع الـ(x) بتاعة الست ويبقى xy تبقى الست أم لولد.

أنا جوزي ما بيخلفش غير بنات. . وأنا عايزة أكون أم لولد. . عايزة أمارس حق ربنا اداه ليا ولكل ست. . حق الأمومة لبنت ولولد. . أنا مش عايزة راجل ما يخلفش غير بنات. . ونظراً لأن تكرار حملي بيعرض حياتي للخطر فدا معناه إن فرص حملي قليلة ومش عايزة أضيعها مع راجل واضح أن ذريته كلها بنات. .

لم يستطع خالد أن يسمع أكثر من هذا، وقاطعها:

يعني إيه؟! عايزة إيه يا أمينة؟!

فردّت:

عاوزة أرفع دعوى طلاق على سليم عبد المجيد لأنه راجل لا ينجب الذكور.

* * *

في لحظة شعر خالد أنه نسي نهى، ونسي قصته وألمه. نسي كل ألم حتى ألمه القديم الذي تسبّبت به ليلى وفراق كريم ابنه الوحيد وفراق صديق عمره وخيانته.. في لحظة واحدة أصبح خالد شكري كتلة من الدهشة والخوف. وقال كأنه يصيح:

عايزة تتطلقي من سليم يا أمينة.. سليم يا أمينة؟! حب عمرك؟!

وبالهدوء نفسه والدهشة عينها قالت:

الأمومة أهم من الحب..

وردّ خالد يصيح:

فيه إيه يا أمينة؟ سليم عمل حاجة؟! عمل إيه؟!

ومن خلف ابتسامة خاطفة قالت أمينة:

أرجوك تقبل القضية.. أرجوك ماتخلنيش أروح لحد تاني.. أنا ماعرفش حد ومش عايزة حد غيرك..

وبعد تنهيدة عميقة خرجت من صدره نظر إليها خالد في ألم. لماذا تتحد نساء الأرض ضد خالد شكري؟ لماذا كلما أحب امرأة واحترمها حار في أمر فهمها؟ وقال:

عارفة يا أمينة أي محامي تروحيله حيفرح بقضيتك لأنها

قضية غير مسبوقة.. عمرنا ما سمعنا عن ست ترفع دعوى طلاق علشان جوزها عاجز عن إنجاب الذكور.. أي محامي ممكن يتشهر ويتعمل لاسمه فرقعة من قضية زي دي.. لكن أنا مش عايز شهرة.. كرهت الشهرة والمشاهير من زمان وكمان مش عايزها على جثة سليم عبد المجيد القاضي الناجح النزيه.. مش عايزاها على حساب سمعة وكرامة الدكتور العظيم أدهم وهبي ولا على جثة سمعة بناتك وسمعتك يا أمينة..

والتقط أنفاسه وأكمل في حزن:

أمينة.. أنا بحب سليم.. بحب الدكتور أدهم.. تتخيلي أني أنا اجرحهم.. أنا يا أمينة؟!

وفي هدوء قالت أمينة:

لأ مش متخيلة انك تعمل كدا.. لكن اللي أنا متأكدة منه أنك ما تبخلش بعلمك ومهنتك على حد محتاج ليها وخصوصاً إذا كان الحد دا أنا..

أنا اللي لجأت ليك وماليش غيرك..

وفي تململ قال خالد:

أمينة.. أنا حافترض إن اللي قلتيه دا صح.. ليه القضايا؟! اطلبي الطلاق من سليم.. سليم راجل عاقل ومتزن.. سليم رجل عدل ومن غير اسباب.. سليم اكتر واحد يعرف إن الشرع والقانون يكفلوا للست حق حصولها على حريتها لو كرهت معاشرة جوزها. هو سليم رفض يطلقك؟!

وبعد لحظات من الصمت قالت أمينة:

سليم مش حايعرف حاجة غير من الإعلان اللي حيوصله..

وفي ذهول صاح خالد:

لأ.. دا مش طلاق.. دا انتقام.. فيه إيه يا أمينة؟! سليم خانك؟! سليم سرقك؟! فيه إيه؟!

ورفعت أمينة عينيها وقالت:

أمينة ما تتخانش..

وكأن سكيناً شقّ صدر خالد فأغمض عينيه في ألم. وقد شعرت أمينة أنها ضربته في جرح وقالت:

ولا سليم عبد المجيد يخون.. أنا مقتنعة باللي باعمله.

وقاطعها خالد:

دا جنون يا أمينة.. جوزك مش راجل عادي.. دا قاضي.. أنت حتقتليه في مشاعره وفي رجولته وفي شغله.. لا يا أمينة.. بلاش حب.. العشرة.. البنات.. وعد شرف يا أمينة حاجبلك ورقة طلاقك من سليم.. وعد شرف من خالد شكري..

وفي تصميم واضح قالت:

أنا عايزة شرف المهنة.. أنا دخلت هنا موكلة.. وأعرف أن خالد شكري شرف مهنته فوق صداقاته.. أرجوك ما تمرمطنيش عند محاميين ممكن يبيعوا ويشتروا فيا.. إكراماً لعشرتنا ولخالي بكرة الإعلان يتبعت على مقر شغل سليم..

شهق خالد من جديد وقال:

أنت عايزة تعلنيه على المحكمة؟! على شغله يا أمينة؟ مستحيل.. دا جنون! أنا حاكلم الدكتور أدهم.. مستحيل.. بينكم بنات يا أمينة.. عايزة بناتك يسألوك في يوم رفعت دعوى

طلاق على ابونا وكمان بعتي إعلان الدعوى على شغله.. على قاضي في محكمة يا أمينة؟! كله إلا كده يا أمينة.. إلا كده..

وفي ألم شديد عضّت أمينة شفتيها وقالت:

خلاص يا خالد لو دا اللي حيريحك ابعت الإعلان على البيت.. انت عندك توكيل مني.. أنا فاكرة عملتلك توكيل رسمي عام أنا وبابا ساعة ماما الله يرحمها.. لكن مافيش مخلوق يعرف ولا بابا ولا خالي بشرف مهنتك وشرف كلمتها ماحدش في الدنيا دي يعرف لغاية ما نرفع القضية.

وقال خالد وقد نكس رأسه:

إيه اللي بيحصل.. ليه كل اللي حبوا واتحبوا بيدمروا نفسهم ويدمروا اللي حواليهم.. ليه الحب بتبقى دي نهايته ليه؟!! الغلط فين.. الغلط فين يا أمينة؟!

* * *

في هدوء حزين، أسدلت هالة آخر قطعة قماش قديمة على أثاث صالة بيتها لتنظر حولها من خلف دموعها الكثيفة.

سترحل.. يجب أن ترحل..

يجب أن تعود إلى لبنى.. يجب أن تكون إلى جوارها في الأيام الصعبة المقبلة..

هي التي دمرت لبنى عندما أخبرت أمينة.. لكنها لم تكن تعلم.. لم تكن تعلم وما كان من الممكن أن تصدق أن سليم عبد المجيد ترك نساء الأرض ليتزوج أمينة ابنة عزت عبد الرحيم.

هالة طلبة دمرت وحيدتها الشابة الرقيقة العاشقة.. إنها الأم الأولى على وجه الأرض التي تضع السكين في قلب ابنتها لتقتلها بعد أن أفنت عمرها وشبابها من أجلها.

وسقطت هالة على أحد المقاعد باكيةً من جديد. في كل مرة تبكي فيها هالة منذ زيارة أمينة لها قبل يومين وهي تظن أن دمعها جف وأنها لن تبكي مرة أخرى.. لكنها تكتشف أن انهاراً من الدمع بإمكانها أن تفيض من عينيها.

وعادت تنظر حولها في جنون وهي تحاول أن تتنفس.. إنها

مختنقة بدمعها.. مختنقة بشعورها بدناءتها وذنبها في حق ابنتها.. لكن لِمَ تختنق؟!

هالة قتلت نفسها يوماً حين سقطت في عشق رجل له بيت وزوجة وطفلة.. قتلت نفسها وذبحت كبرياءها تحت قدميه وهي تنتظر عودته ليتزوجها.

باعت هالة نفسها يوماً للوهم وقتلت نفسها بالحماقة أياماً طويلة..

امرأة تقتل نفسها هي امرأة تقتل ابنتها أيضاً.. لِمَ العجب إذن!

ورفعت رأسها في محاولة فاشلة لتهدئة دمعها ونحيبها.

هزت رأسها في عنف.. ربما قتلت ابنتها دون أن تدري، دون أن تعني قتلها ولكنها الآن يجب أن تدري وتعلم كيف تذهب إليها لتجمع أشلاءها وأشلاء جنينها بين كفّيها.. سليم سيبصق لبنى من جوف حياته كما بصق عزت هالة يوماً.. أمينة هي مديحة صغيرة.. في جمالها، في علمها، في أناقتها. وسليم هو عزت آخر في امتلاكه هذا الجمال وذاك البهاء بل ربما كان سليم أسوأ من عزت وأكثر قسوة على لبنى.. سليم عبد المجيد لا يحب لبنى.. سليم عبد المجيد ما سعى إليها يوماً..

إن كان عزت بصقها وهو الذي سعى إليها، فما عساه سليم عبد المجيد يفعل بلبنى وهي التي ترتمي تحت حذائه وتلعقه في لهفة كلب ضال.

سترحل هالة لتأخذ الكلب الضال عندما يطلق عليه سليم رصاصات القتل التي تذوّقت هالة طعمها المر زمناً..

عندما حاولت أن تنهض عن مقعدها تسمّرت عيناها على الأريكة التي جلست عليها يوماً ورأت عزت وهو يجلس تحت ركبتيها لتسقط هي بين ذراعيه وعاد صوت بكائها يعلو..

إنها أحقر امرأة على وجه الأرض.. إنها عجوز حمقاء متصابية ألقت بجسدها وقلبها بين ذراعي رجل وهي في نهايات عمرها.. كان يجب أن يعاقبها الله.

وبلا وعي رفعت وجهها إلى السماء.. لِمَ يعاقبها الله في ابنتها؟! لِمَ لم يعاقبها في روحها، في عينيها، في قلبها؟ ولكن في لبنى؟! لبنى؟!

وعادت تلقي بوجهها بين كفيها وهي تتمتم بعبارات استغفار كثيرة..

نحن جميعاً نخطئ.. نحن جميعاً نمر بلحظات ضعف.. هالة دفعت ثمن غلطتها وضعفها وقبلت عقاب السماء.. ستبقى العمر تستغفر.. ستبقى ما بقي من العمر مع لبنى..

هل تخبر لبنى الحقيقة؟! هل تخبرها أن زوجة سليم علمت بزواجه من لبنى منها هي شخصياً؟!

وفي جنون هزت رأسها.. لن تفعل أبداً. لبنى ستسألها كيف التقت أمينة؟! لبنى ستسألها. وهالة تموت قبل أن تجيب. ماذا تقول وبما عساها أن تجيب؟!

لا يهم كثيراً أن نعرف من أين جاءنا البركان..

لا يهم كثيراً أن نعلم من أين يأتينا الفيضان...

ما يهم أن نركض.. ما يهم أن نحيا. ما يهم حقاً هو ألاّ نغرق ونحترق وتتفحم قلوبنا وأجسادنا..

لن يغير من الحرائق أن تعلم لبنى أنها اشتعلت بيد هالة..
ما قد يغيّر هو أن تجد لبنى هالة إلى جوارها..

هالة تعلم أن لبنى ستحترق ولكنها ستحاول.. ستحاول بذنبها.. بضعفها.. باستغفارها.. بحبها أن تنقذها من التشوهات والتفحم والموت!!

ونهضت هالة فحملت حقيبتها الصغيرة وأغلقت باب بيتها واضعة عليه قفلاً كبيراً ثم طرقت باب جارها ممدوح الذي أطل بعد لحظات، فقالت:

ممدوح بيه.. أنا راجعة الصعيد.. لو حد سأل عني قول إني رايحة ومش راجعة هنا تاني أبداً لغاية ما أموت.

* * *

انتفضت لبنى وهي تسمع سليم يصيح من مندرة البيت، وركضت إليه في لهفة ووقفت أمامه.. كان يمسك بهاتفه. كل عروقه كانت بارزة خارج حدود جلده وكأنها تنفجر خلف جلده الأسمر وسمعته يصيح من جديد:

فيه إيه يا صاري؟! أنا عارف إنها رجعت امبارح من اسكندرية.. عايز أكلمها.. تليفونها مقفول ليه.. خشي قوليلها تكلمني.. دلوقتي...

لماذا يبحث عنها.. لماذا يريد محادثتها.. سافرت إلى والدها وعادت بخير.. في أي شيء يريدها إذن.. أي شيء هذا الذي يجعله يصرخ كالمجنون لأن يوماً أو يومين مرا دون أن تحادثه أمينة.. إن سليم يغيب أكثر من ثلاثة أسابيع عن لبنى ولا يحادثها خلالها أكثر من مرة أو مرتين. وفي كل مرة يامنة هي التي تحادثه لأن لبنى ترجوها أن تسمع صوت سليم أو لأن يامنة رأت لبنى تبكي فراقه وإهماله لها..

لماذا يصيح؟! لماذا يكاد يجن هكذا من أجل امرأة عادت إلى بيتها وأغلقت هاتفها دون أن تحادث زوجها؟ لماذا لا يحتمل

يومين معها دون أن يرتمي بين ذراعي صوت أمينة في كل يوم ألف مرة؟!

سيعود في الغد.. ألا يستطيع الانتظار إلى الغد؟

وسقطت دموع لبنى وهي ترقب سليم من على باب المندرة.. إنه الحب.. في الحب لا لوم ولا عقل!!

وعاد جسدها ينتفض وهي تسمعه يصرخ:

إيه يا صاري؟ فيه إيه تاني.. أمينة فين أمّال؟ دا ولا الدكتور أدهم شافها النهارده.

ورأته ينكس رأسه في حزن ثم يقول:

لأ.. خلاص سيبيها نايمة.. أنا جي..

وقبل أن يغلق سليم الخط قال في لهفة:

صاري؟! أمينة كويسة.. أحلفي يا صاري إنها مش عيانة.. إحلفي انها بخير..

وعضت لبنى شفتيها لتمنع نحيبها..

لا يهمّه أنها لم تحادثه.. لا يهمه أنها أغلقت هاتفها منذ عودتها.. لا يهمه أنها نائمة وترفض أن تستيقظ لحظة ليهدأ زوجها لسماع صوتها.. كل ما يهم سليم عبد المجيد أن تكون أمينة بخير!!

ودخلت لبنى المندرة في هدوء فلم يشعر بها سليم. كان رأسه متدلياً نحو صدره، ينظر إلى وجه هاتفه الصغير في ألم كبير..

وسمع شهقات لبنى الصغيرة فرفع رأسه ورآها تجلس عند ركبتيه فقال:

فيه إيه يا لبنى؟ بتعيطي ليه بس؟!

وأمسكت لبنى بساقيه وأخذت تقبّلهما وقالت:

نفسي تحبني زي ما بتحبها يا سليم؟!

وضع سليم كفيه حول ذراعيها وقال في خجل:

مش حكاية حب يا لبنى.. أصل أمينة كانت كارهة زيارة أبوها.. يوجعها برضة انه يتجوز الست اللي كانت السبب في حزن أمها ويوجعها كمان إنها ما تلاقنيش جنبها.. أنا كلمت عمي عزت.. سألته عليها.. ما فهمتش منه حاجة يا لبنى.. واضح إن مشكلة حصلت بين أمينة والست.. ما كانش لازم أسيبها..

ورفع سليم وجه لبنى وهو يقول:

لبنى.. عشان خاطري وحياة سليم عندك.. سيبيني أنزل مصر دلوقت.. مش حيفرق الليلة من بكرة.. عشان خاطري يا لبنى.. وحياة اللي في بطنك يا لبنى.. قوليلي إنك مش زعلانة..

ومن خلف دمعها الكثيف نظرت إليه في ألم عميق ثم قالت:

روح يا سليم روح.. أنا عمري ماحسيت إنك جيت.. من يوم دُخلتنا وأنت هناك.. حتى جسمك دا اللي بين إيديا مش معايا.. هي سكناه.. قوم يا سليم.. روح.

وقبّل سليم رأس لبنى وأخذ يدمدم بكلمات يشرح ويبرّر ويعتذر بها. لكن لبنى ما سمعت كلمة.. لبنى لا ترى إلا صورة

لمارد كبير يزلزل صوته كيانها.. مارد يلوح لها بيده ويقهقه في وجهها بجنون وسخرية..

مارد أسود كبير اسمه أمينة عزت عبد الرحيم!

* * *

كان سليم يقود سيارته في جنون شاعراً أن عجلاتها لا تخطو على طريق الإسفلت الأسود بل على دخان حريق كبير يشتعل في عروقه..

أمينة ليست بخير.. أمينة حزينة.. تلك المرأة المجهولة التي حاولت سرقة عزت يوماً من زوجته وابنته، عادت اليوم لتقتل أمينة.. لا بد أنها جرحتها.. لا بد أنها أساءت إلى مشاعر أمينة الرقيقة..

لهذا لا تحادثه أمينة.. لا تريد أن تُبكيه عليها.. أمينة لا تريد أن تجعله يعود ويترك يامنة.. لكنه لن يتركها..

سيعبر سليم فوق حرائق قلبه ويصل إليها.. سيأخذها بين ذراعيه.. سيضم رأسها الجميل على صدره.. سيرتشف دمعاتها بشفتيه.. إن كانت ترفض زواج عزت بتلك المرأة ولم تستطع تقّبله.. فلن يدعه سليم يتزوجها.. سليم سيذهب إلى تلك المرأة ويهددها.. سيقتلها إن لزم الأمر.

لن يهددها أبداً كقاضٍ.. لن يقتلها بسلطته ولكنه سيفعل كرجل.. كزوج يدافع عن مشاعر زوجته حتى الموت..

لقد اقترب سليم من حدود القاهرة يا أمينة. اقترب ليأخذك قرب قلبه وروحه.. ستعلمين أن سليم وحده يكفيك.. سليم عبد المجيد لن يترك عينَي أمينة الجميلتين تذرفان دمعة واحدة من أجل رغبة عجوز نسي أنه أب.

* * *

كل شيء في البيت كان هادئاً.. الأضواء جميعها مطفأة.. قاربت الرابعة صباحاً عندما فتح سليم الباب.. حبيبة قلبه نائمة. لن يوقظها.. سيأخذ حمامه وينام إلى جوارها.. سيتحسّس وجهها بأصابعه.. سيطبع على جبهة أمينة ألف قبلة.. لن يوقظها لكنه يعلم أنها ستشعر به وتهدأ حتى وهي نائمة لا تعرف أنه إلى جوارها.

وفي هدوء دخل سليم إلى غرفته.. وعندما نظر إلى فراشه لم يجد أمينة.. كان الفراش خاوياً كأن أحداً لم يلمسه أو يدخل إليه وانتفض قلبه فراح يركض كالمجنون إلى غرفة ابنتَيه وحين فتح الباب رآها تغفو بجوار ابنته الكبرى شهد.. كانت أمينة نائمة وبين ذراعيها شهد..

ابتسم سليم في حنان... إن شهد قطعة من أمينة.. كأنها نسخة صغيرة ترقد في حضن الأصل الكبير الرائع..

ذهب ليأخذ حمامه قبل أن يعود إليها.. يجب أن يغتسل من تراب السفر وتراب نجع الحواويش وتراب لمسات لبنى البعيدة.. وبعد الاستحمام عاد إلى غرفة شهد ونور. عاد وركع أسفل فراش شهد وأخذ يرقب وجه أمينة النائم على ضوء

«الوناسة» الصغيرة التي لا ترضى شهد النوم وهي مطفأة.

أمسك سليم بيد أمينة وأخذ يقبّلها وهو يشكر خالقه ألف شكر..

أمينة بخير.. إن كان في قلبها حزن.. إن كان في عينيها دمع.. إن كان في رأسها غضب.. فهو جاء ليمحو كل شيء.. سليم سيضع زهرة مكان كل دمعة في عينَي أمينته.

وعاد يقبل كفّيها في حنان.. اشتاق إليها.. كأنه غاب عنها دهراً.. لو لم يكن لدى أمينة عمل في الصباح الباكر لحملها بين ذراعيه إلى فراشهما. ولكن يجب أن تنام.. يجب أن تصحو في موعدها الصباحي وقد أخذت كفايتها من الراحة والنوم.

ونظر سليم حوله كأنه يفكر.. هل ينام على الأرض أسفل فراشهما الصغير أم قرب نور في سريرها المجاور لتجده أمينة عندما تصحو في الصباح وتعلم أنه كان إلى جوارها..

وضغط على كف أمينة وهو يحاول النهوض من أسفل فراشها فشعرت به أمينة وانتفضت وهي تفتح عينيها. وللحال قال لها:

آسف صحيتك.. الظاهر إني عجّزت.. سندت على إيدك وأنا بأقوم.. نامي يا عمري..

سحبت أمينة كفها من بين أصابعه لتستدير وتأخذ شهد بين ذراعيها من جديد.. ودون كلمة واحدة أحكمت عليها الغطاء وأغمضت عينيها في صمت.

* * *

في السابعة صباحاً، الموعد الذي اعتادت فيه أمينة النهوض، كان سليم في غرفة مكتبه يقرأ أوراقاً وملفات قضاياه.. كان يجب أن يشغل نفسه ويبقيها مستيقظة حتى تفيق أمينة.. أعد لنفسه كوباً من القهوة وذهب إلى غرفة مكتبه.. سيعمل حتى تصحو أمينة وسينام بعد خروجها إلى البنك..

وفي السابعة والنصف، خرج سليم من غرفته يبحث عنها ووجدها ترتشف كوب قهوتها على الأريكة الذهبية فاقترب منها وقال:

أمينة.. صحيتي ولبستي وبتشربي قهوتك.. هو أنت ماعرفتيش إني رجعت؟!

وكأنها لا تسمعه أو تراه.. وضعت كوب قهوتها على الطاولة المجاورة ونهضت في هدوء. أخذت حقيبتها الصغيرة الملقاة جوارها فأمسك سليم بذراعها وقال:

أمينة؟!

وأجابته في صوت هادئ أجوف:

إحنا عندنا شغل كتير في البنك ولازم أنزل.

وعاد سليم يضغط على ذراعها في قوة أكبر قائلاً:

أمينة؟!

حاولت أمينة أن تسترة ذراعها إلا أن سليم ضمها إلى صدره وهو لا يجد ما يقول سوى اسمها. شعر بها تنتفض كأن تياراً كهربائياً اشتعل في أطراف جسدها وابتعدت عنه بجسدها وبقي ذراعها معلقاً بأصابعه. وقالت:

أوعي تلمسني.. فاهم يا سليم.. ما تلمسنيش..

وسقطت أصابعه من على ذراعها كأنها لطمته على وجهه بهراوة وتمتم:

إيه؟!

ومضت أمينة نحو الباب قائلة:

اللي سمعته.. أنا في أوضة البنات.. مالكش دعوة بيا يا سليم.. صوابعك دي ماتلمسنيش.. فاهم؟!

كان سليم غارقاً في ذهوله الذي أفاق منه وهي تفتح باب البيت فركض نحوها وقال:

مش حالمسك يا أمينة.. مش حتكلم معاك.. بس أنتِ كويسة.. فيه إيه؟!

وفي مرارة كبيرة أطلقت أمينة ضحكة صغيرة كأنها أنين محتضر لم يعرف كيف يبكي فضحك.. ونظرت إليه نظرة ساخرة أغلقت بعدها الباب في هدوء!

* * *

مضى أسبوع على عودة سليم. أسبوع وهو يدور حول نفسه كفراشة تحترق.. أسبوع وأمينة تعود في السابعة كل مساء.. تعود لتشيح بوجهها بعيداً عنه.. أسبوع لم يسمع منها كلمة واحدة.. أسبوع وهو لا يستطيع قراءة سطر من ملفات قضاياه.. أسبوع وخالها الدكتور أدهم حائر مثله.. سليم لا يستطيع أن يخبره عن سبب سفر أمينة إلى عزت.. إنه لا يعلم وأمينة طلبت منه ألا يخبر خالها قبل أن تلتقيها وقبل أن يعلما حقيقة الأمر ونهاية القصة..

سليم وأمينة يعلمان أن أدهم سيتألم كثيراً إن علم بعودة عزت إلى تلك السكندرية التي كانت سبباً في ألم أخته مديحة. أدهم مثله لا يعلم شيئاً. كل ما يقوله هو أن أمينة حزينة وأنها يوماً ستتحدث وتخبره أو تخبر زوجها بحقيقة ما يدور في رأسها. وحده عزت يعلم ولكن سليم حادث عزت ألف مرة ولم يسمع منه كلمة واحدة لها معنى..

عزت قال في هدوء إنه ألغى مشروع زواجه. عزت ترجّاه أن يصبر على صمت أمينة.. عزت قال له وهو يبكي، إن أمينة حتماً ستقول ذات يوم ما في داخلها. عزت أخبره أن أمينة بحاجة إلى حنان سليم إن كان يحبها وإلى عقله وصبره إن رأى ثورتها.

سليم وحده من يفقد عقله.. كم مرة توسل إليها أن تقول كلمة واحدة.. كم مرة بكى وهو يرجوها الرحمة.. سليم ينتفض خوفاً كلما رآها تدخل غرفة بنتيها في التاسعة كل ليلة لتغلق الباب بالمفتاح وتنام.. أسبوع لم تلتق أعينهما مرة واحدة.

ورغم هذا يشعر سليم أنه ليس صادقاً في محاولاته معها. يشعر أن بإمكانه أن يستنفرها للحديث.. سليم يعلم أن من الممكن أن يفتح شفتيها الصامتتين لكنّ بداخله خوفاً كبيراً.. سليم بداخله شك في أن تكون أمينة قد علمت بزواجه.

نعم.. لا خطأ في حياة سليم سوى لبنى.. سليم عبد المجيد لا جريمة في صحيفته الجنائية مع أمينة سوى لبنى.. لا شيء بإمكانه أن يفعل بها هذا سوى أن تعلم أنه خانها وخان نفسه وضم امرأة سواها بين ذراعيه..

لهذا هو يبكي وينتفض أمامها خجلاً وخوفاً ولكن إلى متى؟! إلى متى سيبقى يرقبها وهو ينتظر أن تتحدث؟! إلى متى يرقبها وهو يتمنى ألا تتحدث خوفاً من أن تعلن علمها بزواجه؟!

أما قالوا إن وقوع البلاء أرحم من انتظاره؟! يجب أن يكون رجلاً.. سليم سيخبرها أنه تزوج.. سيخبرها هو عن لبنى.. إن كانت تلك خصومتها معه فليعلنها قبلها وإن لم تكن فليضف هذه الجريمة إلى تلك الجريمة المجهولة التي تذبحه أمينة عليها بصمتها صباح مساء.. ولكن ماذا لو كانت أمينة حزينة من شيء آخر؟! ماذا لو كانت خائفة من شيء لا يعلمه؟! إن أخبرها عن زواجه بلبنى فسيغلق أمامها الطريق لترتمي بين ذراعيه.. سيحرمها من وقوفه إلى جوارها.

ودق سليم رأسه على وسادة فراشه في عنف.. يكاد يجن. يجب أن يكون لهذا الألم نهاية وإن كانت النهاية طعنة في قلبه.. لا يحتمل أبداً أن يحيا مع أمينة في بيت واحد وهو يراها ولا تراه.. يحادثها ولا تجيبه.. يبكي ولا تشفق عليه.. عند عودتها اليوم من العمل سيصرخ ويحطّم قلبه أمامها.. سيتناثر أشلاء صغيرة..

أمينة ستتحدث.. يعلم أنها ستحكي فقط إن هو تخلّص من خوفه وشكه في علمها بزواجه..

لن يدع صباحاً آخر يمر كهذا الصباح وهو مختبئ في فراشه حتى خروجها إلى البنك.. لن يدع مساء آخر يأتي وهو وحده في فراشه يسأل ويفكر ويتخيل أسباباً وقصصاً وأوهاماً.

سليم عبد المجيد ولد رجلاً وإن أرادت أمينة أن تقتله فليمت رجلاً.

ولكن ماذا لو عرفت بأمر زواجه بلبنى.. ما تراه يقول لها؟! كيف يفسّر ذلك؟! هل تفهم؟! هل تصفح؟! سيُطلّق لبنى من أجلها.. نعم.. أرادت يامنة أن يتزوج وينجب من امرأة أخرى.. تزوج ولبنى حامل.. حقق ليامنة الحلم.. انتهى دوره.. وانتهى دور لبنى أيضاً..

وعاد يدق رأسه في وسادته في عنف أكبر وألم أقسى..

ما ذنب لبنى ليطلقها؟ وهل ترضى أمينة بطلاقها؟

هل تعود إليه كما كانت؟!

وعاد سليم يهز رأسه في ألم..

أمينة لم تعلم بزواجه.. من أين لها أن تعلم؟!

أمينة لو علمت لما سكتت.. ما حدث حدث يوم ذهابها إلى عزت في الإسكندرية.. القصة لا صلة لها به أو بزواجه.. يجب أن يتحرر من خوفه.

هذا المساء وعند عودة أمينة سيقف أمامها بقوة.. بثقة.. من المستحيل أن تكون أمينة على علم بزواجه.. لن يهتز أمام جمودها ونظراتها الفارغة..

هذا المساء إما ستعود إليه أمينة وإلاّ فلن تعود أبداً..

لن يبقى أبداً يدور في هذه الدائرة السوداء المفرغة من الألم والحيرة..

وسمع طرقات على باب غرفته لتدخل بعدها صاري وهي تعلمه أن شخصاً ما يريده على باب البيت..

نهض سليم متثاقلاً من فراشه واتّجه إلى الباب، فتحه فوجد شخصاً يعلم جيداً من هيئته من يكون..

نظر سليم إليه في دهشة كبيرة. قال الزائر:

سليم بيه عبد المجيد؟!

وأومأ سليم رأسه بالإيجاب وسأله:

إيه اللي معاك دا؟

أجاب:

إعلان من محكمة الأحوال الشخصية والأسرة يا فندم..

دعوى طلاق مرفوعة من أمينة عزت عبد الرحيم.

وفي جنون جذب سليم الأوراق من يده وهو لا يفهم شيئاً. حتى إنه لا يعلم هل أمسك بالقلم ووقّع على تسلّم الإعلان أم طرد الزائر وأغلق في وجهه الباب.

سليم عبد المجيد اشتعلت في رأسه نار كبيرة جعلته لا يعلم كيف يقرأ أو أين يذهب.. سليم عبد المجيد اشتعلت في عينيه نار أكبر جعلته لا يرى صاري وهي تنظر إليه في خوف كبير وتسأله ما الذي يحدث.. سليم طار إلى غرفته ليمزق عن جسده البيجاما مرتدياً أول قميص وأول بنطلون ثم انتعل بلغته التي اعتاد انتعالها في البيت وركض والإعلان في يده.. ركض على سلالم البيت إلى شارع المرعشلي..

الحرائق ما زالت تشتعل في رأسه وفي عينيه وفي ساقيه اللتين أطلقهما للريح وهو لا يعلم إن كان يركض إلى مكان ما أو يركض من ألم حاد يمزق صدره. عبر شارع المنتزه إلى البنك. لا يعلم ماذا سيفعل ولكنه يعلم أنه هو الذي يتبع ساقيه.. لا هما اللتان تتبعان رأسه.. كان يركض مسرعاً كأن سياطاً حادة تمزق قلبه وجسده.. كان يركض في ألم كأن ألف أفعى وعقرب تلوك لحمه دون رحمة.

وبعد تسع دقائق تقريباً وجد نفسه عند باب البنك الأهلي سوستيه جنرال. دخل ووقف ينظر حوله بحثاً عن أمينة، عن مكتبها. لم يزرها يوماً في مكان عملها.. لم تكن صالة البنك مكتظة بالعملاء لكن كل من فيها شعر به، بأنفاسه المتقطعة.. بنظراته الزائغة وبتلك الأوراق التي ترتعش في كفه. وصاح صيحة كبرى جعلت الحاضرين يصمتون فجأة. صاح عندما رآها في مكتبها الزجاجي على بعد خطوات منه..

أمينة أصبحت مديرة خدمة العملاء، لها مكتب خاص أنيق في ركن صالة البنك.. صاح سليم بصوته الذي كان يهدر:

أمينة!

وركض نحوها. . ركض ووقف عند باب مكتبها فرأته وهو يندفع. وقفت ترقبه في ذهول وخوف كبير. . لم تره يوماً على هذه الحال لكنها عندما رأت في يده الأوراق أدركت ما حدث. .

كانت نهى تقف إلى جوار مكتبها تحمل بعض الأوراق التي كانت تعرضها عليها لكنها انتفضت في خوف عندما رأت ذاك المشهد وسمعت صوت سليم يهدر من جديد:

إيه دا؟ إيه دا فهميني؟!

وتركت نهى المكتب لتخرج وهي ترى الكثيرين يتابعون ما يدور في مكتب أمينة التي قالت في صوت مرتعش رغم برودته:

دا مكان شغل. . ودا إعلان قضية. . في البيت ممكن نناقش مشاكلنا. . هنا شغل. . شغل يا سليم. .

لم يستطع سليم أن يفهم. . بل لم يكن سليم هو الذي يقف أمامها. . من كان أمامها كان ذئباً جريحاً. . من كان أمامها كان نمراً مطعوناً لا يعرف كيف يصل إلى الخنجر الذي رشقوه في قلبه ليُخرجه أو حتى ليحكم إغماده فيموت ويتخلص من نزف عروقه وتمزقها. .

وعاد يزأر من جديد:

إيه دا يا أمينة؟! إيه دا؟!

وبلمحة رأت كل العيون ترقبهما. . وأرخت أمينة عينيها وهي ترتجف أكثر وقالت:

أرجوك يا سليم روح وأنا جاية وراك. . أنا حاستأذن وأسلم الشغل لحد وآجي وراك. . أرجوك تمشي. .

والتفت سليم من زجاج مكتبها إلى كل الوجوه التي كانت ترقبهما وألقى نظرة إلى قدميه ليجدهما في بلغته المنزلية وشعر بألم كبير يجتاحه على نفسه وعلى رجولته وكرامته وألقى بالورقة في وجه أمينة ونكس رأسه وخرج في صمت. .

رمت أمينة بجسدها على مقعدها. . لن تنهار. . لن تنكسر. . قصة أمينة مع سليم لم تنته بعد لتنهار. . وفي كل الهدوء الذي استطاعت سكبه على نفسها، أخرجت هاتفها الصغير وبحثت فيه عن رقم ما ثم قالت:

أستاذ صفوت؟! أنا أمينة عزت. أيوه. . أستاذ صفوت أنا عايزة أكون ضيفتك النهارده في برنامج «قضية الساعة».

وبعد لحظات عادت تقول:

حاضر حاكلمك كمان ساعة. . شكراً. .

كان جسدها ينتفض. . كان قلبها يترنّح. . كانت تتألم وهي ترى نفسها تتألم على سليم.

سليم لا يستحق ألمها. . لا يستحق رثاءها.

سليم خائن ضئيل. . لا خائن يستحق الشفقة. . ولا ضئيل يستحق الرثاء.

قصة أمينة عزت مع سليم عبد المجيد لم تنته.

قصتها الحقيقية معه بدأت هذا الصباح!

* * *

لاحت على وجه سليم ابتسامة رغم دمعاته الصغيرة التي كانت تسقط على وجنتيه..

منذ لحظات كان يركض كالمجنون في طريقه إلى أمينة في مقر عملها. وها هو الآن يشعر أنه يكاد يحبو على أرصفة الشوارع في طريق عودته إلى البيت..

في لحظات كان ثائراً كالبركان وفي لحظات أصبح هامداً كحبات رماد حريق أطفأه بدمه وشظايا لحمه..

لحظات صغيرة هي التي تفصل بين الهدايا والكوارث..

لحظات صغيرة هي التي تفصل بين الحمم والحقول.. لكنها لحظات ليست كاللحظات.. وخطا في هدوء على سلالم البيت ليأخذ المصعد إلى بيت كان قبل أيام أملاً وملاذاً وأصبح كابوساً وجثماناً.. أغلق خلفه باب المصعد جاراً ساقيه اللتين كان يلهث خلف ركضهما قبل قليل وهو يتمنى أن يصل بهما إلى داخل البيت قبل أن تخذلاه ويسقط على أقدام المصعد..

ووقف أمام باب أدهم وهبي.. هل يدخل إليه؟ هل يخبره؟ ولكن ما عساه يقول.. سيدخل وينتظر من لديها الخبر..

وألقى بجسده على أول مقعد استطاع الوصول إليه في ريسبشن البيت واضعاً وجهه بين كفيه محاولاً أن يستعيد ما حدث.. حاول أن يستعيد كل كلمة قرأها في إعلان القضية وكل كلمة باردة جوفاء لا معنى لها من كلمات أمينة..

وبعد لحظات طويلة فتح عينيه لينظر إلى بلغة قدميه.. كيف خرج بها إلى الشارع؟ كيف ركض بها إلى البنك؟ وكيف زحف بها عائداً إلى هنا منفذاً ما طلبته أمينة؟! وسمع آهة حزينة تخرج من صدره.. أمينة؟!

أمينة تفاجئه بإعلان دعوى طلاق. لماذا؟!

هل أرهقها حبه؟! هل ملّت حنانه؟! هل زهدت في جسده؟! أمينة؟!

وعاد يلقي برأسه بين كفيه في جنون.. هل حقاً يُحرم منها؟ هل يحيا بدونها؟! هل حقاً تريد التحرر منه ومتى كان سليم قيداً في معصمها؟!

انتفض سليم في ذعر وهو يسمعها تقول:

أيوه يا سليم.. عايز إيه؟! عايز تعرف إيه؟!

لم يشعر بدخولها.. إن كان سليم لم يشعر بثوراتها وأحاسيسها التي أوصلتهما معاً إلى هذه النقطة السوداء، فلمَ يصيبه الذعر لأنه لم يشتم عطرها أو يسمع خطواتها حين دخلت؟

وقف الذئب الجريح وهو يترنح في ألم دون أن يخطو نحوها وقال في صوت مذبوح:

عايز أعرف ليه؟! عايز أعرف أمتى؟! عايز أعرف إزاي؟

عايز أعرف إجابة لكل أدوات الاستفهام الصغيرة واللي عمري ما تخيلت إنها ممكن يكون لها مكان بيني وبينك..

وجلست أمينة على مقعد بعيد وقالت في هدوء:

فاكر لما رحت للدكتور عشان أكرر محاولة الحمل تاني..

فاكر لما كلمك وحذرك وحذرني من الحمل تاني.. أنا عرفت أن قدامي فرصة أو اتنين بالكتير في عمري كله أجرب فيهم الحمل وبرضة مع وجود خطر كبير على حياتي.. عارف يا سليم أنا ليه عرّضت عمري للخطر في حملي في نور؟! عشان أخلف ولد..

وعاد سليم يلقي بجسده على مقعده في تهالك وذعر.. هل علمت أمينة بزواجه؟ وقبل أن ينطق حرفاً أكملت أمينة:

عايزة أخلف ولد مش عشانك ولا علشان طنط يامنة زي مانت فاهم.. لأ.. عايزة أخلف ولد علشان نفسي يكون عندي ابن.. نفسي يكون عندي راجل لما أكبر أحط إيدي في دراعه.. لما يكبر أقول ابني ومراة ابني وعيال ابني.. لما يكبر أشاور عليه وأقول الراجل دا أنا اللي ربيته.. أنت يا سليم راجل خلفته بنات. العلم بيقول كدا.. ولأن القدر بيقول إن جسمي ما يستحملش تكرار الحمل.. الفرص القليلة اللي عندي عايزاها تكون مع راجل سبق وخلف ولاد..

كان سليم ينظر إليها في بلاهة.. كان يسمعها في ضياع.. لا كلمة تصله كما يسمعها.. لا حرف يُترجم رأسه معناه بسرعة الكلمات والحروف..

أمينة تريد الطلاق لتنجب ذكراً؟ أمينة تريد الزواج من رجل آخر؟!

لا شيء حقاً يشكّل في رأسه معنى واضحاً.. ونظر إليها في خوف وفي ألم كبير وقال:

تطلبي الطلاق عشان تتجوزي يا أمينة؟! تتجوزي عشان تخلفي ولد؟!

وقالت في تهكم شديد ومرارة أكثر شدة:

ما هو أنا ما ينفعش أتجوز عليك!!

وانتفض سليم عندما سمعها تقولها.. أمينة تعرف أنه تزوج.. سيصارحها.. سيواجهها بالحقيقة وحاول أن يفتح شفتيه لكنه لم يجرؤ وعادت أمينة تكمل في صوتها الساخر الهادئ:

أنا عارفة أنك متخيل إن دا هو اللي كان لازم تعمله أنت..

أنا عارفة قد إيه ولد عند الراجل وفي الصعيد كمان حاجة كبيرة ومهمة وعارفة ضغوط طنط يامنة وحلمها.. لكن يا سليم الفرق بيني وبينك هو أنك ممكن في أي وقت تخلف.. في أي وقت تجرب.. لكن أنا لأ؟ أنا ست.. في عمر معين حيبقي مستحيل أحمل وأولد.. وبعدين أنا وأنت بوصفنا ناس متعلمين وفاهمين عارفين إن جنس المولود بيحدده الراجل مش الست..

وصمتت لحظات ثم تابعت:

أنا آسفة يا سليم.. بس مافيش حاجة شخصية بيني وبينك.. أنا بس عايزة أمارس حق ربنا أدهولي..

وقال سليم في ذهول:

مافيش حاجة شخصية بيني وبينك؟! مافيش حب.. ما فيش عشرة؟! مافيش عشق؟!

بالبساطة دي؟! سليم بيخلف بنات يبقى أجرب راجل تاني يخلف أولاد؟! أنت مين؟! أنت مين؟!

وبابتسامة أكثر مرارة قالت:

ورحمة أبوك يا سليم لو العيب مني مش منك كنت حتعمل إيه؟! لو أنا المسؤولة عن خلفة البنات مش كنت حتتجوز؟! مش كنت حتنسي الحب والعشرة والعشق اللي بتتكلم عنهم ورحت اتجوزت واحدة واتنين وتلاتة كمان وجربتهم واحدة واحدة ولا كنت حترضي بقسمتك؟! سليم.. الموضوع انتهى!!

نهض سليم عن مقعده كأنه استعاد بعضاً من قوته ليقترب منها صارخاً:

ما انتهاش.. ما انتهاش يا أمينة.. عايزة تتجوزي راجل تاني.. والبنات يا أمينة؟ وأنا؟! وأنتِ؟! سهل يا أمينة؟! راجل يروح وراجل ييجي.. طب أنا وكان حب.. التاني يبقى إيه؟ بيزنس؟! أمينة؟!

وفي سخرية قالت:

مش عارفة؟! للأسف أنت أول راجل في قلبي وعلى جسمي.. ماعرفش طعم الراجل التاني يبقى إيه؟! ولا أنت تعرف يا سليم.. يبقى بلاش نتكلم في النقطة دي.. البنات؟! البنات لما ألاقي اللي اتجوزه نتكلم عن مصيرهم.. عايزهم خدهم.. يوم من الأيام حيسامحوني لما يعرفوا إني ضحيت بيهم عشان أقدملوهم أخ.. راجل.. راجل يا سليم.. راجل حقيقي.. أنت ما تعرفش الست عايزة راجل قد إيه؟! أنا

اتحرمت من العم والأخ عشان كدا.. ما كانش ممكن أحرم نفسي من الابن وأحرم بناتي من الأخ.. عارف لو العيب فيا أنا.. كنت قلتلك تتجوز.. لكن مافيش حل تاني..

وصمتت أمينة لحظة لتبتلع دمعة لاحت في عينيها ثم قالت في حدة وهي تنظر في عينيه:

أنا عايزة راجل.. راجل يا سليم يا عبد المجيد!!

* * *

في أحد استديوهات مدينة الإنتاج الإعلامي بمدينة السادس من أكتوبر، وقف صفوت حسني إلى جوار أمينة قبل ظهورهما على الهواء ليقول لها في إشفاق صادق:

مدام أمينة.. اللي أنتِ بتقوليه دا سبق ونجاح كبير للبرنامج بتاعي.. بس بحكم حبي واحترامي الكبير ليكِ لازم أقولك إنه شيء كبير وجارح لحياتك وحياة اسرتك كلها.. أنت عارفة دا مهين لكرامة جوزك وخصوصاً إنه رجل قضاء و..

وقاطعته أمينة في هدوء:

لو ما كانش اللي حقوله شيء كبير ماكنتش أبداً لجأت لبرنامج كبير زي بتاع حضرتك يا صفوت بيه.. برنامج الملايين بتتفرج عليه كل ليلة..

وفي لحظة شهقت أمينة كأنها تذكرت أمراً مهمّاً فقالت على عجل:

أستاذ صفوت.. لازم أعمل مكالمة مهمة ممكن؟!

ردّ:

اتفضلي برا.. جوا الاستديو هنا مافيش إرسال.. قدامنا خمس دقايق ونبقى على الهوا.

وخرجت أمينة وهي تحمل هاتفها الصغير وفي اللحظة التي التقط فيها الإرسال طلبت رقماً ما، وقالت:

أزيك يا طنط يامنة؟! إحنا كويسين الحمد لله.. طنط.. أنا عارفة إنك بتسهري.. عايزاكي تتفرجي على التليفزيون كمان خمس دقايق حتلاقيني في برنامج «قضية الساعة».. عارفاه؟! طيب من فضلك اتفرجي عليه وابقي قوليلي رأيك..

كان صوتها هادئاً لكنه كان ينتفض. يامنة يجب أن تسمع بنفسها ما ستقوله أمينة.. يامنة يجب أن تعلم أنها بجهلها دمرت أسرة. لكن أمينة اليوم قد تمنع يامنات آخريات من سحق كرامة نساء آخريات يُقتلن بتهم لا يد لهن فيها..

ورأت أمينة أحدهم يركض نحوها ليطلب منها سرعة العودة إلى الإستديو..

دخلت وجلست على مقعد جلدي كبير في مواجهة صفوت حسني أشهر مذيع لأشهر برنامج يشاهده الملايين.

وضعت أمينة ابتسامة صغيرة هادئة على وجهها الأبيض الرقيق.. كانت جميلة أنيقة.. ترتدي قميصاً حريرياً أبيض يطل من خلف جاكيت من اللون الكحلي الأنيق.. كان شعرها مرفوعاً في شينيوه بسيط وكان القرطان الألماسيان يبرقان على أذنيها الجميلتين.. وفي هدوء استمعت إلى صفوت حسني وهو يقدم قصتها قائلاً في صوته العميق القوي:

«قضية الساعة» قضية مهمّة جداً. شخصياً أكلتني الدهشة عندما علمت بها.. بطلة القضية اليوم بطلة حقيقية بمعنى الكلمة

لأنها امرأة صغيرة شابة لها مركز مرموق وزوجة لرجل ناجح متألق أيضاً يشغل مركزاً كبيراً ومرموقاً. بطلة القضية اليوم تطلق من ستوديو برنامج «قضية الساعة» صرخة كبيرة تصحح بها خطأ وقعنا فيه أعواماً كبيرة وظلمت بسببه سيدات كثيرات ليس في مجتمعنا المصري وحده ولكن في المجتمع العربي والشرقي بأكمله..

وتابع:

بطلة القضية أم لفتاتين صغيرتين.. أم ترى أن من حقها أن تنجب ذكراً.. ولأن هذه المرأة على قدر من الوعي والعلم فهي تعلم أن تحديد نوع الجنين مسؤولية الرجل وحده وليس كما اعتدنا جميعاً أن نظن... موجهين أصابع المسؤولية إلى المرأة وحدها.. الرجل الذي ينجب بنت أو اتنين أو تلاتة بيعمل إيه يا مدام أمينة؟!

وفي هدوء ردّت أمينة:

بيتجوز ست تانية.. المجتمع والأهل والأصدقاء يقولوله لازم تخلف ولد.. عشان يشيل اسمك واسم اسرتك.. بيقال ليه اتجوز ست تانية.. بينسى ان المرأة لا صلة لها في هذه القضية يا أستاذ صفوت.. إما بيطلقها ويسيب البنات ويهملهم ويسحق كبرياءها وأنوثتها أو على أحسن الافتراضات بيتجوز واحدة تانية تنجب الذكر ويسيب أم البنات على ذمته.. جهل وظلم لا مبرر لهما.

وطرح صفوت السؤال التالي:

إيه الجديد اللي حضرتك عملتيه؟!

ورفعت أمينة رأسها وهي تقول:

رفعتُ دعوى طلاق لأن زوجي لا ينجب الذكور.. والعلم والطب اثبتا منذ أعوام طويلة أن المرأة ليست مسؤولة عن تحديد نوع الجنين. وبما أن الرجل هو المسؤول فهذا يعني إنه إذا أردت إنجاب ذكر فيجب أن أتزوج رجلاً قادراً على هذا.. وحيث إن زوجي من الواضح أنه يعاني من هذا العجز، وحيث إني أنا أيضاً أريد إنجاب ذكر.. ونظراً لبعض المخاطر الصّحية التي أتعرض لها عند تكرار حملي، أريد الاستفادة من الفرص القليلة المتاحة لي مع رجل آخر بإمكاني أن أحقق معه حلمي.

وطال النقاش بين أمينة وصفوت حسني وتوالت المداخلات الهاتفية، وفي الاستديو، انضم إلى أمينة مختصّ كبير في طبّ النساء والتوليد وتحدث اكثر من طبيب آخر لجأ إليهم صفوت عبر الهاتف. بعضهم أقر ما تقوله أمينة وبعضهم الآخر تحدث عن افتراضات طبية وحدها تعلن أنه ما زال في هذه القضية أجزاء لم يصل لها العلم بعد، إذ قال أحد الأطباء «إن العلم لم يصل بعد إلى الشيء الذي يجعل أنثى دون غيرها تستقطب كروموزم y أو كروموزوم x ليتّحد مع كروموزوم x الذي تنتجه المرأة ليكون الجنين ذكراً أو أنثى».

وأضاف الطبيب «ربما كان الرجل وحده هو المسؤول ولكن لا حقيقة مؤكدة مما يجعل الأمر مسؤولية مشتركة بين الزوج والزوجة».

وعاد الأستاذ صفوت يتصل برجال الدين الذين أجمعوا على

أن انجاب الذكور أو الإناث هو قرار إلهي بحت ورزق مقدّر لكل رجل أو امرأة، مستندين في ذلك إلى قول المولى عز وجل في كتابه الكريم **﴿يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وأناثاً ويجعل من يشاء عقيماً﴾**.

أطراف كثيرة تتحدث ومحاور عدّة تُثار في هذه القضية وأمينة تعلن أن قضيتها هي صرخة كل امرأة يلومها المجتمع على إنجاب الإناث.. صرخة تريدها أن تصل إلى كل امرأة لتعلم أنها ليست مسؤوليتها ولا خطيئتها.. أمينة تعلن أن كل رجل يجب أن يفيق من موروثات شرقية عتيقة تُجلد بها النساء حتى عصرنا هذا..

وفي منتصف الحلقة، أعلن صفوت حسني عن مكالمة من بلد عربي وصمتت أمينة وصمت الدكتور مصطفى شكري طبيب النساء والتوليد الموجود في الاستديو بصحبتهما ليسمعا صوتاً نسائياً يقول:

أنا الدكتورة سهام حمزة شحاتة من السعودية، أحيي السيدة أمينة عزت وأريد أن أخبركم بقصتين حقيقيتين مرتا في حياتي.

القصة الأولى كانت في طفولتي وما زالت محفورة في رأسي وعينَي حتى اللحظة.. لا أخ ذكراً لي. نحن خمس بنات وأذكر في أحد أيام طفولتي سمعت عمي رحمه الله يقول لوالدي الذي كان شاعراً ومن رموز المملكة، إنه يجب أن يطلق زوجته التي هي أمي.. قال له إن أمي سيدة لا تنجب إلا البنات ولهذا يجب عليه أن يتخلص منها.. خمس بنات يلقى بهن إلى المجهول.. وامرأة تنجب وتنجب لإرضاء زوجها وتحقيق حلمه.. تحمل

وتلد وترضع وتربي وتفني عمرها وصحتها لتحقيق حلمه الذكوري، وفي النهاية يطالبونه بتطليقها لجريمة كبرى هي أنها لا تنجب الذكور.

وتابعت:

أنا لن أعلق على هذه القصة ولكن أترك لكم الحكم عليها.. أنا فقط سأخبركم بالقصة الثانية التي حدثت بعد التحاقي بالعمل كطبيبة في المستشفى العسكري بالرياض، وقد جرت في مطلع الثمانينيات. جاءت إلى المستشفى امرأة مصابة بعشر طلقات من الرصاص في أنحاء متفرقة من جسدها وحين سألنا من أطلق عليها الرصاص، علمنا أنه زوجها.. أيها السادة كانت المرأة تصارع الموت وترجونا ألا ننقذها.. كانت تتمنى الموت وترفض الحياة والسبب أنها كانت أمّاً لأربع بنات وعندما حملت للمرة الخامسة أقسم عليها زوجها بالطلاق أن أنجبت له الأنثى الخامسة.. في ذاك الوقت لم يكن هناك «سونار» أو أشعة تليفزيونية توفر فرصة معرفة الجنين، ولكم أن تتخيلوا كيف تحيا امرأة وأمّ لأربع فتيات صغيرات أشهر الحمل التسعة في رعب كبير من أن تكون وليدتها أنثى فتُشرّد هي وبناتها الخمس.. لكم جميعاً أن ترسموا صوراً لأيام الخوف والترقب وليالي الألم والدمع التي عاشتها تلك السيدة حتى جاءت لحظة تقرير مصيرها وهي لحظة الولادة.

وأكملت:

السيدة لم تنجب فتاة.. السيدة أنجبت توأمين من البنات وعندما حاول البعض التخفيف عنها وعن ذاك الزوج الأحمق

أخبروه أن قسم الطلاق لن يقع لأنه أقسم بالطلاق إن أنجبت فتاة وهي أنجبت فتاتين.

وبعد لحظات قصيرة من الصمت، أكملت الطبيبة بصوت متهدج حزين:

جن جنون الزوج لأنها انجبت فتاتين ولأنها ما زالت في عصمته، فاستلّ سلاحه وأطلق عليها عشر طلقات نارية.. يريد قتلها على ذنب لم تقترفه.. والأبشع أنه وصل بأمّ بين ذراعيها ست بنات صغيرات إلى حالة من اليأس جعلتها تطلب الموت وترفض إنقاذها لأنها ترى الموت أرحم من هذا الإذلال والظلم الكبير.. أيها السادة أنا أشكر السيدة الفاضلة وسواء أثبت الطب أم لم يثبت مسؤولية الرجل الكاملة عن تحديد نوع الجنين فالمرأة لا دخل لها بصورة من الصور ولا مسؤولية عليها.. يجب أن تتغير هذه النظرة الجائرة ويُرفع هذا الظلم من على كاهل النساء.

وأضافت:

قضية السيدة أمينة قد تحرر نساء كثيرات من ذنوب لا ذنوب لهن فيها.. أنا لا أراها قضية شخصية بل أشعر أن السيدة الفاضلة الموجودة معكم قد لا يكون بداخلها أي رغبة في الزواج من رجل آخر وقد لا تكون لديها حتى الرغبة في انجاب ذكر. ولكن قد يكون كل ما يحركها هو اللوم الذي تتعرض له كل يوم كأنها تُجلد بخطيئة ما اقترفتها وذنب ما حملته، والجاني وحده كان جلادها.. أنا أراها فقط تصرخ أنها بريئة وأنا معها ومع أمي ومع كل امرأة في مجتمعاتنا العربية والشرقية قد تخجل وهي تعلن أنها لم تنجب ذكراً.

وختمت الدكتورة مداخلتها:

ليس ذنب النساء وليست خطيئتهن فلمَ نجلدهن ونعاقبهن؟ أما قالت زوجة أم حمزة من أكثر من ألف عام عندما كرهها زوجها بعد إنجابها البنات وأصبح لا يدخل بيتها زهداً فيها وتحقيراً لها:

مالِ أبي حمزة لا يأتينا ... أغضبان ألا نلد البنينا

إننا مثل الأرض لزارعينا ... نُنبت ما غُرس فينا

إن كان هذا ما قالته من مئات مئات الأعوام فكيف نريد أن نحقق الريادة والسيادة ونحن ما زلنا نطّلق نساءنا ونجلدهنّ ونذبحهنّ بتهمة انجاب الإناث دون الذكور!

أيها السادة.. بقي شيء أخير أخبركم به. فبعدما تم طلاق أمي من والدي رحمه الله وتزوجت برجل آخر أنجبت ذكراً ولم ينجب والدي سوى البنات رغم زواجه مرتين. وعمّي أيضاً رحمه الله ما أنجب سوى البنات!

* * *

كانت لبنى تنظر في ذهول إلى وجه يامنة وهي تصيح وتنعت أمينة بالمجنونة والفاجرة. وعندما أخبرتها يامنة أن من تراها على شاشة التليفزيون هي أمينة زوجة سليم زاد ذهولها واضطربت أنفاسها..

لم يشغلها كثيراً ما تسمعه لأنها لم تفهم الكثير مما يدور.. كان كل ما يشغل رأسها هو تشريح أمينة قطعة قطعة.. عيناها أجمل من عينَي لبنى.. شفتاها أرق.. لونها أكثر بياضاً واشراقاً.. صدرها المختبئ أيضاً يبدو أكثر استدارة وامتلاء من صدر لبنى الصغير.. ملابسها الأنيقة..

وشهقت لبنى شهقة صغيرة مجنونة.. أمينة لا خطأ فيها.. أمينة لا عيب فيها.. أمينة تبدو مثل نجمات السينما ولبنى إن وضعوها إلى جوارها فلم يمنحوها حتى دور كومبارس صغيراً..

لبثت تنظر إلى شعر أمينة المرفوع فوق رأسها. إنه يبدو خفيفاً ليس في غزارة شعر لبنى الأحمر، ومن المستحيل أن يكون في طوله..

لبنى شعرها أجمل!! وشعرت أنها تهدأ قليلاً.. لكنها عادت تثور من جديد وأنفاسها تتلاحق عندما اعتدلت أمينة أمامها وهي

تضع ساقاً على ساق.. ساقاها بيضاوان رائعتان.. لبنى ساقاها سمراوان رفيعتان.. بل هي حتى لا تعرف كيف تجلس واضعة ساقاً فوق الأخرى..

وصاحت يامنة في جنون وهي تمسك بالهاتف وأفاق لبنى صوت صياحها قائلة:

شايف يا سليم مرتك المجنونة بتقول إيه على التليفزيون؟!

وزاد وجه لبنى شحوباً وهي تسمع يامنة تصيح:

هو أنت ما تعرفش عاد؟ دا هي كلمتني وقالتلي اتفرج عليها في برنامج «قضية الساعة» بتاع الجدع الفاجر اللي زيها اللي اسمه صفوت.. افتح التليفزيون واسمع بنفسك بيقولوا إيه عليك يا سيادة المستشار يا حضرة القاضي يا ابن عبد المجيد أبو عمران.. شوف مرتك بتمرغ سمعتنا وسمعة عيلتنا كيف في التراب يا سليم!

* * *

في الحادية عشرة قبل الظهر، ألقت نهى بقلمها على المكتب في ضجر وهي ترقب إلهام زميلتها في البنك تتقدم نحوها ورفعت رأسها لتقول قبل أن تفتح إلهام شفتيها:

ماعرفش حاجة.. والله العظيم يا إلهام ما أعرف حاجة.. زيي زيكو.. شفتها في البرنامج امبارح.. وزيي زيكو شفت سليم لما جالها الضهر هنا.. ماعرفش حاجة..

وردّت إلهام:

أنا عارفة انك ماتعرفيش حاجة لكن تعرفي اللي يعرف.. خالد.. خالد شكري اللي كان خطيبك ما هو اتكلم في البرنامج عالتليفون.. كلميه عشان خاطري واسأليه..

وأكملت في خجل:

ويمكن تكون فرصة والمية ترجع لمجاريها..

وانتفضت نهى عن مقعدها وحملت حقيبتها وهي تقول:

أنا ماشية.. حاستأذن وماشية!!

وفي طريقها إلى خارج البنك، وقفت نهى عند باب مكتب أمينة الزجاجي.. حتى وجه أمينة بدا في عيني نهى قطعة من الزجاج ودخلت إليها فسمعت أمينة تقول في هدوء:

فيه حاجة يا نهى؟!

تقدمت نهى نحو مكتبها وحقيبتها على كتفها وقالت في ألم:

ليه.. ليه تعملي في نفسك كدا.. ليه يا أمينة.. عشان حلوة.. عشان جميلة فاكرة انك ممكن تتطلقي من سليم وتشاوري لأي راجل يتجوزك عشان تخلفي ولد.. ليه ليه يا أمينة؟!

تنهدت أمينة. نحن نحيا ونموت بعقدنا النفسية.. نحن لا نبرأ منها.. نحن فقط قد نستطيع أن نتعايش معها ونعيش بها ولكن لا أحد يبرأ من عقدته.

ونظرت أمينة إلى نهى وقالت:

لأ.. مش عشان حلوة.. عشان دا حقي.. زي ما حقك كان أنك تعيشي وترتبطي بخالد اللي بيحبك وتحبيه.. سبت أنت حقك يا نهى عشان الوهم أنا مش حاسيب حقي عشان الوهم..

وفي ألم كبير ردّت نهى:

وليه خالد؟ اخترت خالد ليه عشان يكون المحامي بتاعك.. خالك مستشار وبدل المحامي يعرف عشرة.. ليه خالد يا أمينة..

ولم تفهم أمينة سؤال نهى فقالت في هدوء:

لأنه محامي شاطر.. لأنه راجل هايل.. لأن خالي المستشار لو كان حيرشح حد ما كانش حيرشح لبنت أخته حد غيره.. خالد شكري راجل هايل..

ودون أن تنبس بكلمة تركتها نهى وغادرت البنك..

لو كانت أمينة أقل جمالاً لما تركت سليم، ولما كانت بهذه الثقة التي تجعلها تثق أن رجلاً سيرضى بها وهي مطلقة وأم

لفتاتين وامرأة أثارت زوبعة وفضيحة لرجل في مركز سليم عبد المجيد.. جمال أمينة ليس نعمة إطلاقاً.. ولكن نهى ليست في جمالها ولم يمنعها هذا أيضاً من أن تترك رجلاً مثل خالد شكري.. تتركه وهي تعلم أنه هدية لن تطرق بابها مرة أخرى.

الجمال ليس هو القضية.. القضية الحقيقية هي البصيرة. البصيرة تجعلك ترى نفسك وتجعل من حولك يرونها كما تراها وكما هي عليه.

وسقطت دموع نهى وهي تقود سيارتها وفجأة عادت كلمات أمينة تطرق رأسها «راجل هايل».. أمينة تعلن إعجابها بخالد شكري.. خالد شكري لم ينجب سوى ذكر.. هل تفكر أمينة حقاً في الزواج منه. هل تأخذ منها خالد شكري؟

ولكن نهى هي التي تركته.

هزت رأسها في جنون.. أمينة ليست بهذه البشاعة.. خالد ليس بهذه الدناءة.. لن تترك شوقها إليها وحيرتها وصدمتها في أمينة تجنح بها إلى هذا الحد..

أوقفت نهى سيارتها على جانب أحد الشوارع وألقت برأسها بين كفيها وبكت في جنون..

أمينة عزت لم تهوَ سليم عبد المجيد كما يجب أن يكون الهوى والعشق.. أمينة عزت تعشق جمالها فقط ولكن نهى وحدها أحبّت خالد.. مع خالد أصبحت نهى جميلة.. نهى سليمان وحدها التي تعرف ما هو الحب الحقيقي!

***

كانت أمينة تنظر نظرة ملؤها الألم إلى مياه النيل الرابضة تحت نافذتها. لم يعد نيل شارع المنتزه يبتسم لها.. ما عادت ترى على وجهه ابتسامة.. وجه النيل حزين يبكي في صمت.. على وجهه دمع فاض حتى أصبح النهر نفسه..

وفي هدوء استدارت كشبح جاء يطرق الأبواب. جلست إلى سكرتيرتها البنية وأخرجت دفتر رسائلها إلى أمّها. مضت أيام لم تكتب لها فيها شيئاً.. منذ ذاك الصباح الذي أخبرتها فيه أنها في طريقها إلى الإسكندرية لتلتقي هالة، لم تكتب لها كلمة.. وسقطت دمعات أمينة على الأوراق وأمسكت قلمها وكتبت:

أمي..

مر أكثر من شهر لم أكتب لك فيه كلمة.. مر أكثر من شهر على عودتي من لقاء تلك المرأة اللعينة التي ذبحتك منذ أعوام طويلة وعادت بابنتها لتذبحني أنا أيضاً.

مر شهر تقريباً على ظهوري في حلقة «قضية الساعة».. مر شهر وأنا أذهب ومعي خالد شكري إلى استديوهات القنوات المختلفة وندلي بعشرات الأحاديث الإعلامية والصحفية..

أصبحت أنا وخالد مشهورين في الوقت نفسه الذي نكره فيه الشهرة والمشهورين . .

شهرتي جاءت على جثتي وجثتَي ابنتَيّ . . لكني لست نادمة . . لست نادمة أبداً . . سمعت من القصص ما مسح دمعي . . سمعت من قصص الألم ما خفف ألمي . .

كم امرأة تم طلاقها لإنجابها البنات . . كم امرأة تم إذلالها لإنجابها الإناث . . كم امرأة بكت وحزنت وقتلها الشعور بالدونية والعجز لذنب لم ترتكبه؟!

كثيرات يا أمي . . كثيرات ولكن ما من امرأة فيهن أحبت رجلها كما أحببت أنا سليم عبد المجيد . .

قضيتي تنظر في ساحة المحكمة . . أخبرني خالد أن الحكم سيصدر خلال اسبوعين . .

سليم لم يدخل البيت منذ ذاك الصباح الذي تسلّم فيه إعلان القضية . .

سليم لم يتصل بي أو بابنتينا مرة واحدة . .

خالي أدهم يموت . . أخبره بابا بالقصة كلها بعد أن رآني على شاشة التليفزيون . . خالي يبكيك ويبكيني كل يوم ويبكي سليم ويحادثه ألف مرة ولكن سليم لا يرد أبداً . .

خالي عنف خالد شكري لكنه في النهاية أخبره أني وحدي أحمل خطيئة ما حدث . .

خالي بكى وهو يخبرني أنه كان يتمنى لو كنت في قوتك . .

خالي أدهم كان يريدني أن أسحق لبنى كما سحقت أنت هالة يوماً . .

وحدك يا أمي تعلمين أن بقاء بابا معنا طوال هذه الأعوام ما سحق قلباً سوى قلبك أنت . .

المسكين بابا يحادثني كل صباح ومساء . . انه يبكي في جنون . . المسكين يشعر أنه مسؤول عما حدث . . فقد هالة هو أيضاً وعاد عجوزاً كما تركته يوم موتك . .

آه يا أمي . . أصبحنا جثتين وقاتلتنا واحدة . . كل شيء في ابنتك مات ولكن رغم كل هذا الموت ما زلت افتقد سليم . .

رغم إيماني بكل ما فعلت، ما زلت أبحث عنه بعيني في كل مكان أذهب إليه .

برغم الموت يا أمي ما زال سليم عبد المجيد يحيا في عروقي!

* * *

لم تقاوم يامنة طويلاً. رغم رفضها في البداية فقد جعلها دمع لبنى وتوسّلاتها ترضى..

لقد حادثت علي وطلبت منه أن يصطحب لبنى وأمها إلى طبيب في قلب سوهاج لإجراء سونار لها.

لبنى قالت لها وهي في الطريق إلى الطبيب إنها يجب أن تعلم نوع جنينها.. إن كان ذكراً فوحده هذا النبأ قد يعيد إلى سليم بعضاً من رباطة جأشه وقوته..

منذ تلك الليلة التي حادثته فيها يامنة لتخبره عن وجود أمينة على شاشة التليفزيون، لم يأت سليم. أخبرهم أنه سيذهب إلى الإقامة لدى أحد أصدقائه.. أخبرهم أنه لا يستطيع أن يدخل نجع الحواويش ولا شارع المنتزه بعد ما حدث. أخبرهم أنه تعلم كيف يبقى أياماً في غرفة مكتبه وحيداً يقرأ ويدرس قضاياه في هدوء قبل إصدار الحكم.. وأنه يجب أن يبتعد عن كل من ظلمهم وظلموه حتى يصل إلى حكم أقرب إلى الصواب يخرج به ويعود إلى مواجهتهم ولقائهم وعلى رأسهم أمينة عزت.

لبنى لم تهدأ منذ أعلن سليم ابتعاده عن الجميع.. لبنى ما هدأت دموعها وتوسّلاتها ليامنة صباحاً ومساء.. لبنى تريد أن

تعلم نوع جنينها.. ولكن ما الخطأ في هذا؟ حتى يامنة نفسها تريد أن تعلم ماذا تحمل لبنى في أحشائها.

يامنة تشعر بأن لا شيء على الأرض سيعيد لسليم عبد المجيد اعتباره سوى أن تكون زوجته حاملاً في ذكر.. ولكن لماذا رفضت وقاومت رغبة لبنى.. لأنها تخشى أن يكون جنينها أنثى.. نعم.. هذه هي الحقيقة..

منذ تلك الليلة المشؤومة وجهاز التليفزيون يأتي بعشرات القصص والأطباء والفتاوى الشرعية والدينية حول قضية أمينة عزت.. ورغم أن الجميع في النهاية لا يؤكدون مسؤولية الرجل الكاملة عن نوع الجنين فهم أيضاً يؤكدون بشكل مطلق براءة المرأة من مسؤوليتها.

يموت ما بقي من سليم إن حملت لبنى أنثى في أحشائها.. وتموت أمينة إن حملت لبنى ذكراً..

وأطرقت يامنة لحظات..

أمينة لا تعلم بزواج سليم.. أمينة لا تعلم بوجود لبنى وحملها.. لو علمت لخافت أن تفعل ما صنعته..

لو علمت أن سليم استطاع أن يتزوج امرأة أخرى سواها لانتظرت قبل أن تغتال سليم في رجولته وكرامته..

ما حدث ليس ذنب أمينة.. ما حدث هو خطيئة سليم وحده..

ما حدث هو خطيئة كل رجل يستسلم لامرأة ويمنحها زمام قلبه وعقله وكرامته..

أمينة عبثت برجولة سليم لأنها تعلم أنه يعشقها حتى الجنون.. حتى إن أنجب ألف فتاة فسيبقى قابعاً تحت قدميها..

ورفعت يامنة رأسها إلى السماء تدعو الله..

يا رب لا يستحق سليم الموت والعار.. وحدها أمينة التي شهّرت برجل مثل سليم تستحق الموت.. فاقتلها يا رب العدل والحكمة.

يامنة لا تريد أن تموت أمينة وتزهق روحها ولكن تريد الموت لجبروتها الذي أطلقت سياطه على سليم وعائلته بأكملها.

وفي عصبية كبيرة عادت تنظر إلى ساعة البيت. تأخّرت هالة.. تأخّرت لبنى وعلي..

لن تحادثهم.. لن تسألهم.. لقد أخبرتهم في حزم ألا يحادثوها حتى لو علموا أن لبنى حامل في ذكر..

طلبت أن يعودوا ويخبروها في البيت.. هنا وهم معها.. هنا وهم أمامها ستصبح الأمور أسهل والقرارات أرجح.

وركضت جاز تفتح باب الدار لتراهم يامنة يدخلون أحدهم خلف الآخر، وتمنت لو ترفع يدها وتغلق شفاههم جميعاً. يامنة خائفة حتى الموت من أن تسمع ما لا تريد سماعه وخائفة حتى ما بعد الموت من أن تسمع ما أرادت سماعه عمرها كلّه..

ورأت يامنة دمعات ترقص في أعين هالة وعلي ووضعت كفها على صدرها في ذعر وألم حقيقي.. إلا أن لبنى ركضت نحو يامنة وهي تبكي قائلة:

ولد يا أمي.. ولد.. أنا حامل في ولد..

وضمتها يامنة إلى صدرها وهي تنتفض.. كانت تحاول ألا

تبكي.. كانت تحاول ألا تصرخ.. يامنة أقوى من الدمع.. يامنة أقوى من الصراخ والانفعال.. لكنها ليست أقوى من الحب والحلم!!

بكت يامنة. وللمرة الأولى يرى بكاءها أحد.

بكت وسقطت دموعها في جنون ولبنى بين ذراعيها تبكي هي أيضاً ثم قالت يامنة:

كلمي سليم وقوليله.. قوليله يرفع راسه مش هو اللي ما حيخلفش ولاد.. هي.. هي أمينة السبب..

ومدت يامنة كفها إلى الهاتف تمسك به وهي تقول:

لا.. قبل سليم في دين عليا لازم أوفيه!!

وبعد لحظات سمعها الجميع تقول:

ليكِ دين في رقبتي يا بنت مديحة.. سليم مرته حامل يا أمينة.. سليم مرته حامل في ولد.. الرجالة الصح يخلفوا رجالة بس برضك من الحريم الصح!!

* * *

رفع خالد شكري رأسه ونظر إلى وجه منى وهي تقف أمامه وقال:

استاذ خالد.. الآنسة نهى برا.

وفي ذهول قال:

نهى.. نهى سليمان؟!

وبعد أن هزت رأسها بالإيجاب قال:

خليها تتفضل يا منى..

نهض خالد عن مقعده.. جاءت بعد كل هذا الوقت.. رآها تدخل مكتبه ولم يستطع أن يمنع ابتسامة صغيرة من أن تحطّ على وجهه.. كان واضحاً أن شيئاً ما فيها تغير.. كان واضحاً أنها صنعت شيئاً بأسنانها وابتسم ابتسامة أخرى وهو يتقدم لمصافحتها.. أحمق من يقول إن الرجال أطفال.. تحيا المرأة وتموت وهي وحدها الطفلة الصغيرة.. ربما لهذا السبب تعرف الأم كيف تتعامل مع أطفالها..

ومدّت كفها تصافح ورأى في عينيها رجاء يناديه.. رأى في عينيها شوقاً لا تحاول أن تخفيه وقال في حنان:

ازيك يا نهى.. اتفضلي..

جلست حيث جلست أمينة. وجلس هو أمامها بعيداً عن مكتبه ورآها ترخي عينيها وتعبث بأصابعها دقائق ثم قالت ودمعة ترقص على صوتها:

خالد.. طول الطريق باقول لنفسي لازم أعرف أنا جاية أقول إيه لكن في النهاية عرفت إني لو جبت عمر على عمري مش حاعرف أحضر حاجة أقولها..

وصمتت لحظة ثم مدت أصابعها تفتح حقيبتها وأخرجت منها الدبلة القديمة وقالت:

ماضاعتش.. بس ماكنتش قادرة ألبسها ولا أردها.. تحت مخدتي من يوم ما دخلت أودتي ورفضت تاخدها..

وفي حزن عميق قال:

جاية ترجعيها..

وفي حزن أعمق أجابته:

لو عايزها اتفضل.. أنا عايزاك تساعدني يا تاخدها يا أطلعها من تحت المخدة..

وكأنها شعرت بغباء ما تقول فأكملت:

أنا بحبك.. بحبك عشان أنت خالد شكري.. مش عشان أنا نهى سليمان اللي لقت واحد يحبها ويخطبها.. فاهم الفرق؟!

وأمسك بكفّها التي كانت ترتجف وترتجف بين أصابعها الدبلة. كانت كفها باردة وضمّها بين كفيه وقال:

خالد مجروح يا نهى.. مرة داويتيه من جرح قديم ومرة زرعت جواه جرح جديد.. ماعرفش اساعدك.. ما أعرفش.. صدقيني!!

لم تحتمل نهى أكثر من هذا.. كل قطعة فيها كانت تبكي وترجو.. لكن صوته.. دمعاته.. لمسة أصابعه الحانية لم تترك لها ما تقول ونهضت في صمت وقبل أن تخطو بعيداً قالت في ألم:

ممكن نجرب؟!

ونهض خالد لينظر في عينيها.. ما زال يريدها.. ما زال حقاً يريدها وقال:

يا ريت.. تعالي نشوف بعض من جديد.. نبدأ من الأول خالص.. إيه رأيك نتعشى بكرا سوا..

وابتسمت نهى ومدت أصابعها إليه بالدبلة وأعاد يدها قائلاً:

رجعيها تحت المخدة.. سيبي نهى الجديدة وخالد الجديد هما اللي يقرروا مصيرها إيه!

* * *

بماذا يشعر القاضي حين يصدر حكماً بالإعدام وإن كان الحكم على قاتل سفاح؟ هل يشعر بالزهد؟! هل يشعر بالرضا؟ هل يشعر بالقناعة والراحة؟! هل يسمع ضحايا القاتل تدعو وتصفق له إجلالاً لحكمه؟! هل يرى أرواحهم تهدأ بعد أن كتب هو كلمات القصاص؟!

حتماً لا. سليم عبد المجيد أصدر حكماً بالإعدام على قاتل أحمق أطاح بأبرياء لا ذنب لهم ولكنه ليس سعيداً.. إنه حزين.. حزين حتى الثمالة!!

وإن كان حكم الإعدام على قاتل فإنما هو روح جديدة تزهق.. جسد يقع ويسقط بعد أن خلقه الله ليحيا.. ولكن كلمة العدل هي الأقوى.. حق قتل سفاح نجع الحواويش.. حق إعدامه بعد أن قتل الكثيرين..

سليم عبد المجيد أصدر حكماً بالإعدام على سليم عبد المجيد، حكماً يثأر به لكل من أرداهم قتلى تحت قدميه، حكماً يحرر به كل من قيدهم زمناً ورماهم في زنزانة أيامه.

إنه حكم عادل. وهي المرة الأولى التي يكتب فيها حكماً ويبقى وحده من ينفذه..

فليذق إذن سليم عبد المجيد شعور الجلاد وهو ينفذ أحكامه.. فليذق سليم عبد المجيد ما يشعر به عشماوي وهو يضع الحبل حول أعناق رجال وحده سليم يرسلهم إليه..

الشجاعة ليست في إصدار الأحكام بل في تنفيذها..

وأطلق نفساً عميقاً من صدره وأغلق باب سيارته السوداء ووقف أمام بيت عبد المجيد أبو عمران ينظر إليه في هدوء.

عاد سليم إلى الدار.. عاد جلاداً وليس قاضياً..

ولكن الجلاد أيضاً رسول عدل..

حين دخل بهو البيت سمع صوتها الرقيق قادماً من المندرة التي على يمين الباب. وفي هدوء وقف أمامها ليعلو صوتها في فرحة قائلة:

سليم!! سليم.. حمدلله على السلامة ...

ونظر إليها في حنان.. رغم الظلم، لبنى دوماً تبتسم. رغم القيود، لبنى دوماً تنطلق روحها كلما رأته..

وأرخى رأسه ليرى يامنة ترقبه من بعيد ومدت كفّها بجهاز «الريموت كنترول» وأطفأت جهاز التليفزيون وهي تنظر إليه في حزن وخوف كبيرين.

يامنة وحدها علمت أن القاضي لم يأت..

يامنة وحدها رأت وجه الجلاد يطل من عينيه الحزينتين.

وإلى جوارها جلس سليم وعادت لبنى تصيح:

أحضر لك تفطر يا سليم.. أعمل لك شاي.. ولا نعمل الغدا؟!

فردّ:

لا يا لبنى.. أنا جيت عشان أمشي..

وألقت يامنة برأسها بين كفيها.. شيء في صدرها يبكي.. شيء في عينيه لا يراه سواها..

وسمعت صوت سليم يقول:

أمي.. ما بُني على باطل فهو باطل.. لبنى اتظلمت وأنا جاي أرفع عنها الظلم..

واستدار نحو لبنى وقال:

الرجالة تتعذب من إهمال حريمهم أو تقصيرهم.. لكن اللي عذبني وعذبك هو حبك يا لبنى.. حب أنا ما استاهلوش.. حب ماعرفتش أصونه ولا أديكِ زيه.. حب كان من حقك تحسي بحب زيه.. كان من حقك حاجات كتير اتنازلتِ عنها وأنا عملت روحي مش واخد بالي إنها فروض عليا. ظلمتك يا لبنى.. ظلم كبير ما شايفلوش حل غير أنك تاخدي حريتك.. غير إنك.

وقالت لبنى وهي تئن:

إيه؟ إيه يا سليم.. مين قال إني حاسة بظلم.. سليم الدقيقة معاك رحمة من السما.. الثانية في حضنك جنة ربنا.. أنا ما كانش نفسي في ولد عشاني ولا عشان أمي يامنة.. أنا.. ربنا جعله ولد عشان.

وقاطعها:

عشان نقف الموقف دا كلنا يا لبنى.. أمي حاربت عشان الولد وأنا كمان حلمت بيه.. أمينة كمان حلمت بيه.. بس مش

كل الأحلام لازم تتحقق.. ويوم ما يكون ولازم تتحقق مش لازم أبداً تكون على حساب ضمايرنا.. أهو الولد يا لبنى.. أهو موجود في بطنك طب وبعدين. شوفي أمي عاملة كيف؟! شوفي إنتِ عاملة كيف؟! شوفي بناتي كيف بقي حالهم.. شوفي أمك.. شوفي أمينة.. شوفيني أنا يا لبنى.. هو دا سليم اللي حبيته.. هو دا سليم يا لبنى؟! هو دا سليم يا أمي؟! سليم ما قادرش يرفع راسه بين الخلق؟!

وبدمعها قالت لبنى:

ما عاش اللي يوطي راسك يا سليم.. ربنا نصفك أمينة قالت ما حتخلفش غير بنات.. أهو.. ولد يا سليم.

وبابتسامة ساخرة ردّ:

دا مش ولد يا لبنى.. دا رسالة من ربنا.. رسالة من السما.. كلمة حق وعدل تقول ظلمت لبنى واتجوزتها عشان أرضي أمي.. دبحت أمينة من غير ذنب.. بقيت لعبة في يد الحلم وأهو الحلم اتحقق.. بس كيف عاد يا ست العاقلين؟! ها يا أمي؟! كيف؟! على جثة بناتي.. على جثة أمينة ولبنى وحتى على جثة اللي ما اتنفسش ولا دبت فيه الروح لسه.. ربنا بيقول.. جاكم الولد بس مات الضمير فيكم كلكم.. الروح ماتت.. وقفنا كلنا نحارب بعض كل واحد شال سكينة يقتل بيها صاحبه.

وتقدم سليم نحو يامنة التي ما زال رأسها بين كفيها وجلس قرب قدميها وقال:

اشتريت رضاك يا أمي واليوم جيت اشتري رضا ربنا.. أنا

حاطلق لبنى يا أم سليم.. حا أعتقها.. حا أرحمها يمكن ربنا يرحمني..

وشهقت لبنى شهقة جريحة ثم انهارت على أحد المقاعد وسمعت يامنة تقول وهي ترفع رأسها:

جاي تقتلنا مرتين يا سليم؟!

ووضع سليم كفه بين يديها وبكى قائلاً:

يامنة مش حتموت.. يامنة حتعيش.. قدرها تربي عبد المجيد زي ماربت أبوه.. عارفة يا أمي أنا طلعت بإيه من الحكاية دي؟! اللي ما يسعدش روحه وينصفها يتعس كل اللي حواليه.. عارفة لو سليم ما جريش ورا الحلم معاكي.. لو اقتنع ورضي بحقيقته واكتفى بيها ما كانوش كل دول راحوا في الرجلين.

وأكمل:

أنتِ كمان يا أم سليم.. ليه ما قلتيش الحمد لله.. سليم ولدي كفاية.. بناته كفاية.. نجاحه في شغله وفي جوازه كفايه.. ليه يا أمي هملتي كل اللي في يدينا ووقفت تبكي على الحتة الصغيرة اللي ناقصة أهي الحتة الناقصة جت بس خدت في وشها كل اللي كان في يدنا.

ونهض سليم عن الأرض ونظر إلى عينَي لبنى الغارقة في أنهار دمعها ولوعتها وقال:

والله يا لبنى حبيتك.. والله يا لبنى هربي منك ما كانش كره فيك والله كان كسوف منك ومني.. سامحيني يا لبنى.. حاولي تسامحيني..

وقبل أن يخرج سليم من باب المندرة ركضت لبنى نحوه لتمسك بذراعه قائلة:

سليم.. ما تطلقنيش يا سليم.. حا آخد أمي ونروح نعيش في اسكندرية.. حا اسيب البلد.. حاروح أعيش في بيتها في النجع.. حاسافر لعزت أخويا.. اعتبرني مت يا سليم بس ما تطلقنيش.

ضمّها إلى صدره لحظات ثم قال:

أنا مش باحرمك من سليم يا لبنى.. أنا باحرم سليم منك!

* * *

عندما أغلق سليم خلفه الباب، نهضت يامنة في هدوء لتتقدم نحو لبنى قائلة:

سامحيه يا بنتي.. سامحيه.. أوقات الميت بيخاف يموت وحده.. بيفتكر أنه لما ياخد معاه ناس كتير بيترحم.. سامحيه.

ومن خلف دموع غزيرة لم تعلم لبنى أن بإمكانها أن تبكيها يوماً، قالت:

أسامحه على إيه يا أم سليم؟! عمرك سمعت عن فرح بيدوم.. عمرك سمعت عن سعادة تعيش العمر كله.. الفرح دايماً عمره قصير.. سليم كان فرحة عمري بس ما ينفعش يكون كله فرح.. فيه ناس تتولد وتموت من غير ما تدوق فرحة.. أنا عشت وفرحت.. أسامحه على أنه فرحني.. أسامحه على أنه عيشني.. سايقة عليك النبي ما تمشيني من الدار دي يا أم سليم.. خليني أكمل فيها عمري معاكِ.. مع عبد المجيد.. إن شالله زي جاز..

ورفعت يامنة رأسها في قوة وقالت:

يوم ما تولدي بالسلامة يا لبنى.. حاكتب الدار بيع وشرا

باسم عبد المجيد ولدك.. وأنا اللي سايقة عليك النبي يابتي تخليني معاكم لغاية ما تدفنوني جار عبد المجيد الكبير.

وأخذت يامنة لبنى على صدرها وهي تقول:

سليم ما حيطولش يا لبنى.. حايرد تاني.. حايرد تاني يابنتي..

وأشارت يامنة إلى طلمبة الماء التي تقف في منتصف البهو قائلة:

كيف ما الدار تقع لو العمود دا وقع يا لبنى.. الدار دي هي العمود اللي حياة سليم مسنودة عليه.. حايرد يا لبنى.. حايرد تاني.

وعلى صدر يامنة قالت لبنى في صدق:

وإن ماردش يا خالتي.. أنا في الدار معاكِ ومع عبد المجيد لغاية آخر لحظة في عمرنا!!

* * *

أغلق عزت حقيبة ملابسه وحملها إلى ريسبشن بيته في سيدي بشر. والتفت حوله ثم وضعها إلى جوار الباب وذهب إلى الشرفة المطلة على البحر الأبيض المتوسط ووقف ينظر إلى زرقة المياه.

سيرحل.. سيغلق غرفة العمليات المطلة على البحر.. لم يكن بيتاً.. لم يكن سكناً.. شقة سيدي بشر كانت غرفة للعمليات اشتراها ليترك ماضيه وابنته وعمله ويحبس أنفاسه بداخلها.. أعوام وهو يخطط ويرسم ويلهث من أجل إتمام مهمة العثور على هالة طلبة..

عثر عليها.. وجدها.. ضمّها.. حقق الحلم ولكنه نسي الواقع.. مديحة هي الواقع.. أمينة هي الواقع.. الشعر الأبيض في رأسه هو الواقع..

الحلم يبقى حلماً.. الحلم لا نراه إلا عندما تكون عيوننا مغمضة.

ليس هنالك بشر على الأرض يحيون العمر بعيون مغلقة وأجفان مسدلة..

في اللحظة التي نفتح فيها عيوننا ينتهي الحلم.

فتح عزت عينيه.

ضاع الحلم وانتهى!! الأحلام تبقى أحلاماً.

سيعود إلى أمينة.. سيعود إلى ابنتيها.. تماماً كما عادت هالة إلى ابنتها..

عندما يرهقه الواقع.. عندما تُغضبه أمينة.. عندما تؤلمه الأقدار سيغمض عينيه ويتذكرها.. لكنه دوماً سيفتح عينيه ليحيا الحقيقة والواقع..

في داخلنا جميعاً أحلام صغيرة تمسح عن رؤوسنا ضربات شمس الواقع.. تربت على وجوهنا بعد صفعات الأقدار وهزائم الأيام.. لكنها يجب أن تبقى أحلاماً.

كلما أجهد عزت الواقع.. كلما أرهقته الحقائق.. كلما هزمته الأيام أغمض عينيه لحظات ورآها..

هناك أحلام تتحقق لتصبح واقعاً نحيا فيه ونتعذب..

وهناك أحلام نهرب إليها لتبقى أحلاماً طوال العمر.

وبعد دمعة سقطت من عينيه أخرج هاتفه الصغير من جيبه وقال:

أمينة.. أنا خلاص قفلت شقة إسكندرية وراجع أعيش معاكِ ومع البنات!

* * *

على بدايات شارع المنتزه بالزمالك، نظر سليم في مرآة سيارته.. من يصدق؟!

هو نفسه لا يصدق أنه قاد سيارته إلى سوهاج وعاد بعد تلك الدقائق التي أعلن فيها حكمه، إلى شارع المنتزه.. عاد ليغلق الصفحة الأخيرة من القضية..

لا يشعر بالتعب.. لا يشعر بالإجهاد.. كل ما يشعر به أن في جيبه رصاصة صغيرة تغفو بانتظار إطلاقها ثم يطيح برأس كل من أحبهم وبرأسه هو أيضاً..

وفي هدوء أخذ مصعد العمارة ليخرج منه متجهاً إلى باب أدهم وهبي الذي أطل بعد لحظات ليصيح في فرحة كبيرة باسم سليم وضمّه على صدره. ثم دخلا إلى البيت حيث نظر سليم حوله في ألم كبير ليجد أدهم يتقدم نحوه قائلاً:

ياه يا سليم يا ابني أخيراً.. دا أنا كلمتك ولا ألف مرة ولا مرة ترد.. ولا مرة؟! هو أنا مش أبوك يا سليم؟

وصافحه سليم في ود ثم جلس على أحد المقاعد وقال:

واديني جيت أعتذر بنفسي.. أنا آسف إني ماكنتش بأرد على مكالماتك.. أنا كنت محتاج وقت.

وعاد يطرق برأسه كأنه يقاوم دمعاً مدّ أصابعه السوداء ليخنق به عنقه وقال أدهم في أسى:

أنا عارف.. أنا كنت باحاول اتصل بيك علشان اعتذر يا سليم.. أنا حاولت أخلي خالد يسيب القضية وقلت لأمينة..

فردّ سليم:

يشهد ربنا يا دكتور أدهم إني حقيقي كنت حازعل لو أمينة راحت لحد غير خالد.. خالد محترم ونضيف.. أمينة مالهاش في الدروب دي..

وقال أدهم في صوت هادئ حزين:

لأ أمينة ما عملتش الصح يا سليم.. أمينة بالضجة اللي عملتها دي كلها ما عملتش الصح.. وآهي حتخسر القضية.. أكيد حتخسرها..

وقاطعه سليم:

أنا عارف.. الحكم كمان أيام.. بس أنا جيت قبل الحكم ما يتنطق..

ونهض أدهم وجلس إلى جوار سليم وربت على فخذيه قائلاً:

الدعوى حترفض.. مافيش قاضي.. مافيش شرع أو قانون يصدر حكم على غيبيات واحتمالات وظنون.. الحكم عمره ما كان مشكلة عندي أو عندك أو عندها.. أنت عارف أمينة عملت كدا ليه.. أنا مؤمن إن ولا مليون ولد كانوا حيفرقوا مع أمينة.. أمينة بتحبك.. اسمع يا سليم.. اللي حصل كبير وبشع.. اللي حصل مس كرامتك ورجولتك.. لكن صدقني اللي بينكم أكبر..

وحلاوته ممكن تضيع وتتوه فيها بشاعة اللي حصل. كرامتك ورجولتك الحقيقية هي في الصفح مش في الغضب والانتقام.. أمينة بتحبك وأنت بتحبها.. ماقدرش أقولك سامحها لكن أرجوك.. أرجوك أرحمها..

وتلوّن صوت أدهم بالدمع وأكمل:

ياما قضايا عملت فرقعة لكن مع الوقت بتتنسي يا سليم.. بتطلع قصص تانية تاخد الناس.. الناس حتنسى الحكاية.. حتى زملاءك في الشغل حينسوا.. لكن أنت مش ممكن تنسى أمينة أو تنسى بناتك واحتياجك ليهم واحتياجهم ليك.. سليم.. الزمالك كلها من غيرك جحيم.. دا ما يستاهلش النسيان أو الرحمة منك ومنها؟!

ونهض سليم دون كلمة.. فهبّ أدهم وضمّه إلى صدره قائلاً:

أمينة حتسامح وأنت كمان لازم تسامح.. وقضية جوازك حنلاقي لها حل يا ابني.. لكن أنا وأمينة والبنات.. سليم.. أرجوك.

فقال سليم باكياً:

حتوحشني يا خال!

* * *

إنها التاسعة مساء. يجب أن تدخل إلى غرفتها لتنام.. لديها عمل في الصباح.. أيام ويصدر الحكم في دعواها ضد سليم..

وأرخت أمينة عينيها. بدأ صوت الشوق يعلو على صوت الألم والانتقام.. بدأت ترى وتسمع أسئلة شهد الكثيرة عن أبيها. بدأت أمينة تتحسس بأصابعها قماش أريكتهما كأنها تتحسس جسده..

فلتعترف.. سليم ما زال في عروقها.. سليم ما زال يتجول معها في البيت.. في العمل.. ولكنها ما زالت حانقة ثائرة غاضبة.. ما زالت أمينة تشعر أنها ليست نادمة على ما فعلته.. فقط يؤلمها أنها شهرت بسليم وأباحت اسمه وجسده لسياط السخرية وسطور الجرائد..

أمينة تريده.. ولكنها تعلم أنها لن تفتح عينيها يوماً في عينيه.. أمينة تعلم أنها لن تجمعها به حياة.. سليم لن يقبلها رغم أنها تعلم أنه مثلها ما زال يحبها.

حبّ كالذي جمعهما لا يموت.. هناك أنواع من العشق لا تموت ولا تحيا أبداً!

وأرخت ساقيها على الأريكة الذهبية ثم نهضت وذهبت إلى

فراشها. عندما سمعت صوت جرس الباب توجهت إلى المدخل فأطلّ أمامها وجه سليم الأسمر. كتمت أمينة شهقة أطلقتها شرايين قلبها ونظرت إليه لتجده ينظر إليها هو أيضاً. كان ينظر إلى شعرها البني الملقى على كتفيها... إلى قميص نومها الوردي والذي يضم جسدها في حنان.. كان ينظر إليها كأن قروناً من الزمان مرت دون أن تبصر عيناه شيئاً وقال في صوت خفيض:

ممكن أدخل؟!

وأفسحت له أمينة الطريق وهي تشعر أنه لو تنفّس إلى جوارها لوقعت أرضاً.. كل ما فيها يهتز.. كل ما فيها ينتفض لكنها أغلقت الباب لتراه يتجه إلى الأريكة التي كانت عليها قبل لحظات. جلس ثم قال:

أمينة..

وتلوّن صوته بالدمع، رفع رأسه قائلاً:

وحشني أقول أمينة.. حقيقي وحشني.. عارفة أنا جي ليه؟ جي اعتذر.. جي أقولك أنا آسف.. آسف على أني ماقدرتش أحقق حلمك.. ماقدرتش أديك ولد.. راجل يا أمينة.. بس عارفة ليه ماقدرتش.. لأني فعلاً ماعرفتش أنا نفسي أكون راجل.. ضعفت قدام مشاهد كتير يمكن قسوتها في عينيك أنت تبقى تفاهة.. لكن في عيني أنا كانت غول سيطر على عقلي وقلبي.

وأضاف:

يوم ما يامنة حلّفت أخوالي ماقفش على غسلها ولا آخد

عزاها نسيت إني أنا ممكن أموت في ثانية زي أبويا ما مات قبلها.. يوم ما ضعفت وحلمت بولد يشيل اسمي واشعر بيه إني باشوف أبويا اللي عمري ما شفته غير في حسرة يامنة وحرمانها وضياع شبابها عليا غلطت لأني ما أدركتش إنه ممكن ييجي مريض أو ملوث أو فاجر ويمحي اسم عيلة أبوعمران ويجبلها العار.. يوم ما صعبت عليا لبنى وهي بتوطي تقلعني جزمتي غلطت لأني نسيت إن الحب حاجة والشفقة حاجة تانية.

صمت قليلاً ثم أكمل:

يوم ما حاولت أرضي يامنة وأرضي لبنى برضك غلطت لأن حلم كل واحد مسؤوليته مش مسؤولية غيره.. حلم كل واحد حسبته هو يحسبها بإمكانياته مش بإمكانيات غيره.. الحلم لما يكون بتاعنا ونحمّله لغيرنا يبقى كابوس.. ونهاية الكوابيس دوماً فوقان.. لكن بألم وعرق وقلب ممكن يقف.. خلاص يا أمينة.. الكابوس انتهى وأحلامكم كلكم اتحققت.. يامنة حتشيل عبد المجيد بين ايديها.. لبنى مراتي.. قصدي اللي كانت مراتي كمان حققت حلمها.. اتجوزت سليم وحتخلف منه الولد اللي انت ماقدرتيش تخلفيه..

وبشيء من التحسّر المرّ، تابع:

أنت كمان يا أمينة انتصرت.. خدت بتارك.. دبحتيني ودبحت بناتنا.. وصلت صرختك للعالم كله.. أغلى حريم في حياتي انتصروا يا أمينة وبيدي أنا بس عارفة على إيه؟! على جثتي.. وعشان على جثتي.. مش حيفرحوا بحلمهم مش حيحسوا بيه.. زي ما قلتلك الحلم بتاع كل واحد مسؤوليته لو

حمّلوا لغيره يحققه بس على دمه. في أحلام يا أمينة لما مانعرفش نحققها لازم نعرف أن دا مش غضب من ربنا ولا ظلم.. لا.. دا رحمة.. عالعموم يا أمينة.. أنا جاي اليوم أباركلك لو فرحانة بنصرك ولو حزينة استسمحك.

وعاد ينظر إليها وهي تجلس على البارجير الذهبي أمامه ورأسها مقطوع متدلٍ على صدرها ثم قال وصوته يتلون بالدمع من جديد:

عارف السؤال اللي جواكي.. حتى وأنا في حضنها كنت بحبك. أمينة أنا مش زعلان منك.. أنا بس خايف مش عارف كيف الحياة ممكن تكون من غيرك..

ورفعت أمينة رأسها وشهقة كبيرة تخرج من صدرها، فرأى عينيها مكسوتين بدمع كثيف سقطت منه زخات كثيرة على وجنتيها. اقترب منها سليم ومد أصابعه يرفع بها الخصلات الناعمة التي سقطت على وجهها وأغمضت أمينة عينيها في وهن كبير.. ظنته سيضمّها إلى صدره.. ظنته سيأخذها إلى ذراعيه لكنها أفاقت على صوته يقول:

أنتِ طالق يا أمينة!!

ذُهلت أمينة وكادت تقع أرضاً. عاد سليم بجسدها قبل أن تسقط، وأغمضت عينيها بقوة حيث مضى هو دون أن تراه، وأفاقت وهي تسمع باب بيتها يُغلق بيديه.

رحل سليم عبد المجيد.. أنهى القصة بيده قبل أن تنهيها المحكمة بحكمها..

لو أنه فقط ضمّها مرة واحدة إلى صدره.. لو أنه فقط ضمّها مرة واحدة قبل أن يرحل..

وأخذت أمينة تنظر إلى حيث كان يجلس سليم عبد المجيد ومضت لتسقط على الأريكة الذهبية في المكان نفسه الذي كان يجلس عليه.

ما زالت أمينة تنتفض.. ما زال جسدها يرتجف، وما زالت حرارة جسد سليم ودفء مقعده يشعلان في قلبها وجسدها ألف بركان من الحزن والألم.

وأغمضت عينيها من جديد.

لو ضمّها بين ذراعيه قبل أن يقتلها كما قتلته..

لو فعلها لربما أصبح للموت مذاق آخر.

* * *

للتواصل مع الكاتبة

twitter.noorabdulmajeed.com
www.noorabdulmajeed.com